العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر
الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً
العنوان
مشارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
ص.ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية
ج١/٢ س ٢٣ رجب/شعبان ١٤٠٨هـ - (آذار/نيسان (مارس/أبريل) ١٩٨٨م

من ذكريات الرحلات :

بين ميونخ وفينا

-٢-

في مدينة فِيَنَّا :

وفي صباح الخميس العاشر من رمضان ١٤٠٧هـ (١٩٨٧/٥/٧م) كان الوصول إلى فِيَنَّا ، والنزول في فندق (دي فرانس) ومع أنَّ الصديق الكريم الأستاذ عبدالله الخيَّال ممن عرف هذه المدينة حقَّ المعْرفة ، إذ أقام فيها سنواتٍ سفيراً لبلادنا ، وتردد عليها في كثير من رحلاته وأسفاره ، إلا أنَّ اختيار ذالك الفندق ينطبق عليه قول المعري :

وقَدْ يُخْطِيُ الرَّأْيَ امْرُؤٌ وهْوَ حَازِمٌ كَمَا آخْتَلَّ فِي وَزْنِ القَرِيْض عَبِيدُ

لَمْ نُطِقِ الْبقاءَ فيه سوى الليلة التي اضطرنا عدمُ وجودِ غيرهِ لقضائها فيه ، وفي الصباح كان الانتقالُ إلى فندق (هِلْتُنْ) ولا تَسَل عن أُجور الفنادق في هذه المدينة ، بل عن ارتفاع تكاليف المعيشة فيها بصفة عامة بالنسبة للبلاد الأوربية .

وذُو الشَّوْقِ الْقَدِيمِ وإن تَسلَّى !! :

وفي الطريق إلى الفندق ــ وقبل اختيار المنزل ــ كان المرورُ بالمكتبة العامة .

كنت قد عرفتُ هذه المكتبة قبل بضعة عشر عاماً ، واطَّلَعْتُ على بعض مخطوطاتها ، بل صُوِّرَ لي منها مجلدٌ يحوي القسم الثالث من رحلة عبدالغني

النابلسي « الحقيقة والمجاز » وهو القسم المتعلق بالحجاز ، ونَشَرْتُ مقتطفاتٍ منه في مجلة « العرب » س ٢ ص ٤٨٦ ، ٦٥٢ ، ٨٣٦ ــ ثم علمت أنَّ زميلي في مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة الأستاذ عارف النكدي يقوم بتحقيق الرحلة كاملة ، فتوقفت عن الاستمرار بنشر ما أردتُ نَشْرَهُ ، وبعد وفاة الأستاذ عارف ــ رحمه الله ــ قبلَ بروز عمله فيه اقترحتُ على أخي الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي صاحب (دار الرفاعي للطباعة والنشر) القيامَ بنشر ذالك القسم ، وقَدَّمْتُه له ، بعد تحقيق الأصل بمقابلة نسختي منه بأجودِ مخطوطتين اطلعتُ عليهما من الكتاب ، هما مخطوطة مكتبة الحرم المكي ، ومخطوطة المكتبة العامة في فِينَّا ، ومع أنَّ الكتابَ نُشِرَ مصوراً عن مخطوطة دار الكتب المصرية ــ بعد ذالك ــ إلا أنه لايزال بحاجة إلى نشرة محققة ، يرجع فيها إلى المخطوطتين المذكورتين اللَّتَيْن هُمَا ــ بِدُونِ شكٍ ــ أتقنُ وأصحُ من مخطوطة دار الكتب المصرية .

حين مررتُ بالمكتبة العامة عاودني الحنينُ إلى ما أَلِفْتُهُ ، وإنْ كنتُ قد فَقَدتُّ الآنَ كثيراً من بواعث ذالك الحنين ، وضَعُفَتْ في نفسي الرغبةُ القوية التي كثيراً ما حفزتني ودفعتني إلى إرهاق الجسم ، وتَحَمُّلِ كثيرٍ من المشقات في سبيل الوصول إلى إحدى المكتبات التي قد أجدُ فيها ما اتطلع للاستفادة منه من مؤلفات :

وذُو الشَّوْقِ الْقَدِيْمِ وَإنْ تَسَلَّى مَشُوقٌ حِين يَلْقَى الْعَاشِقِيْنَا

اهْتَدَيْتُ إلى باب المكتبة التي انتقلتْ من مقرها القديم إلى مكان بجواره ، وكان المرشدُ إنسانا فاضلاً ، فلم يتركني ــ حين علم بأنني أَبْحَثُ عن القسم العربي من المكتبة ــ حتى أوصلني إليه في الدور الثاني . فإذا الذي فتح لي البابَ أخٌ عربي ، مرحبا ، مشيراً بالجلوس على كرسي في مدخل الغرفة ، ولما أوضحتُ له رغبتي في الاطلاع على فهرس المخطوطات العربية سألني عن اسمي ، وبعد ذكره قال : لقد أخبرني الأستاذ عبدالله بن حسين الملحق الثقافي السعودي بقدومك ، فأجبته : ولكنه لم يرني بَعْدُ ، ولم يعلم بمجيئي ، فأنا لم أصل إلا أمس ، فقال : إنه علم بأنك في (ميونخ) ، وستأتي إلى فينا .

كان الأستاذُ الدكتور طَرِيف السَّمان بي حَفِيًّا ، ومعي كريما ، فقد قَدَّمَ لي الفهرس المكون من مجلدات اكتيفتُ بمطالعة الجزء الذي يحوي أسماء المؤلفات الجغرافية والتاريخية ، ولما رغبت الاطلاع على بعض الكتب ذَهَبَ بي إلى المكان الْمُعَدِّ للمطالعة ، وهناك ساعدني بسرعةِ إحضارِ ما أردتّ .

وقبل ذالك اتصل بالابن الكريم الأستاذ عبدالله بن عبدالعزيز بن حسين ــ ملحقنا الثقافي في هذه البلاد ــ فأخبره بأنني موجود عنده ، وسرعان ما أتى إلينا ، فازداد به الأُنس والسرور ، فقد توطدت المعرفة بيني وبينه حين كان موظفا في المكتب التعليمي في بيروت قبل احتراقها .

كان اليومُ يومَ جُمعة ، وسيذهب الأخوانِ الكريمان لصلاتها في مسجد المركز الإسلامي ، فاكتفيت بما اطلعتُ عليه من المخطوطات وكان منها :

١ ــ كتاب « المسالك والممالك » لِأبي عُبَيْد البكري المتوفى سنة ٤٨٧هـ ورقمه (MIXT 779) نسخة حديثة الكتابة (مخطوطة سنة ٩٨٩) تقع في (١٥٧) ورقة ــ يبتديُ القسم المتعلق بالجزيرة من الورقة الـ (١٢٨) ــ ذكر ملوك اليمن ــ وهذا القسم قد حققه الابن الكريم الأستاذ الدكتور عبدالله بن يوسف الغنيم ، ونشره سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) واعتمد في نشره على مخطوطات أقدم من هذه المخطوطة وأجود ، والدكتور عبدالله بحاثة طلعة ، ولا أستبعد أن يكون اطلع على هذه النسخة ، ومع ذالك فقد توقعت أن أجد في مطالعتها ما قد يفيد ، إذْ يَرِدُ في بعض المؤلفات نقولٌ عن كتاب البكريِّ هذا لم ترد في مطبوعة الدكتور عبدالله مع تَقَصِّيْهِ ، واستجادته لما اعتمد من الأُصول .

ومع سوء كتابة هذه النسخة وكثرة التحريف فيها إلا انني أردت التأكد من قيمتها في وقت متسع ، فكان ذالك حين زرت المكتبة مرة ثانية ، عند عودتي من ضاحية (هوف) في ناحية (سولزبرج) في النمسا إلى فينا ، في يوم الأربعاء ٩ محرم ١٤٠٨هـ (١٩٨٧/٩/٢م) ، ثم بعد ذالك أكرمني الأخ الدكتور طريف السمان بصورتها ، وها هو وصفها في طرتها : « كتاب الممالك والمسالك » تأليف الشيخ العلامة المحقق أبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري القرطبي ، أثابه الله

الجنة ورضي عنه ــ وفوق هذا في هذه الصفحة : (وفي نوبة العبد الفقير محرم بن أسد الحسيني القادري . . . . . ذي القعدة سنة ٩٩٩هـ ــ وفوق العنوان ــ في الهامش ــ كتابة فارسية يظهر أنها بيتان من الشعر ، عنوانها (قطعة) ــ الصورة ص ٥ ــ .

وفي الصحفة : (توفي عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي المتوفى (؟) سنة ٤٨٧) ثم عنوان كتاب مضروب عليه هو : (وكتاب « الفاخر » لأبي طالب المفضل صاحب الفرا في محاورات العرب) .

ثم : (كتاب « المسالك والممالك » لأبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٧ انتهى « كشف الظنون » وأيضا : مذكور في « نفح الطيب » في الجزء الثاني صفحة ٣٧٨ ــ أنه لو ما يفتخر الأندلس إلا بكتاب « المسالك والممالك » لأبي عُبَيْدٍ البكري لكفاه . انتهى .

وأول الكتاب (ص ٢ بعد البسملة) : وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت ، القول في مدة عمارة الأرض : عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس ــ رضي الله تعالى عنهم ــ : أنَّ ذالك ستة آلاف سنة ، وكذالك قال أهل الكتاب ، وأخَذُوا ذالك أَخْذًا شرعيًّا ، أبو صالح عن كعب : ألفي سنة ، ابن معقل عن وهب مثله . قال ط والأول الصواب ، لرواية ابن عمر عن رسول الله ﷺ ؛ « أجلكم في أجل مَنْ كان قبلكم من صلاة العصر إلى مغيب الشمس » وقوله عليه الصلاة والسلام : « بُعِثْتُ أنا والساعة كَهَاتَيْنِ » وجَمَعَ مابَيْنَ السَّبابةِ والوُسْطَى ، وصَحَّ عنه ــ مع ذالك ــ ما رواه ابنُ وهبٍ يرفعه إلى أبي ثعلبة الخُشَنِيِّ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لَنْ ينقُصَ الله هذه الأُمَّةَ من نصفِ يوم » يُرِيْدُ اليوم الذي هو مقدار ألف سنة ، وإذا كان ذالك كذالكِ كانَ معلوماً أنَّ الماضي إلى ظهور الإسلام ستة آلاف سنة ، وقد رُوِي عنه ﷺ قولٌ يدلُّ على صحة هذا القول الآخر ، وأصحُّ ما رُوي في التاريخ على ما ذكره ط س أنَّ من الطوفان إلى مولد إبراهيم إلى . . .[1] عليه السلام ألف وتسع وسبعون سنة ، ومن مولد إبراهيم

كتاب المسالك والممالك

تأليف الشيخ الامام العالم

العلامة المحقق ابي عبيد عبد الله

ابن عبد العزيز البكري

القرطبي اثابه الله

الجنة ورضي

عنه

ونم

وكتاب الفاخر لابن طباطبا المفضض

في محاورات العرب

كتاب المسالك والممالك لابي عبيد عبد الله
ابن عبد العزيز البكري الاندلسي
انتهى كتبه الظنون
وايضا مذكور في نفح الطيب في
انه لوما يفتخر الاندلس الا بكتاب
لابي عبيد البكري لكفا انتهى

[الصفحة الأولى من رسالة ابن مجثل]

عليه السلام إلى خروج موسى من مصر ببني اسرائيل إلى التِّيهِ الذي مات فيه خمس مئة سنة وخمس وستون سنة ، ومن ذالك الوقت إلى أربع من ملك داوود وهو وقت ابتدائه لبناء بيت المقدس إلى ملك الاسكندر سبع مئة سنة وسبع عشرة سنة ، وبين مولد المسيح إلى بعث محمد ﷺ خمس مئة سنة ، وإحدى وستون سنة) إلى آخر ماذكر ــ الصورة ص ٧ ــ .

وآخر النسخة (الورقة ١٥٦/أ) .

والتِّيهُ مقدارُ أربعين فرسخاً ، وقيل : إنه تسع فراسخ في مثلها ، وأول حَدِّهِ مابين قبر أبي حمير وبطْن نَجْدٍ[٢] ، وفيه مات موسى وهارون ــ عليهما الصلاة والسلام ــ وبطن نجد قرية ليس فيها ولا شجر[٣] ، يسكنها نفرٌ من الناس ، ويقال لها أيضا : بطن نخل ، لسواقي تسقي[٤] على الناس فيه تُرَاب دقيق كأنما نُخِلَ بمنخل .

كمل بحمد الله وعونه ، ولطفه ومنِّهِ ، وجوده وفضله وتوفيقه ، وحوله وقوته وكرمه ، وكان الفراغ من كتب هذه النسخة يوم الأحد المبارك ، عشرين شوال من شهور سنة تسع وثمانين وتسع مئة من الهجرة النبوية والحمد لله وحده ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم في آخر الكلام : (في نوبة سيدنا ومولانا سمي إمام المرسلين وسبطه) ــ الصورة ص ٩ ــ .

ويقع الكتاب في ١٥٧ ورقة (٣١٤) صفحة في الصفحة ٢١ سطرا سوى الأولى ففي طرتها عنوان الكتاب ، والأخيرة ليس فيها سوى ١٦ سطرا بخط النسخ الحسن والصفحة الثانية ــ أول الكتاب ــ مزوقة ــ مذهبة ــ بنقش في أعلاها ، ومحاطة بخط عريض مذهب .

وكان مما طالَعْتُ من مخطوطات هذه المكتبة في المرَّة الأوْلىَ حين زُرْتُها :

٢ ــ كتاب « ترويح القلب الشجي ، في مآثر عبدالله باشا الجِتَهْ جَي » كتاب رقمه (II56) في ٧٧ ورقة من القطع الصغير ، ومؤلفه عمر بن محمد بن إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت

[illegible]

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ان ذلك
ستة الاف سنة ولذلك قال اهل الكتاب واحد وذلك اخذا
من عشيا ابو صالح عن كعب الف سنة بن معقل عن وهب مثله
[illegible] والاول الصواب لرواية بن عمر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم اجلكم في اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغيب
وقوله عليه الصلاة والسلام بعثت انا والساعة كهاتين وجمع
بين السبابة والوسطى وصح عنه مع ذلك ما رواه بن وهب
برفعه الى ابي ثعلبة الحشني انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لن ينقص الله هذه الامة من نصف يوم يريد اليوم الذي هو
مقدار الف سنة فاذا كان ذلك كذلك كان معلوما ان الماضي
الى ظهور الاسلام ستة الاف سنة وقد روي عنه صلى الله
عليه وسلم قول يدل على صحة القول الاخر وامح ما روي
في التاريخ عما ذكره [illegible] ان من الطوفان الى مولد ابراهيم
الى خروج عليه السلام الف وتسع وسبعون سنة ومن مولد
ابراهيم عليه السلام الى خروج موسى من مصر بني اسرائيل
الى التيه الذي مات فيه خمس مائة سنة وخمس وستون سنة
ومن ذلك الوقت الى اربع من ملك داود وهو وقت ابتداء لبنا بيت
المقدس الى ملك الاسكندر سبع مائة سنة وسبع عشرة سنة
ومن مولد المسيح بن مريم الى بعث محمد صلى الله عليه وسلم

[الصفحة الثانية من الورقة « رسالة الحفظي »] تمت

الوكيل ، والنسخة حديثة الخط .

وقد حفزني لمطالعة هذا الكتاب تعلّقُهُ بأحد أمراء الحج الشامي ، من ولاة الأتراك في القرن الثاني عشر الهجري ، وهو عبدالله باشا (جِتَهْ جِي) ــ أي الفارس ــ الذي كان والياً لدمشق سنة ١١٧١ ومات أو قتل سنة ١١٧٤ وقد تولى إمارة الحج الشامي سنتي ١١٧١ و١١٧٢هـ وكان سَيِّءَ المعاملة للعرب الذين تقع مناهلهم وبلادهم في طريق الحج ، وقد نشرت في مجلة « العرب » س ١٢ ص ٣٥٣/٣٩٦ ــ رسالة عنوانها « النَّفْحُ الْفَرَجِي في الفتح الجِتَهْ جِي » للسيد جعفر بن حسن البرزنجي المدني المتوفى سنة ١١٧٧ ــ تتعلق بأمير الحج المذكور ، وتَصِفُ جوانبَ من مواقفه مع العرب ، مما هو من صميم تأريخ بلادنا ــ كهذه الرسالة ــ .

٣ ــ وطالعت مخطوطا عنوانه : « البدر الطالع من الضوء اللامع » ومؤلفه أحمد ابن محمد بن محمد بن عبدالسلام المنوفي الشافعي يقع في ٢٣٧ ورقة ، في التراجم ورقمه (I33) لخص فيه مؤلفه تراجم من كتاب السخاوي ، ولم يُضِفْ جديدا .

٤ ــ كما اطلعت على كتاب بعنوان : « البدر السافر وتحفة المسافر » في التراجم أيضا ، يبتدئ بالأسماء المبدوءة بحرف العين ، في ٣٠٩ من الورق ، جاء في آخِرِه : (وكانت وفاته بالاسكندرية ، في السابع عشر من شعبان سنة ٦٦٢ ، وقد اتفق في هذا التصنيف شيء عجيب ، ابتدأته بصالح وختمته بصالح ، فكان من الاتفاق الغريب ، وأنا استغفر الله فيما فرط . . . فرغت من تأليفه يوم عرفة سنة ٧٤٢ بالمدرسة الصالحية ، في القاهرة المعزية . .) .

أبو هريرة وكوجكا :

لا صلة لهذا باسم الصحابي الجليل عبدالرحمن بن صخر الدَّوسي الزهراني ، ولا برواية الكاتب التونسي محمود المسعدي « قال أبو هريرة » وإنما هو اسم قصة كتبها أديب عراقي معروف ، هو ذو النون أيوب ، وهي تصور فترةً من حياته ، عاشها متنقلا بين مدينتي (براغ) و (فينا) فوصف ماعانى من صروف الدهر

مصر في عمران المدينة وصلاحها تعاجله عمرو وهو اللازم
فكان سعر المدينة كسعر مصر لا صلاحا
والبئر مقدار اربعين فرسخا وقيل انه تسع فراسخ في مثلها واول
حده ما بين قبر ابي جهم وبطن بحد وفيه مات موسى وهارون
عليهما الصلاة والسلام وبطن بحد قبر ليس فيها ولا شجر
يسكنها نفر من الناس ويقال له ايضا بطن نخل لسواد نخل
على الناس فيه تراب رقيق كانما نخل بمنخل • كل بحمد الله •
• وعونه ولطفه ومنه وجوده وفضله وتوفيقه •
• وحوله وقوته وكرمه وكانا الفراغ من كتب هذه النسخة •
• يوم الاحد المبارك عشرين شهر شوال •
• من شهور سنة تسع وثمانين وتسع مائة •
• من الهجرة النبوية والحمد لله •
• وحسبنا الله ونعم الوكيل •
• ولا حول ولا قوة • الا بالله العلي • العظيم •

في نوبة سيدنا ومولانا
سيد امام المرسلين
وسيطه

وتقلباته ، ومن تغير أنماط الحياة في هاتَيْنِ المدينتين ، واختلاف النظم الاجتماعية فيهما ، ولهذا أضاف إلى العنوان (قصة مدينتين) .

ماكنت أهوى قراءة القصص ، ولقد حاولت ذالك أثناء الدراسة في (المعهد السعودي) في مكة في عشر الخمسين من القرن الماضي ، فاقتنيت مجموعة من قصص جرجي زيدان (روايات تاريخ الإسلام) وحاولت أن أُكْمِلَ قراءة بعضها ، فكان يدركني السأم فألقي بالقصة لأتناول كتابا غيرها ، فلماذا أكملت قراءة هذه ، لهذا الكاتب العراقي ، بل حرصت على الاجتماع به ؟!

في مساء هذا اليوم (١٤٠٧/٩/١١هـ ـ ١٩٨٧/٥/٨م) زارنا الأستاذ طَرِيْفٌ السمَّان ، وله بالأستاذ عبدالله سابِقُ معرفةٍ ، وهو ذو صلة بالمركز الإسلامي في فينا الذي كان للشيخ عبدالله حين كان سفيرا في هذه البلاد أثرٌ قويٌّ في الإسهام في إنشائه ، فجرى الحديث بينهما حوله ، فكان أن ذكر الشيخ الخيال أنَّ لديه مجموعة من الكتب ، ومن بينها عددٌ من المؤلفات باللغة الألمانية ، اشتراها مع أثاث المنزل الذي اشتراه ، ولا يعرف محتواها ، وهو يرغب إهداءها للمركز الإسلامي ، لتضم إلى مكتبته ، ودعا الدكتور السمان للاطلاع عليها ، فكان أنْ ذهبتُ في صباح اليوم الثاني مع الشيخ عبدالله للاطلاع على تلك الكتب وغيرها ، فوقع نظري على مجلد صغير ، غريب في مظهر غلافه ، وفي شكل طباعته ، فقد طبع بطريقة التصوير بعد كتابته بخط اليد ، كتابةً ليست جيدة ، وزُيِّنَ برسوم غير متقنة ، على ورق خشن غير صافي اللون ، وبينما أنا أقلب صفحاته إذْ التقى نظري بجملة ـ استوقفتني ـ بل شَدَّتْني إلى الاسترسال في مطالعة الكتابة هي : (لقد أخذتُ أَتَصَيَّدُ الأدوية الحديثة المقاومةَ لِتَخَثُّر الدَّم ، الفاتِحَةَ للأوعية والشرايين) إلى : (إنَّ التفكير في أمور الدنيا وتَوَقُّعَ الأذَى ، وكَثْرَةَ الْحَذَرِ هي التي تَنْخَرُ جسمَ الإنسان وعَقْله كما ظهر لي) . آه ! لقد كان ما قرأت ينطبق عليه المثل العربي القديم (حَرَّكْ لها حُوَارَهَا تَحِنَّ) . إنَّ الكاتب مثلي مُصَابٌ بمرض القلب ، ثم هو يَتَصَيَّدُ الأدويةَ لعلاج ما أصابه كما أتصيدها ، وفوق ذالك فله من تجاربه الطويلة ماقد يفيد أمثالي لمقاومة ذالك الداء .

لم أَضَعِ القصةَ من يدي حتى اسْتَرَحْتُ إلى أنني بحاجة إلى إكمالها ، إذْ وجدتُّهَا ذاتَ أُسلوبٍ يغاير ما اعتاد القصَّاصون إبرازَ قصصهم به من حيث الإغراب في الخيال ، والتَّعمُّق في الرمزيَّة ، والبعد بالقاريء عما ألفه من واقع حياته ، إنَّها أقربُ إلى سَرْدِ حوادِثَ أقربَ ما تكون إلى الواقع ، بعبارات واضحة ، فهي أشبه بالمذكرات اليومية منها بالقصص الخيالية ، بل هي كذالك ، لولا ما تصوره من بعض جوانب حياة كاتبها ، فتبدُو تلك الجوانبُ أغربَ من الواقع المألوف ، وما كان هذا الكاتب مُبْعِدًا عن الحقيقة إذ قال ــ وهويتحدث عن هذه القصة ــ : بأنه أهداها لأحد السفراء ، فأسهرته ليلة كاملةً ، ولم يستطع إلقاءها من يده حتى أكملها ، وطالب كاتبها بِدَوَاءٍ ضِدَّ أَرَقِهِ تلك الليلة(٥) .

ولعل من بواعث الرغبة في إكمال قراءتها تلك اللمحات التي تَبْدُوْ من خلال شرح مواقف الكاتب أثناءَ إصابته بالمرض ، أو اتِّصاله بأحدِ الأطباء الذين كان يسخر من النصائح المشددة التي يوجهونها إليه ، فيقرأ في بعض الكتب بطلانها ، حتى وُفّقِ لِطبيبٍ حذَّرَهُ من الإفراط في أي شيء، وأكد له أَنَّ الإنسان الْحَذِرَ العاقَل يستطيع أن يعالجَ نفسَهُ أكْثَرَ مِنْ الطبيب ، إذا زُوِّدَ بالمعلومات الكافية عن مرضه ، ونصحه بإزالة مايشعر به من قلق ، وما يعتريه من كثرة الهموم ، وبِممارسة أيِّ عمل يهواه للتخلص من التفكير فيما يزعجه ، فاختار الرسم والكتابة ، فنصحه بالاشتغال بهما ، قائلا : ربما كانا لك أحسنَ من كل دواء . ثم وصف ما اعتراه من الاطمئنان بقبول نصح هذا الطبيب .

لِأَدَعَ هذا الجانب من القصة الذي قد يكون ألصق جوانبها بنفسي ، إنها تصور حياة رجل كان في صغره يألف القطط ، ويُعْنَى بتربيتها ، وقَلَّ أن يشاهده أحد من لِدَاتِهِ في صغره إلا ومعه واحدة منها ، ولهذا لزمه لقب (أبي هريرة) ثم طَوَّحَتْ به الحياة خارج وطنه في مدينة (براغ) فعرف إحدى فتياتها ، وهي في سِنِّ إحدى بناته ، ولكنهما تآلفا حتى توطَّدَتِ العلاقة بينهما بالزواج ، مع ما بينهما من الفوارق الاجتماعية والفكرية ، ولكن السعادة لا تخضع غالبا لما هو متعارف بين عالم الإنسان من فوارق ، وحاول كاتِبُ القصة أن يَجْلُوَهُ للقاريءِ خلالَ استعراضِه

لحياتهما حقبةً طويلة من الزمن ، متنقلا بين مدينتين تخضعان لنظم من الحياة في غاية التغاير والاختلاف ، فلم تؤثّر فيما بينهما من تآلُفٍ وتَوَاؤُمٍ وسعادةٍ ، ولايزالان ينعمان بكل ذالك .

لقد اجتمعت ليلة الثلاثاء (١٥/٩/١٤٠٧هـ ــ ١٢/٥/١٩٨٧م) في فندق (هِلتُنْ) بالأستاذ ذي النون أيوب ، ومعه أليفةُ حياته وقرينته ، التي دعاها (كوجكا) أي قطة فغبطت الرجل على ما يبدو به من تفاؤل ومرح ــ مع كونه في عشر التسعين من عمره[٦] ــ وعلى ما تحوطه به زوجته من الرعاية والعناية ، وعلمتُ أنَّ حكومته ــ بعد أن ذاق من تقلب الحكومات في بلاده ماذاق من قطيعة وحرمان من الحقوق ــ شملته برعاية خاصة ، أعادت لنفسه الطمأنينة في حياة رخيَّة ، كما نَشَرَتْ جميع آثاره التي طبعها بين سنتي ١٩٣٦ و١٩٧٠م في أربعة مجلدات الثلاثة الأولى تضم مجموعة من القصص والروايات ، والرابع يحوي مختارات من مقالاته المنشورة ، وله كثير غير ذالك من القصص المؤلفة والمترجمة مما لم ينشر ، وهو دؤوب على الكتابة ، ويرى هذا استمرارا لبقائه ، وأنه لا معنى للحياة بدون ذالك ، وهذا ما دفعه إلى محاولة إيجاد الوسيلة التي تمكنه من نشر مؤلفاته في (فينا) حيث اقتنى آلة طبع صغيرة ، من نوع ماكان يعرف باسم (البالوظة) التي تطبع بواسطة التصوير ، فَيُكْتَبُ مايراد طبعه بصورة واضحة ، ثم يصور بطريقة خاصة يسهل بها إبراز نسخ عديدة منه ، وكذا فعل بقصته « أبو هريرة وكوجكا » وببعض مؤلفاته ، ومنها بعض أجزاء مذكراته « ذو النون أيوب ، قصة حياته بقلمه » وقد نشر منها سبعة أجزاء صغار ، عن ذكريات طفولته من سنة ١٩٠٨م حتى سنة ١٩٥٨م .

ومن الطريف أن الأستاذ ذا النون كان تلك الليلة يبدو مسروراً مبتهجا ، فقد زاره منذ أيام الأستاذ إسماعيل عارف[٧] وهو من أصدقائه ، ومعه ثَرِيٌّ عراقيٌّ معروفٌ ، يدعى حَمِيد نجيب ، فوعده الثريُّ بأنه سيتولى نشر جميع مؤلفاته ومؤلفات صديقه الأستاذ عبدالحق فاضل ، أحد أدباء العراق المعروفين ــ إذ سينشيء مطبعة في إحدى المدن الأوربية لتلك الغاية ، ويقدم المؤلفات مطبوعة للأديبين ليستفيدا بريعها .

عودٌ إلى المكتبة العامة في فِينَّا :

ومن أنفس ما طالعت في هذه المكتبة من المخطوطات مجموعٌ يضم رسائل للأصمعي ومعها رسالة لِقُطْرُب ، كان الأستاذ الدكتور طَريف السَّمَّان قد تحدَّث عن هذا المجموع في كُتَيِّبٍ (كتالوج) أُصْدِرَ عن معرض للفن الإسلامي الذي اقامته المكتبة العامة في فينا منذ بضع سنوات ، ونُشِرَ في الكتيب انموذج مصورٌ لإحْدَى صفحاته ، فاستهواني حسن الخط وقدمُهُ للاطلاع على ذالك المجموع ، فإذا هو على درجة من الأهمية بحيث استرسلت في تصفحه كاملا ، ولم اقنع بالوصف الوارد له في الكتيب الذي اتحفني به الدكتور السمان ، ولكنني سأورد بَعض مافيه : (أوراق شرقية قديمة بنية اللون سميكة ٧٥ ورقة (١٤٩ صفحة) مقاس ١٦٢×١٤٠م م بخط النسخ المتطور من الكوفي في حوالي منتصف القرن الرابع الهجري ، مشكل بالحركات والنقط ، ونهاية الجمل مميزة بدائرة بداخلها نقطة .

وقيمة هذا المجموع لا تكمن في كونها علمية هامة ، ولكنها كبيرة من ناحية الخط ، إذ خط هذه المجموعة يعتبر مثالا هاما لتطور الخط من الكوفي القديم إلى الخط المستدير النسخي) . هذا ملخص ذالك الوصف .

وأضيف إليه : إن الكتابة مع جودتها وعناية الكاتب بتشكيل الكلمات قد يقع فيها بعض الأخطاء مما صُحِّحَ بعضُه في الهامش ، وقد يخالف الكاتب القاعدة الإملائية المعروفة في كتابة بعض الكلمات كإلحاق الألف بعد واو الفعل وإن لم تكن واوَ جماعةٍ ، وعدم كتابة الهمزة في الكلمات المهموزة ، وغير ذالك مما سيلاحظه القارئ من النماذج المصورة هنا ، وأعود لِتصفح المجموع :

صفحته الأولى تحوي بعد ذكر أحد ملاكه وهو (عبدالقادر بن عمر البغدادي الكيلاني) ولعله العالم المعروف صاحب « خزانة الأدب » وغيرها من المؤلفات ، ثم (هذا مجموع فيه كتاب خلق الانسان ، وفيه كتاب الوحوش ، وفيه كتاب الْفَرْق ، وفيه كتاب الإبل ، تأليف عبدالملك بن قُرَيبٍ الأصمعي ، وفيه أيضا كتاب ماخالف فيه الإنسان ، البهيمة لِلْقُطْرب ، وفيه أيضا كتاب الأضداد عن

الأصمعي) . وهذه الصفحة كتابتها تغاير كتابة الأصل ، فهي حديثة .

أمَّا الأصل فيبدأ بعد البسملة بجملة : (ما يُذْكَرُ منْ حَمْل المرأة وولادتها والمولود ،قال أبو سعيد عبدالملك بن قُرَيْبٍ الأصمعيُّ : يقال للمرأة في أولِ ما تَحْمِلُ : نَسِئَتْ وهي نِسٌ[٨] ، كما تَرىَ ، فإنِ اشْتَهَتْ على حَمْلِها شيئًا فهي وَحْمَى ، والمصدر الْوَحَمُ) (انظر ص ١٥) .

ثم في الورقة الـ (٤٠) : (وفي الرِّجْلِ الْعَرَجُ والْقَزَلُ ، فَالْقَزَلُ أَسْوَأُ الْعَرَجِ ، يقال : عَرِجَ يَعْرَجُ عَرَجًا ، إذا حدثَ فيه عَرَجٌ ، وعَرَجَ يَعْرُجُ عَرَجَانًا ، إذا مشىَ مشيةَ الْعُرْجَان .

ثَمَّ كتابُ صفة خلق الإنسان .

هذا كلام ذكره الأصمعي في آخر صفة خلف الإنسان : (ومما يكون في النساءِ دونَ الرِّجَالِ الْإِسْكَتَانِ والأَشْعَرَانِ وهما ما يلي الشَّفْرَيْنِ ...) ألخ .

وبعد خمسة أسطر في الورقة الـ (٤١) : (وهي جلدةٌ فيها ماءٌ ينشقُّ على رأس الولد عند خروجه ، وهو من الناقة السُّخف ، والسَّابِيا ، والمخاض في البهايم والناس ، ولا يكون الطَّلْقُ إلا في الناس) .

آخر الكتاب : قال أبو سعيد : (الضَرْبُ من الرجال الخفيف) . وبعد ثلاث صفحات ونصف الورقة الـ (٤٢) : (وقال رؤبة :[٩] :

وعـاش لَوْ سَـأَلَتْهُ أُمّـهُ أَلُـوْسَـا أَوْ أُخْتُـهُ لَمْ يُعْطِهَـا[١٠] دَرِيْسَـا
يَـالَـيْتَـهُ لَمْ يُـعْطَ هَلْبَسِيْسَـا وعَـاشَ اَعْمَى مُقْعَـدًا سَـرِيْسَـا
حَتَّى يَضُمَّ الْوَارِثُونَ الْكِيْسَا

الألوسُ : الشيءُ اليسير. والدريس ؛ الثوب الخلق ، والجميع دِرْسانٌ ، ويقال : ماله هَلْبَسِيْسٌ أي ماله شيء[١١] ، وهذه كلمة تقال في النفي لا يقال : له هلبسيس ، إنما يقال : ماله هلبسيس .

هذا كتاب أسماء[١٢] الوحوش وصفاتها .

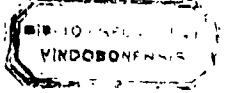
VINDOBONENSIS

هذه صفة الحمار ، قال أبو سعيد الأصمعي : هو الحمار والعير والمِسْحَل) . . . الخ .

وفي الورقة الـ (٥٢) : (وقال عمرو بن معدي كرب الزبيدي :

لَهُ السِّرحَان مفترشًا يَدَيْه كَأَنَّ بَياضَ لَبَّتِهِ الصَّدِيْعُ

تَمَّ كتاب الوحوش عن الأصمعي .

كتاب الفَرْق عن الأصمعي .

هذا كتابُ ماخالفَ فيه الإنسانُ البهائَم والسِّباع عن الأصمعي .

قال : يقال فَمُ الإنسان ، وفيه ثلاث لغات فَمٌ وفُم وفِم) .

ثم في الورقة الـ (٥٨) : (تم كتاب الفرق عن الأصمعي .

هذا كتاب ماخالف فيه الإنسان البهيمة من قَرْنِهِ إلى قَدَمِهِ عن قطرب (ثم كلمة غير واضحة كأنها محمد) .

وفي الهامش بخط قديم مغاير لخط الأصل : (بدأ بقراءة هذا الكتاب كتاب الفَرْق يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة احدى وستين وثلاثة مئة على الشيخ أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي صاعد بن . . . بن زهرون الصابي وسمع اسحاق بن أحمد بن عبدالرحمن الكاتب ، والحسن بن ابراهيم) .

وفي الهامش ايضا : (حدثنا الفقيه أبو سعيد قراءة عليه ، قال : اخبرنا أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، قال : اخبرنا محمد بن الجهم أبو عبدالله ، قال : سمعت قطربا النحوي بإملائه علينا سنة خمسين (؟) ومئتين : قالوا في مثل الفم من الانسان الفَمُ والفُم والْفِمُ) ثم الاسترسال في الكتاب . (انظر ص ١٧) .

وفي الورقة الـ (٩٠) : (وأنشد للطرماح :

كَأُمِّ الْحُبَيْنِ لَايَرَى النَّاسُ غَيْرَهَا وغَابَ حُبَيْنٌ حيث زَاغَتْ بنو سعد

فأخل الألِفَ واللام .

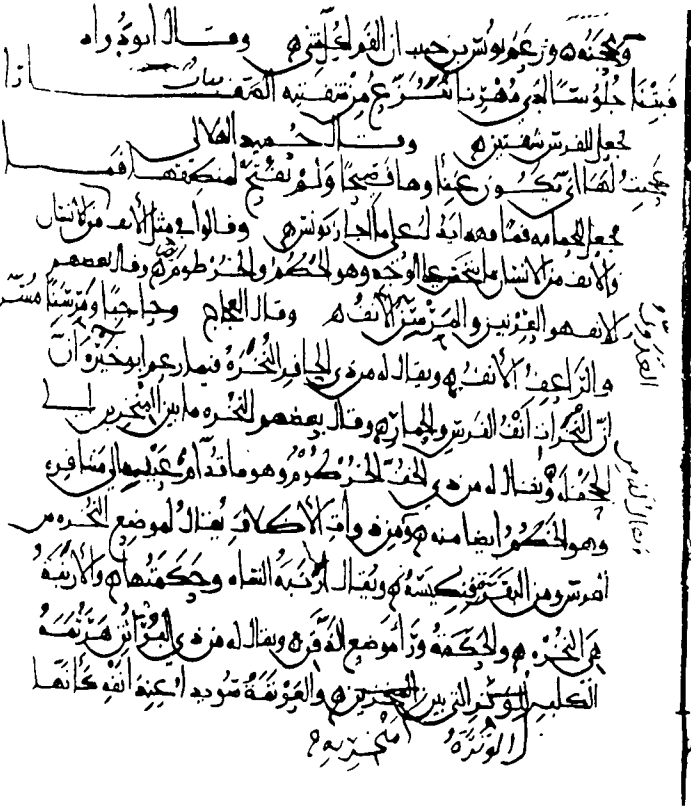

[صورة الورقة الـ ٥٨ من المجموع]

تَمَّ كتابُ ماخَالَفَ الانسانُ البهيمةَ وأحوالها عن قطرب والحمد لله رب العالمين) .

وفي أول الورقة الـ (٩١) بعد البسملة : (تقول العربُ : قد بان الأمرُ ، وأبان ، ونال وانال إذا حان ، وقد نار الأمر ، وأنار إذا وَضَح وتبين ، وقد عاضه وأعوضه إذا عَوَّضَهُ شي من شي[١٣] . إلى الصفحة الثانية من الورقة الـ (٩٤) فتلك الصفحات تحتوي على مجموعة من الأفعال الماضية المجردة التي لا يتغير معناها إذا زِيدت في أولها الألِف ، كما تحوي كلاما حول مخارج الحروف ، مثل (إذا جاءت السين وبعدها الطاء أو قاف أو غين أو خاء وإن كان بينهما وبين السين حرف أو حرفين (؟) ، انقلبت السين صادًا في لغة بني العنبر من تميم ، والعلة في ذالك أن السين من مخرج الصاد وهما من حروف الصفير ، غير أن الصاد) . . . الخ .

وفي أول الصفحة الثانية من الورقة الـ (٩٤) بين السطور بخط مغاير لكتابة الأصل : (بدأ بقراءتي على الشيخ أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي النحوي وأنا أنظر في كتابي وأصل الشيخ الذي قرأته على أبي بكر بن دريد يُنظر (ثم كلمات غير واضحة) الطوسي يوم الثلاثا لسبع خلون من ذي القعدة سنة احدى وستين وثلاث مئة وسمع محمد بن اسحاق الطوسي ، وابن سكرة الهاشمي ، ومحمد بن علي الصبريني (؟) .

ثُمَّ كتاب الإبل عن الأصمعي .

قال أبو سعيد عبدالملك بن قُريبٍ الأصمعيُّ : أجودُ وَقْتٍ يُحْمَلُ فيهِ على الناقة أَنْ تُجَمَّ سنةً ويُحْمَلَ عليها فيقال : قد أُضْرِبَتِ ٱلفَحْلَ ، وأَضْرَبَها الْفَحْلُ) . . . الخ .

وفي الورقة الـ (١٣٥) : (ويقال فَرَسٌ حَتٌّ إذا كان سريعا .

تم كتاب الإبل من تأليف أبي سعيد عبدالملك بن قُرَيب الأصمعي ، والحمد لله كثيرا .

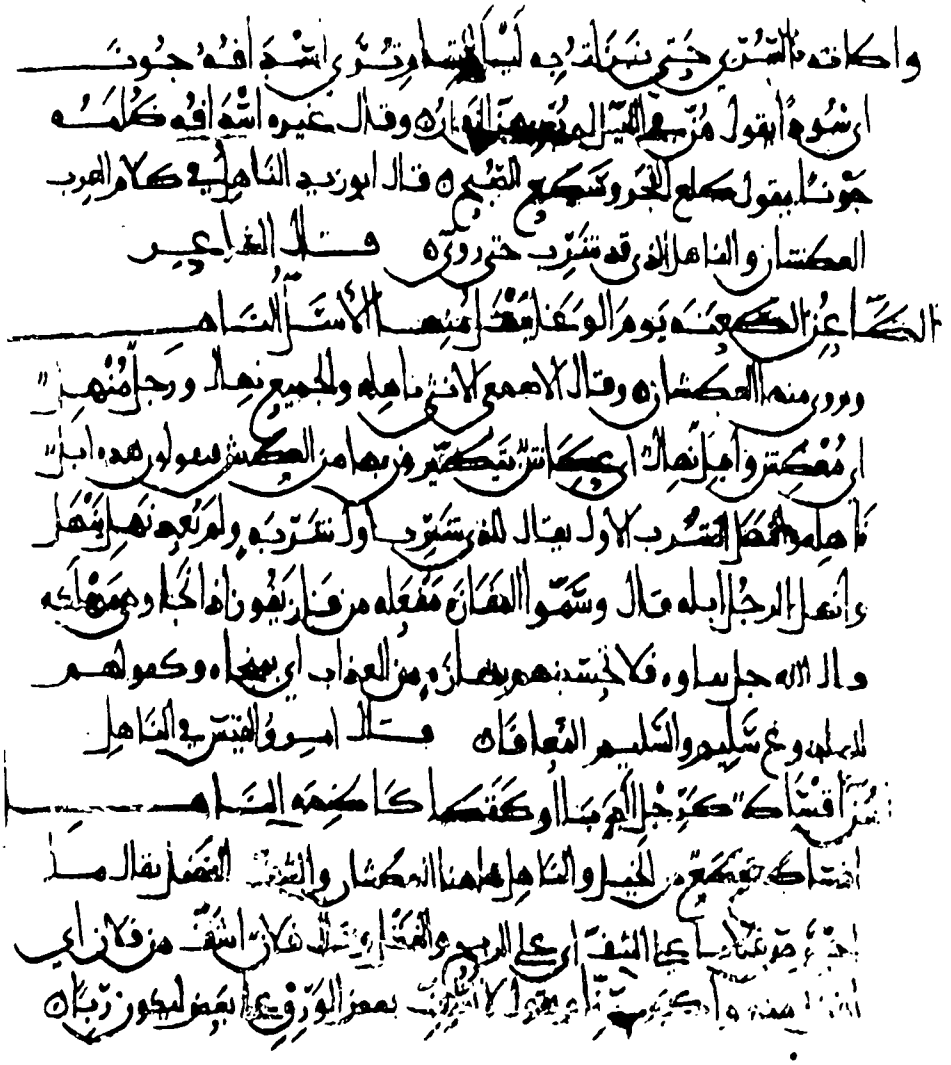

[صورة الصفحة الأخيرة]

كتاب الأضداد عن الأصمعي) .

ثم في أول الورقة الـ (١٣٦) : (قال الأصمعي : ٱلْقُرْءُ[١٤] عندَ أهلِ الحجاز الطُّهْرُ ، وعند أهلِ العراق الحيض ، وقال أبو عَمْرِو بنُ العلاءِ : يقال : دفع فلانٌ إلى فلانة جاريةً يُقَرءيها[١٥] ، مهموزة مشددة يعني تحيض عندها وتَطْهُر إذا أراد أن يشتريها) .

وآخر المجموع في الورقة الـ (١٤٦) : (قال امرؤ القيس في الناهل :

إذْ هُنَّ أقساطٌ كَرِجْلِ الدَّبَا أوْ كَقَطَا كَاظِمَةِ النَّاهِلِ

أَقْسَاطٌ : قِطَعٌ من الخيل . والناهِلُ هاهنا : العطشان . والشفُّ : الفضل ، يقال . . .[١٦] غلاما على الشف أي على الربح والفضل ، ويقال : فلان أَشَفُّ من فلان ، أي افضل منه وأكبر سِنًّا ، وتقول : لا تُشِفَّ بعضَ الورقِ على بعضٍ ليكون رِباً) . ثم ينتهى المجموع . (انظر ص ١٩) .

وفي بعض الصفحات حواشي منها :

١ ــ ق ٦ : (قال الشيخ أبو محمد الحسن بن علي) .
وكذا في (ق ١٣) : (قال الشيخ أبو محمد) .

٢ ــ ق ٤٢ : (والمحق الطويل) وفي الهامش : (قال أبو محمد : انما هو المِحق بكسر الميم) .

٣ ــ ق ٤٣ : (والبرِم الذي لا يأخذ في الميسر) أبو محمد : إنما هو الذي لا يدخل في الميسر .

٤ ــ ق ٦٨ : (بلغت قراءة أبي منصور صاعد بن زهرون الصابي) .

٥ ــ ق ٧١ : (بلغت قراءة أبي منصور صاعد بن زهرون الصابي وسمع أحمد بن محمد الخلال ومحمد بن عبدالصمد . . والمحسن بن إبراهيم الصابي) .

٦ ــ ق ٧٣ : (بلغت قراءة صاعد بن زهرون واسحاق بن أحمد بن محمد الخلال والمحسن بن إبراهيم وعلي بن محمد الهاشمي ومحمد بن أحمد الخلال ومحمد بن علي الصرىى والحسن بن ساب و . . . وعبدالواحد بن أحمد وابنه محمد) .

ولا تفوت الإشارة إلى أنَّ رسائل الأصمعي التي في هذا المجموع قد نُشِرَتْ باستثناء الكتاب الأخير ، فلا أعرف شيئا عنه ، ولكن مما لا شك فيه أن قِدَمَ خَطِّ هذا المجموع ، وصحة ضبطِ كتابته ، مما يعين على تصحيح كثير من النصوص المنسوبة إلى الأصمعي في معجمات اللغة المشحونة بالنقول عنه ، ومن هنا تبرز قيمة ذالك المجموع .

لم أَكُنْ على درجة من الصحة تمكنني من التردد على هذه المكتبة التي تحوي نفائس من المخطوطات .

واطمأننت حين أخبرني الأخ الدكتور طَرِيف السمَّان أن الأستاذ الدكتور أحمد ابن محمد الضبيب ــ وكيل جامعة الملك سعود الآن ــ سبق أن زار هذه المكتبة حين كانت يتولى عِمَادة شئون المكتبات ، وأنه اختار مجموعة من مخطوطاتها ، فصورت على أشرطة (ميكروفلم) ضُمَّتْ إلى مكتبة الجامعة ــ اطمأننت أن الدكتور الضبيب ــ وهو الخبير بنفائس المخطوطات ــ لم يدع منها ماله قيمة دون أن يصوره .

ولن أنسى ما قابلني به الأخ الدكتور طريف السمان من كريم العون والمساعدة ، فقد اكرمني ــ اكرمه الله ــ بتصوير ثلاثة من الكتب هي :

١ ــ « المسالك والممالك » للبكري النسخة الأولى قبل اطلاعي على النسخة الثانية .

٢ ــ « ترويح قلب الشجي » .

٣ ــ المجموع الذي يحوي مؤلفات الأصمعي .

حــول مدينــة فينــا :

لم يدع الابنُ الكريم الأستاذ عبدالله بن عبدالعزيز بن حسينَ الملحق الثقافي ــ لم يدع وسيلة يستطيعها ، من وسائل إكرامي أنا والأستاذ الشيخ عبدالله الخيال إلا بذلها ، فقد تجول بنا في ضواحي المدينة ، بحيث شاهدنا أبرز معالمها ،

كالجبل الذي وضع فوقه الأتراك المدافع أثناء محاصرة مدينة فينا ، وشارع (تابور) الذي بلغته عساكرهم ، كما أزارنا بعض القرى النائية الجميلة ، وشاهدنا هناك القلعة التي حبس فيها (ريتشارد قلب الأسد) القائد المعروف في الحروب الصليبية ، فعوقب حين هزمه صلاح الدين بالحبس ، حتى مات في تلك القلعة التي تثير مشاهدتها من الذكريات ما يعصر القلب ألماً وحزنا حين يذكر المرءُ قوة المسلمين في ذالك العهد وضعفهم في عصرنا الحاضر . لندع هذا لإيجاز ما أفضل به الابن الكريم وما أكثره ، فهو الذي عرَّف الدكتور السمان بي بحيث يسر لي الحصول على ما اردت الحصول عليه من تلك المصورات ، كما أفضل ــ زاده الله فضلا وتوفيقا ــ بايصالها إلي . وبالاجمال فمهما عبرت عن شكره إزَاءَ ما غمرني من فضله فلن يفي بحقه ، وفقه الله ورعاه .

حمـــد الجاســـر

[الحواشي] :

(١) كلمة ليست واضحة وكأنها (خروج) .
(٢) كذا والصواب (قبر أبي حميد) بالدال وهو المعروف الآن بقبر الشيخ حميد . و (نَخْل) وسيأتي .
(٣) كذا الكلام ناقص ولعله (ليس فيها نبات) .
(٤) كذا والصواب (لسوافي تسفي فيه ترابا دقيقا) ــ بالفاء ــ .
(٥) « ذو النون أيوب : قصة حياته بقلمه » القسم السابع ــ ص : ٢٢ ــ .
(٦) ولد في الموصل سنة ١٩٠٢ ، وذو النون من الأسماء المألوفة في تلك البلاد فهو لقب النبي يونس بن متى عليه السلام وهو من أهل نينوىَ التي هي الآن داخل عمران مدينة الموصل .
(٧) اسماعيل عارف كان وزير الثقافة (أو المعارف) في عهد عبدالكريم قاسم ، وهو من رجال الجيش ، وكان على جانب كبير من دماثة الخلق ، وقد عرفته أثناء حضوري (مهرجان الكندي ومرور ألف عام على إنشاء مدينة بغداد) وقد صدر له حديثاً مؤلف عن (ثورة ١٤ تموز) أطراه الأستاذ ذو النون أيوب كَثِيرا .
(٨) كذا بدون همزة في الأخيرة ، وبإثباتها في الأولى ، وكأنها مضافة بعد كتابة الأصل .
(٩) كذا (وعاش) وبها ينكسر البيت ، وليست في الديوان ، وكأنها مضروب عليها .
(١٠) في « ديوان رؤبة » ــ ٧٢ ــ : . . . لم يَكُسَها دَرِيْسَا .
(١١) بدون همزة .
(١٢) كذا (يقال) .
(١٣) كذا (عوضه شى من شى) ولعل الصواب (عوَّضه بشيء عن شيء) .
(١٤) كذا (القرو) بدون همزة .
(١٥) كذا والمراد (يُقَرِّئُهَا) .
(١٦) كلمة لم تتضح في التصوير .

« نصـرة الثـائر »
وملاحظات على تحقيقه

كتاب « نصرة الثائر على المثل السائر » ــ تأليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٦٩٦ ــ ٧٦٤هـ) تحقيق محمد علي سلطاني ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، تاريخ مقدمة المحقق ١٣٩١هـ/١٩٧٠م .

١ ــ الثائر على « المثل السائر » هو ابن أبي الحديد (عز الدين عبدالحميد بن هبة الله . . . المدائني المعتزلي ــ ٥٨٦ ــ ٦٥٦) في كتابه « الفلك الدائر على المثل السائر » الذي ألفه سنة ٦٣٣ يَرُدُّ بِهِ على ضياء الدين نصر الله ابن الأثير .

ومع ان كتاب ابن أبي الحديد مُهِمٌّ لدى تحقيق كتاب الصفدي ، وأنَّ المحقق رجع إليه ، وأحال عليه فإنه لم يتحدث عنه حديث الواقف عليه ولم يُعَيِّنْ الطبعة التي يحيل عليها ، ولم يُبَيِّنْ للقارئ ظروفها ، وهي ظروف سيئة مِنَ الوجهة العلمية . فهو يحيل ــ مثلاً ــ ص ١٨٧ في قوله : (أما ابن ابي الحديد ، فقد أجابَهُ عن دعواه ــ أي دعوى ابن الأثير ــ أنَّ الأنسان لا يحتاج إلى المنطق ، ولا إلى هذه العلوم ، في « الفلك الدائر » . . .) .

يَضَعُ رقما على « الفلك الدائر » يُقَابِله في الحاشية : في « المثل السائر » ٤/٤٠ ويَحارُ القارئ بِمثل هذه الإحالة على « المثل السائر » والمطلوب الإحالة على « الفلك الدائر » .

وما كانتْ هذه الحيرة لتقع لولا أمران : الأول أنَّ ناشِرَي « المثل السائر » دكتور أحمد الحوفي ودكتور بدوي طبانه ألحقا كتاب أبن أبي الحديد بكِتاب ابن الأثير ، فجاء في الجزء الرابع من طبعتهما (دار نهضة مصر) مبتدئاً من ص ١٢ ــ والأمر عجيب ، ولكنه وقع .

الثاني : أن محقق كتاب « نصرة الثائر » لم يعلم قارئه بطبيعة طبعة « الفلك الدائر » التي يحيل عليها ، ولو أعلمه لعرف أنَّ أيَّ إحالة على الجزء الرابع من « المثل السائر » بعد الصفحة ١٢ تعني الإحالة على « الفلك الدائر » .

وليلاحظ أن الطبعة الأولى لـ « الفلك الدائر » كانت (مطبوعة على الحجر سنة ١٣٠٩هـ وعلى نفقة الميرزا محمد الشيرازي) ــ وبالكتاب حاجة إلى أنْ يُطبع مستقلاً ، (وقد طبع أخيرا . . . بناء على ملاحظة صدرت عن كاتب هذه الملاحظات) .

٢ ــ الخطر في التأليف عن أدباء عصور مُتَأَخِّرة كالصفدي في القرن الثامن ألا ينظر إليه بحجمه الطبيعي فَتُضْفَى عليه صفات ليستْ فيه ، كأنْ يُعَدَّ صاحب موهبة في الأدب والنقد (ص ١٠) !!

٣ ـ للصفدي مؤلفات كثيرة قال المحقق : (وهاك ثبتا أبجديًّا بكتبه) وتنظر في الثبت ص ١٢ ــ ٢٠ فإذا هو على حروف الهجاء (الفبائي) وليس أبجدياً (أ، ب، جـ، د، هـ . . .) .

٤ ــ كان المحقق ينُصُّ على المطبوع من مؤلفات الصفدي . ولكنه لم يِنُصَّ على طبع « توشيح الترشيح » .

٥ ــ ص ٢٦ « نشر المثل السائر » و « طي الفلك الدائر » لأبي القاسم محمود ابن الحسين الركن السنجاري المتوفىٰ عام ٦٤٠ ، والكلام للحاجي خليفة في « كشف الظنون » (ط ١٣٠١ ، ٢/٣٧٥ ، ٦٠٠) وحسناً فعل إذْ نَبَّهَ في الحاشية وقال : (ترجمته في « هدية العارفين » ٢/٤٠٥ ، و« معجم المؤلفين » ١٢/١٥٩ وفيه وفاته سنة ٦٥٠هـ) .

ومعلوم أن « معجم المؤلفين » متأخر ولا تعني فيه الـ ٦٥٠هـ كثِيراً ما لم تُؤَيَّد بِمصدر قديم . ولدى المحقق مصدر موثوق به ، نادر في بابه هو الكتاب الذي يحققه « نصرة الثائر » للصفدي وفيه ص ٤٦ : (. . . الإمام ركن الدين أبو القاسم . . . صنف . . . كتابا يُرُدُّ فيه على ابن أبي الحديد ، وسمَّاه « نشر المثل وطي الفلك الدائر » قلت : . . . هو محمود بن الحسين ابن الإمام أرشد الدين الأصبهاني الأصل السنجاري المولد . . . قرأ على السيف الآمدي وعلى ضياء الدين بن الأثير . . . توفي بدمشق في سادس شهر رمضان سنة خمسين وستمائة ، ودفن بسفح قاسيون . ومولده سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة . . .) .

وأقل ما يعني هذا أن يعتمد المحقق على كلام الصفدي وهو يتحدث في مقدمته عن السنجاري ويقول في متن كلامه (السنجاري المتوفىٰ عام ٦٥٠) .

٦ ــ يقول المحقق ص ٢٨ : (من الثابت لديْنَا حتى الآن ، أنَّ كتاب « المثل السائر » في أوائل القرن السابع هو آخر حلقات السلسلة في كتب النقد العربية قبل العصر الحديث ، يَجفُّ بعده مِدادُ التأليف في هذا الميدان ، كما يبدو ، إلى أن يأتي الصفدي بكتابه « نصرة الثائر » حوالي منتصف القرن الثامن ، فكان هذا الكتاب بِرُوْحِهِ الشفيفة ، ومنهجه السليم وما يبدِو من ذَوْق صاحبه ، أكمل مصدر . . .) .

نقع في الثناءِ على الصفدي بروحه الشفيفة مرة أخرى في أخطار الأحكام (الكريمة) على مؤلفين متأخرين كالصفدي !!

هذا إلى أن التأليف في النقد قد جَفَّ قبل ابن الأثير ، ألم يأت قبله الرازي والسكاكي (مع معاصرة ملحوظة) .

وقد جاء « المثل السائر » غريباً في السلسلة قبله وبعده .

٧ ــ يذكر المحقق ص ٣٦ من صعوبات التحْقيق التي اعترضته الحصول على دواوين الشعراء الذين لهم دواوين مِمَّن يستشهد بهم الصفدي ، ومِنْ ثَمَّ الرجوع إليها للمقابلة . ولكني رأيته ينْسى الرجوع إلى دواوين مطبوعة مُيَسَّرَة ، ومنها ما طبع في دمشق نفسها وضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية نفسه .

اذكر ــ هنا ــ منها ــ مثلا ــ « ديوان ابن الخياط » فتيان الشاغوري ، الخالديان . . . الخ .

٨ ــ ص ٤٣ : (وكنت أَقِفُ على أطلالها عند المراجعة ناديا ، وأعصر في أذيالها حين المطالعة غالبا » .

ومعلوم جدًّا أنَّ الصفدي كاتب سَجَّاعٌ ، ويمكن إصلاح ما يرد من خطإٍ أحيانًا بالاستعانة بالسجع نفسه ، وعلى هذا فلابُدَّ من أن يكون ناديا : نادِبا وتكون الجملة هكذا : وكنت أقف على أطلالها . . . نادبا . . . غالبا . . .

٩ ــ ص ٥٧ : (ولعل ابن الأثير سامحه فيما أورده من كلامه في « المثل » و « الوشي المرقوم » و « المعاني المبتدعة » وغير ذالك من نسبة المقامات . .) .

التزم المحقق شَرْحَ ما يَرِدُ في المتن والتعليق عليه . . وقد سَكَتَ هُنَا عن « الوشي المرقوم » و « المعاني المبتدعة » . ونقول : إنهما ــ كما يفهم من السياق وبدلالة وجود « المثل » الذي هو « المثل السائر » . . أنهما أي « الوشي المرقوم » و « المعاني الْمُبْدَعَة » كتابان لابن الأثير . الأول مطبوع ، بيروت ، ثمرات الفنون ١٢٩٨ .

والثاني لم يصل لينا ، ولعله الذي يقصده ابن خِلكان بقوله : « المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء » .

١٠ ــ ص ٥٧ « أبو أسحاق الصابي هو إبراهيم بن هلال . . . (ت قبل سنة ٣٨٠هـ) انظر الفهرست ص ١٩٩ » . .

وابن خلكان يقول : (توفي يوم الاثنين وقيل يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلتْ من شوال سنة أربع وثمانين وثلاث مئة (٣٨٤) ببغداد وعمره إحدى وسبعون وذكر . . . ابن النديم . . . في كتابه « الفهرست » أن الصابي المذكور . . توفي قبل سنة ثمانين وثلاث مئة . . وهذا الذي ذكره ابن خلكان عن ابن النديم موجود في الفهرست فعلا : ولكن المحقق لم يختر الرواية الأولى (٣٨٤هـ) وهي مؤيدة في عشرات المصادر والمراجع : ديوان الشريف الرضي ، يتيمة الدهر ، ارشاد الأديب (معجم الأدباء) عن حفيد الصابي في تاريخه . . . زيدان ، الزركلي . . . ؟!

إن رواية الفهرست لم ترد ــ في علمنا ــ إلا في « الفهرست » ! والرواية الصحيحة هي ٣٨٤هـ .

١١ ــ ص ٧٦ : (ابن زيادة) ويتكرر ٧١ و ٧٧ وهو « البغدادي » .

رأيت الدكتور محمد قاسم مصطفى ــ وقد قرأ النسخة قبلي وعلق على أوهام فيها ــ يصحح الاسم في الهامش الأيمن ويكتب بالحبر الأحمر : (زَبَادَة ــ ٥٩٤

يحيى بن سعيد) وقد أعطانا بذالك مفتاح التصحيح . ونخف إلى ابن خلكان ، حرف الياء ، يحيٰ : و (أبو طالب يحيٰ بن أبي الفرج سعيد بن أبي القاسم هبة الله بن قِزِغْلي بن زيادة الشيباني الكاتب المُنشئ الواسطي الأصل البغدادي المولد والدار والوفاة . . . قال ابن الدبيثي : سألت أبا طالب ابن زبادة عن مولده فقال : ولدت يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسة مئة . وتوفيٰ ليلة الجمعة السابع والعشرون من ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمس مئة . . . وَزَبَادَة بفتح الزاي وهو قطعة من الزَبَاد الذي تتطيب به النساء والله أعلم) .

حين ورد : (ابن زيادة البغدادي ، ص ٧١ في كتاب له كتبه إلى الملك الناصر صلاح الدين) .

عَرَّفَ المحقق في الهامش بصلاح الدين وهو معروف جدًّا ، وأهمل (ابن زيادة) أي ابن زبادة ــ كما صار معلوماً وينظر الزركلي .

١٢ ــ لقد بذل المحقق جهودًا وَاضِحةً لدى التّعريف بالأعلام في الحواشي ولكن بين تلك الأعلام ما ليس به حاجة إلى تعريف كالمتَنّبي ، وأفلاطون ، وأرسطو ، والأعشى وجرير والبحتري وأبي تمام . . . وعثمان ، وعمر . . .

١٣ ــ في هامش ص ١١٧ : (ابن الشبل البغدادي واسمه محمد بن الحسين . شاعر حكيمٌ له ديوان (ت ٤٧٣هـ) انظر « الوافي بالوفيات » : ١١/٣ ، و « كشف الظنون » ٧٦٦ .

أ ــ قولنا : (له ديوان) يوهم القارئَ أن الديوان موجود أو مطبوع ، وليس الأمر كذالك وإنما كان لابن الشبل ديوان (وفقد) .

ب ــ المصدر الطبيعي الذي يُحال عليه بشأن ابن الشبْل هو العماد الاصبهاني « الخريدة » ــ قسم العراق . . . ثم إن وفيات الأعيان أقرب إلى القراء من « الوافي بالوفيات » .

١٤ ــ ص ٢١٧ : (قيل : إن الثلج وقع مَرَّة في بغداد ، فقال بعض شعراء ذالك العصر :

يـا صُدُورَ العـراقِ لَمْ نَـرَ ثَلْجًـا قَبْلَهَـا حَلَّ فِي نَـوَاحِي الْعِـرَاقِ
إِنَّمَـا عَمَّ ظُلْمُكُمْ سَـائِـرَ النَّـا سِ ، فَشَـابَتْ ذَوَائِبُ الْأَفَـاقِ

مَرَّ عَلَيَّ هذانِ البيتان ذات يوم ، وهما من شعر العصر السلجوقي ــ في القرن الخامس ــ السادس ــ ، وربما كان ذالك في كتاب « المنتظم » لابن الجوزي .

١٥ ــ ص ٢٩٣ : (في طلعة الشمس ما يغنيك عن زُحَل) .

وفي الحاشية : (عجز بيت للمتنبي ، وصدره : خُذْ مَا تَراهُ ودَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ به) ، ورواية أخرى للصدر : في طلعة البدر ــ اذكرها زيادة في الفائدة ليس غير .

١٦ ــ ص ٣٤١ : (في كتاب « الإعجاز في الأحاجي والإلغاز للحظيري) وكان (الحظيري الوراق) قد ورد ذكره ص ٢٢٠ ، وسيرد ص ٣٧١ ولم يُعَرِّفِ المحقق به ، كما أنه لم يثبت ص ٣٤١ هذه في فهرسه للأعلام ولم يثبت كتاب « الإعجاز في الأحاجي والألغاز » في فهرسه للكتب ، وليلاحظ أنه رسم (الإلغَاز) هكذا (!) ، وكأنها مصدر ألغز على حين هي جَمْعُ لغز ــ كالأحاجي ــ تكتب ألف الألغاز هكذا أ . . .

ولكن عرفه ص ١٢٠ عندما ورد باسم (الحظيري الوراق) فقال : (واسمه سعد بن علي بن القاسم الأنصاري . أديب من أهل بغداد . له ديوان شعر (ت ٥٩٨هـ) انظر « وفيات الأعيان » وقد أورده في فهرس الاعلام وكأنه شخص آخر غير الحظيري ذاك . . . هذا إلى أن الثابت في تاريخ وفاته هو عام ٥٦٨ ــ ينظر ابن خلكان ، والعماد الأصفهاني في « خريدة القصر » ــ قسم العراق .

١٧ ــ ص ٣٦٢ : (قال أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي . . .) .

عرّفَهُ الدكتور مصطفى جواد في حواشي كتاب « الجامع الكبير » لابن الأثير ، بغداد ١٩٥٦/١٣٧٥ ــ ص ٢ .

« قال السمعاني في « الأنساب » : (الغانمي . . . هذه النسبة لجد المنتسب إليه

تصحيح خطأ تاريخي :

لا علاقة بين الوهابية الرستمية ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية

ـ ١ ـ

إذا كان المثل يقول : (الناس أعداء ما جهلوا) . فإن بعض الناس أيضاً أعداء ما خالف شهواتهم وتعارض مع مصالحهم الشخصية .

والحكم الفصل فيما يجب أن ينطلق منه الفرد في رأيه وحكمه ، هو عرض الأمور على مصدر التشريع السماوي ، الذي لا يأتيه الباطل ، ولا يتطرق إليه الشك ، والاسترشاد بسنة الهادي البشير ﷺ .

والمسلمون في كل مكانٍ مأمورون ـ قبل انطلاقهم نحو وجهة نظر معينة في أمور

وهو الأديب محمد . . . من أفاضل عصره ، وديوان شعره سائر في الآفاق وهو من مداحي نظام الملك . . . » ـ فهو من أبناء المئة الخامسة وربما امتدّ به العمر إلى المئة السادسة . . له كتاب في البلاغة كما يفهم من كلام ابن الأثير عليه في « المثل السائر » . وله ذكر في كتاب الباخرزي « دمية القصر » وتوفىٰ الباخرزي سنة ٤٦٧ . وفي هذا ما يمكن أن يقرب تاريخ الغانمي .

١٨ ـ ص ٣٨٥ : (ومنهم مَنْ نظم « كُليلة ودمنة ») .

كذا وردت كُليلة بضم الكاف والمعروف أنها بفتح الكاف .

١٩ ـ ص ٤٨٥ : (« مرآة الزمان في تاريخ الأعيان » لابن الجوزي . . .) .

الصحيح : (مرآة الزمان . . . لسبط ابن الجوزي) إنه يوسف غِزْ أوغلي ابن بنت عبدالرحمن ابن الجوزي .

بغداد : د/علي جواد الطاهر

العقيدة ، وكل ما له صلة بالدين ، وقبل القدح أو المدح ــ أن يرجعوا لِمَصْدَرَيِ التشريع في دينهم وهما : كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، فمن أتى بشيء يخالفهما نُبِذَ ، ومن سار وفقهما قولا وعملا أُيِّدَ وَنُصِرَ .

هذا حكم فيما يجب أن يكون عليه الفرد المسلم ، وهو الوعي والإدراك ، والتحليل والتأكد ، بحيث لا يكون إِمَّعَةً ينقل صَدَى الآخرين ، وَيَسْتَغِلُّهُ أعداء دين الإسلام وهو لا يدري ، فينشأ عن ذالك فرقة في الصف الإسلامي . مما يفرح الأعداء المتربصين بالمسلمين الدوائر .

وقصة بني المُصْطَلِق التي نزل بشأنها قرآن يُتْلَى حيث يقول جل وعلا : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنْ جاءكم فاسقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أن تُصِيبوا قوماً بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾[1] فيها درسٌ عملي للفئة المؤمنة ، التي تحرص على دينها ، وعلاقتها بإخوانها المؤمنين ، بأن تتوثق من كل إشاعة ترمي إلى خلخلة الصف ، وَبَذْرِ الشَّحْناء ، وإتاحة الفرصة للفرقة ، فما أكثر الأعداء الذين يحاولون الضرر بالمسلمين ، وإيجاد مبررات التخاذل ، لمباعدتهم عن حقيقة الإسلام وصفائه ، وإدخال أشياء على المسلمين في دينهم هي من جذور طقوس الديانة اليهودية والنصرانية التي أفسدت حقيقة تلك الديانات السماوية من قَبْلُ بما دخلها من تبديل في محاولة دؤوب لبثها في صفوف المسلمين عن طريق بعض عُبَّادِهم وعلمائهم .

وهدفهم في هذا أن يتساووا معهم في المعصية والمخالفة ، ليسهل بذالك النفاذُ إلى المجتمع ، ثم عن هذا الطريق إدخال أشياء تُبَاعِدُ المسلمين عن الإسلام ، ومع الزمن والتساهل تتسع الشُّقَّةُ ، ويكثر البعد ، فيصبح الإسلام غريباً على أبنائه .

يروى عن سفيان الثوري ، (٩٧ ــ ١٦١هـ) رحمه الله أنه قال : من فسد من علماء المسلمين ففيه شبه باليهود الذين معهم عِلْمٌ ولم يعملوا به ، ومن فسد من عُبَّادِ المسلمين ففيه شبه بالنصارى الذين يعبدون الله على جهل وضلال . نسأل الله السلامة والعافية .

ومن هنا جاءت نقاوة الإسلام في التشريع ، وصفاؤه في العقيدة ، وسطاً في العمل ، ووسطاً في القول ، ووسطاً في الاعتقاد ، وقمة في العلاقة مع الله ، وقد جعل الله أمة الإسلام وسطاً بين الأمم في كل شيء قال تعالى : ﴿ **وكَذالك جعلناكم أُمَّةً وَسَطًا لتكونوا شهداءَ على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾[٢] .

فأمة الإسلام وسط بين رهبانية النصارى ، وغلوهم في عيسى عليه السلام اعتقاداً ، وفي عبادتهم بالضلال والجهل ، واتِّبَاعهم لرجال الكنيسة بدون فهم أو مناقشة . وبين تحايل اليهود وكذبهم ، وادِّعّائهم على الله جل وعلا ، وأنبيائه عليهم السلام ، بما تصف ألسنتهم ، وتعمدهم الضلال والإضلال ، وإخفائهم للحقائق العلمية والعقدية في الديانة التي جاءتهم من عند الله على ألسنة الأنبياء والرسل ، من باب الافساد والمخالفة .

والتاريخ الإسلامي يشير إلى أن الجهل فشى في المجتمعات الإسلامية في نهاية الخلافة العباسية بعدما كثرت اَلعُجْمَةُ ، وقل العلم ، وتأثر الناس بفلسفة الرومان ، وعلوم فارس والهند .

وقبل ذالك وفي أثنائه كان التأثر في أطراف الدولة أكثر ، حيث نشأت فرق كثيرة لها معتقدات متباينة ، ونماذج شتى في الاتِّجَاه والهدف ، وضع بذورها اليهودي عبدالله بن سبأ الذي أسلم مخادعة حتى وجد فرصة ملائمة لبث روح الفرقة بين المسلمين ، في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ ونشأت أول فرقة باسم الفرقة السَّبُئِيَّة وهو الذي أسسها .

وقد تحدثت بعض الكتب كـ « الملل والنحل » للشهرستاني و « الفِصَل في الأهواء والملل والنِّحَل » لابن حزم ، وشيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه وكتبه عن تلك الفرق ومعتقداتها ، وكيفية نشأتها ، وما تخالف فيه أهل السنة والجماعة ، ويمتاز ابن تيمية ــ رحمه الله ــ بالردِّ على بعض تلك الفرق ، والتنويه عن معتقدات أصحابها ، وأعمال البعض الآخر ، ومن يتتبع الحركات الفكرية العقدية الإسلامية في العالم الإسلامي ، منذ ذالك التاريخ ، يلمس هذا جَيِّدًا ،

حيث برز الصراع الفكري العقدي في المجتمع على أعقاب تعلق بعض المسلمين بفلسفة اليونان ، وعلوم فارس والهند .

والمجتمع الإسلامي لا يعدم وجود أناس يدركون ما تنطوي عليه تلك الأفكار، وما يندس في ثناياها من معتقدات ، وافدة على عقيدة الإسلام الصحيحة النقية ، فيصححون لمن حولهم ما أُدْخِلَ في بيئتهم ، وما يُرَادُ لعقيدتهم ، لأنَّ جميع الملل والنحل في الأرض تريد إضلال المسلمين عن دينهم الحق ان استطاعوا قال تعالى : ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دينكم ان استطاعوا** ﴾ سورة البقرة آية ٢١٧ .

وهذه حكمة أرادها الله في صراع الحق بالباطل لتسترشد العقول ، وتتفهم الأفئدة فيرجع للصواب من أراد الله به خيراً ، لأن الحق واضح بالدليل النقلي والعقلي . وهذا جزء من مهمات الدعوة والتوضيح التي حُمِّلَ بها بَنُو إسرائيل فتخلَّوْا عنها عنادا ومكابرة ، فكان لزاما على علماء المسلمين العارفين الخائفين من عقاب الله ونقمته ، الانبراء لدعوة الناس إلى المنهج المحمدي في العقيدة والعبادة ، وتصحيح مفاهيمهم العقدية حسبما أمر الله في كتابه ، ودعا إليه نبيه الكريم ، ثم ما سار عليه أصحابه ، ومن تبعهم باحسان امتثالا لأمر ، وتطبيقا في عمل .

ولا تعدم كل دعوة سليمة وصحيحة في كل زمان ومكان وجودَ أعداءٍ وخصوم ، أما عن جهل أو لتعصب شخصي ، أو لمآرب خاصة ، ومصالح ذاتية (فالهوى يُعْمِي ويُصِمُّ) ، فيحرك تلك النوازع أمثال هاؤلاء ليشهروا السلاح في وجه الإسلام علانية أو بالاستتار ، فيلصقوا التهم ضد الدعاة المخلصين ، ويستعينوا بالكذب والافتراء ، لبلبلة الأفكار ، ثم بِوضع الألقاب المنفرة لنزع الثقة من هاؤلاء الدعاة ، حتى يعمى الأمر على الغالبية العظمى من الناس ، وهم العامة الذين لا يقرأون ولا يبحثون .

ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية التصحيحية التي نَبَعَتْ من وسط الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر ، في وقت كان المسلمون ــ لا في الجزيرة

العربية وحدها ، بل في كل مكان ــ أَحْوَجَ ما يكونون إليها ، لإنقاذهم من الجهل الذي ران عليهم ، وتصحيح مفاهيمهم في أمور العقيدة ، والعبادات التي أفسدها الجهل بأمور الدين ، والاقتداء بعلماء يجهلون أمور دينهم ، كما أخبر بذالك الصادق المصدوق في قوله : « انما أخشى على أمتي العلماء المضللين الذين يفتون بغير ما أنزل الله فَيَضِلُّون ويُضِلُّون » .

فقد جاءت دعوة الشيخ محمد لإزالة ما علق بتعاليم الإسلام من شوائب ، وتصحيح ما أدخل على التوحيد ــ وخاصة توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ــ من مشاركة للمخلوق مع الخالق في صرف ماهو لله جل وعلا ، مقرونا بالمخلوق في العمل والاعتقاد ، وتعطيل أسماء الله وصفاته جل وعلا ، أو نفيها والسير خلف تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان .

فصار التوحيد ــ بأقسامه الثلاثة : الربوبية والألوهية ، والأسماء والصفات ــ مشوبا بما يُكدِّرُهُ ، حيث دخل عليها في المعتقد والعمل ما يصرفها عن حقيقتها ، نظراً للتأثر بالمعتقدات البعيدة عن المنهج الذي جاءَ به المصطفى ﷺ ، ثم الاقتداء بأصحابها بعد أن بهرهم القول ، وأعجبتهم المظاهر والدعوات ، لأمثال من قال الله فيهم : ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولَّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفَسَاد** ﴾[٣] .

وما ذالك إلاَّ لأن النفوس خَلَتْ من القاعدة المكينة ، وهو العلم والإدراك بما شرع الله لخلقه ، ومعرفة الحكمة من إيجادهم للحياة .

لقد نشأ عن ذالك الضعف العلمي نقص في الإدراك ، وتقليد للأمم الغالبة والمؤثرة ، فكثرت الطرق الصوفية التي بدأت برغبة دينية ، وحرصٍ على التَّبَتُّلِ والمحافظة على الإسلام ، فكانتْ بدايتُها طيبةً ، وهدفُها نبيل .

إلاَّ أن الجهل ورغبة التوارث لهذه المكانة الاجتماعية التي جاءت باسم الْمَنْصب الديني قد جاء برجال لا علم عندهم ، ولا قدرة لديهم في فهم رأيِ الشريعة الإسلامية في كثير من الأمور ، وهذا ماكان يخشاه ﷺ على أمته .

ومن ينظر في إزالة الحجب ، ورفع التكاليف وأعمال المريدين عند أكثر الطرق الصوفية والاقطاب ، ويربط هذا بالغفران لدى النصارى ، ومكانة أصحاب الألقاب في الكنيسة ، وطقوس الميلاد وصكوك الغفران ، يَرَ أنَّ أحدهما استمدَّ من الآخر ، في هذه الجوانب ، وفي جوانب أخرى ،

ولكي يعود للإسلام نقاوته وصفاؤه من كل شوائب دخيلة عن جهل أو تقليد ، سواء من الديانة اليهودية أو النصرانية ، أو من جذور الجاهلية فإنه لابُدَّ من الامتثال لأمر الله جل وعلا في مثل قوله سبحانه : ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عنك اليهودُ ولا النصارَى حتي تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ، قُلْ إنَّ هُدَى الله هو الهُدَى ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أهواءهم بعد الذي جاءكَ منَ العلم مالَكَ من الله من وليٍّ ولا نصير** ﴾[٤] .

وإن علماء المسلمين العارفين بأمور دينهم ــ فهما حقيقيا ــ لهم الذين عليهم دور التوضيح والإرشاد ، والتوجيه والتبيين ، حسبما يأمرهم بهذا مصدرًا التشريع في الإسلام : كتابُ الله وسنةُ رسوله الأمين ﷺ ، الصحيحة الثابتة التي خدمنا فيها علماء الحديث المعروفون ، وهذا ما يجب أن يعيه كل داعية ويهتم به كل عالم من علماء المسلمين .

وفي تاريخ الدعاة والمصلحين صفات مشرقة نتيجة اهتمامهم وانطلاقهم في دعوة الناس من ذالك النبع الصافي الفياض ، والْمَعِين الزاخر الذي لا ينضب .

والشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله واحِدٌ من ذالك الجيش الذي انتهج طريقا يتفق مع رسالة الصفوة الأولى من التابعين للاصلاح والعمل، فقد أدرك ما يعيش فيه مجتمعه من صوفية متطرفة ، رغم وفرة العلماء ، وماسار عليه أبناءُ جِلْدَتِهِ من تعلق بالقبور التي لا تنفع ولا تضر ، وتَبَرُّكٍ بالأحجار الجامدة ، ووضعٍ للكلام في غير محله .

فكان الناس يتعلقون بتلك الجمادات طلبا للنفع ، أو دفعا للضر ، ونَسُوا أن الله هو النافع الضار القادر على كل شَيْء ، وأن الله لا يقبل من العمل إلا ماكان خالصاً لوجهه الكريم .

لقد شَقَّ هذا الأمر عليه لما فيه من جُرْأَةٍ على الخالق بصرف القلب والعمل إلى غيره ، مع أنه هو المنعم والمتفضل سبحانه بكل شيء .

ويمكن وصفُ حالَةِ المجتمع الإسلاميَ في كل مكان ذالك الوقت ، وليس في نجد وحدها بما قاله المؤرخ الأمريكي (لوثروب ستودارد) بمثل هذه الكلمات : أما الدين فقد غشِيَتْهُ غاشيةٌ سوداء ، فَأُلْبِسَتِ الوحدانِيَّةُ إلتي علمها صاحب الرسالة سَجفًا من الخرافات ، وقشورَ الصوفية ، وخلت المساجدُ من أرباب الصلوات ، وكثر عددُ الأدعياءِ الجهلاء ، وطوائفُ الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان ، يحملون في أعناقهم التعاويذ ، ويوهمون الناس بالأباطيل والشبهات ، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ، وزينوا للناس التماسَ الشفاعةِ من فناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل القرآن ، فلو عادَ صاحب الرسالة إلى الأرض في ذالك العصر ، ورأى من كان يَدَّعِي الإسلامَ لَغَضِبَ .

هذه ــ كما قال الشيخ عبدالله خياط إمام جامع الحرم المكي الشريف ــ شهادةُ حق من عدو منصف ، لم يعرف عنه الدخول في الإسلام ، يصف واقع الإسلام والمجتمع الإسلامي في القرن الثاني عشر الهجري ، وما وصل إليه من الانحطاط والتدَنِّي[٥] .

ويقول الأمير شكيب أرسلان عن هذا المؤرخ : لو أنَّ فيلسوفا من فلاسفة الإسلام أراد تشخيص حالة الإسلام في هذه القرون الأخيرة ، ما أمكنه يصيب الْمَحَزَّ ، ويطبق المفصل ، تطبيق هذا الكاتب الأمريكي (ستداوارد) .

ونَجْدُ والجزيرة العربية ، لم تكن تختلف عن ديار الإسلام في ذالك الوقت ، فقد تغلب الباطل على الحق في أكثر ديار الإسلام ، وكثرت البدع والخرافات ، فالعلماء موجودون ولكنهم لا يرشدون الناس للطريق الأقوم ، بل أَضَلُّوهُمَ وأَفْسَدُوا عقائدهم .

وقد ذكر المؤرخان النجديان : حسين بن غنام الأحسائي ثم النجدي المتوفي عام ١٢٢٥هـ ، وعثمان بن بِشْرٍ المتوفي عام ١٢٩٠هـ ، نماذجَ مما آلتْ إليه حالة

الناس في العقيدة والعبادة في البلاد الإسلامية والعربية ، وفي نجد بصفة خاصة باعتبارهما يعرفان الأمرَ عن كَثَبٍ ، وعرفا واقع الناس ، فابن غَنَّامٍ الذي عاصر الدعوةَ من بدايتها وأدرك دورَ الشيخ محمد ومكانته في نقل الناس من حال إلى حال ، وتفانيه في سبيل الدعوة ، قد أحبَّ هذه الدعوة ، وأرخ لها ، وانتقل من أجلها من بلده الأحساء وسكن الدرعية حيث توفي فيها ، نراه في كتابه التاريخي يصف البلاد العربية عامة ونجدا بصفة خاصة ، ويضرب الأمثال بانحراف الناس إلى الوثنية بقبر زيد بن الخطاب الذي كان عليه قُبَّة ، وله مزار في بلدة ٱلْجُبَيْلَةِ قرب الرياض ، إلى جانب قبور وقباب أخرى لبعض الصحابة الذين قُتِلوا في حروب الردَّة ، ثم ذكر ماكان يصنعه الناس عندها من الشرك بالله من دعاء ونذور ، وتبرك وتوسُّلٍ من دون الله ، ولم يقتصر الأمر على القبور ، بل تعداها إلى الشجر والحجر والشياطين .

ونأخذ من تاريخ ابن غنام الذي عاصر الأحداث وسجلها فكره ، ومن تاريخ خَلَفِهِ ابنِ بِشْرٍ الذي أدرك كثيرا من مَجْرَيَات الأحداث بأن نجدًا قد نالها ما نال غيرها من بلاد الإسلام ، من الانحراف والتدهور العقدي ، الذي يحركه أصحاب المصالح ومشايخ الطرق ، ومن هنا بدأت غيرة الشيخ محمد ، وتحركت همته للدعوة ، أداءً لرسالة المعرفة ، وتنفيذاً لما يَأْمُرُهُ به العلم ، حيث رأى أن العلم لابُدَّ أَنْ يقترِنَ بالعمل ، وأنَّ من الأمانة توضيح ما خفي على الناس ، وما يجب عليهم عمله ، ويتحتم عليهم تركه ، من أمور هي من الإسلام تركت ، وأشياء أُدْخِلَتَ عليه ، وسارت في حياة الناس على أنها من مستلزمات العقيدة ، أو جُزْء من أوامر الدين ، وهم لا يدركون الحقيقة .

ذالك أن العلماء المنتفعون أو الجهلة المتعالِمُون ، ورجال الطرق الصوفية ، قد لَبَّسُوا الأمر ، وأفسدوا المعتقدات ، وصرفوا الناس عَنِ الْفَهْمِ الحقيقي لشرائع الإسلام ، ووجهوهم إلى ما يَحْلُو لهم في المكسب الدنيويِّ ، والاستعلاء في السيادة ، فكان يقينا أن تلقي هذه الدعوة التصحيحية السلفية جحوداً ونكرانا من المقربين العارفين ، وتوجسا وخيفة من الآخرين المتطلعين .

ومن هنا بدأت الاتهامات تتوافد ، والسِّهَام تُشْرَعُ ، والأفكار تُعْمَلُ لحبك الأكاذيب ، واختراع الألقاب المنفرة ، وهذا شيء منتظر في كل أمر جديد ، وفكر مناهض لما أَلِفَهُ الناس ، وساروا عليه قولا وعملا ، فقديما قال عرب الجاهلية للنبي ﷺ : ﴿ إِنَّا وجدْنَا آباءَنَا على أُمَّةٍ وإِنَّا على آثارِهِم مُقْتَدُون ﴾[٦] .

لكنه غير مقبول بعد انتهاء فترة الاختبار ، وظهور الحجة الساطعة بعد البلوى والامتحان وبعد النقاش والحوار ، والمداولة والمجادلة .

فقد أثبتت المراسلات الهادئة ، والكتابات الهادفة ، وآراء العلماء الْمُتَّزِنِيْنَ الذي جاوروا في مكة مجموعةً من علماء الدعوة ، بأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، لم ينتهج أمرا بِدْعا ، ولم يخالف في دعوته ما صحَّ عن رسول الله ﷺ ، ولم يستدِلَّ في كتبه بغير الآيات القرآنية الكريمات ، والأحاديث النبوية الصحيحة حسبما دَارَ من حِوارٍ بين علماء مكة وعلماء نجد ذالك الوقت ، وبين ابن سعود وعلماء نجد من جانب وعلماء المغرب من جانب كما جاء في رصد ذالك بتاريخ المغرب[٧] ، وسوف أستعرض في هذا البحث أسماء بعض العلماء من نجد الذين ناوَؤوا دعوةَ الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وخرجوا من نجد يحملون العداء للدعوة والكذب عليها ، وتشويهها أمام المسلمين فاقتنع بكلامهم البعيدون ، وتأثروا بمقالاتهم ، بينما هم لم يعرفوا عن الدعوة شيئا من غير هذا الجانب ، ولم يُدْرِكُوا سببَ الاستعداء عليها ، ومبررات الكذب والبهتان ضد الشيخ محمد ودعوته .

وقد نلتمس لبعض العلماء في ديار الإسلام عُذْرًا إذا جاءهم أناس من أبناء المنطقة يجأرون إليهم ، ويصفون الدعوة بنعوت قد توافق أهواءً في النفوس ، أَثَارَ بعضَها أصحابُ المصالح من الدول الاستعمارية ، ويحرك ذالك ماعرف لدى العلماء من حسد وتناحر وتعصب .

تصحيح خطأ تاريخي :

لقد لفت نظري ودفعني للحديث في هذا الموضوع : كتاب فقهيٌّ قديم على مذهب الإمام مالك ، له رغبة كبيرة في نفوس إخواننا المغاربة ، وقد طبع حديثا

في بيروت عن طريق (دار الغرب الإسلامي) اسم الكتاب : « المعيار المعرب ، والجامع المغرب ، عن فتاوى علماء افريقيا والأندلس والمغرب » والمؤلف هو : أحمد بن يحيى الونشريسي ، وقد نشر في بيروت عام ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م . لفت نظري ما رأيت (في الجزء ١١ ص ١٦٨) تحت عنوان سؤالٍ جاء بهذه العبارة : كيف يعامل معتنقو المذهب الوهابي ؟؟ .

وهو سؤال ملفت للنظر ، ومُثِيْرٌ للانتباه ، خاصة وأن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ الاصلاحية التجديدية ، المصححة لأمور العقيدة الإسلامية ، مما دَاخلها ، قد كادت لا تعرف إلا بهذا الاسم الذي أطلقه أعداؤها ، على هذه الدعوة ، ومن يتعاطف معها ، أو يسير على منوالها ، حتى ولو كان لا يعرف من هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ولا أين قامت دعوته ؟؟ .

هذا الاصطلاح جاء من باب التنفير ، حيث حركت ذالك اللقب ودعت إليه بعضُ الطرق الصوفية ومصالحها ، أو الرغبة في تفكيك المسلمين ، ومباعدتهم عن دينهم الحقيقي ، حسب منهج رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين .

فوافق ذالك هوى في نفوس أعداء الدين الإسلامي ، الحريصين على تفكيك وحدة المسلمين ، وتفتيت مابين أبناء الإسلام من أواصرَ ومحبة يدعو إليها دينهم ، وتهتم بها تعاليمه : ﴿ **إنما المؤمنون إخوةٌ فأصلحوا بين أَخَوَيْكُم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون** ﴾[٨] « مثل المؤمنين في توادِّهمْ وتراحُمِهِمْ كمثل الجسد إذا اشتكى منه عُضْوٌ تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالحمى والسهر[٩] » .

وما ذالك إلَّا لإذْكَاءِ روح التناحر والبغضاءِ في صفوف المسلمين ، لأنهم أدركوا تأثيرَ الكلمة فيما يتعلق بأمور الدين من جهة ، ومن أخرى فَلِأَنَّ نِسْبَةَ الْأُمِّيَّةِ آنذاك في العالم الإسلامي عاليةٌ جدًّا ، فالناس لا يقرأون ليعرفوا ، ولا يفهمون إلا مايقال لهم عن طريق أناس نصبوا من أنفسهم علماءَ وهم أدعياءُ للعلم ، حيث توجههم السلطات ، ويرون أن ماخرج عن هاؤلاء يجب أن يعتقده الناس ، رغم وجود أصوات تنادِي بالحق ، وتدعو إليه بسطا وتوجيها ، ولكن أعينهم بصيرة ، وأيديهم قصيرة ، كما يقال في المثل .

وقد ذكر الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط إمام وخطيب الحرم المكي الشريف في لمحاته التي تصدر كل ثلاثاء في جريدة « عكاظ » بأن الأستاذ أحمد علي الكاظمي قد أورد في كتاب ألفه كلمة قصيرة عن ضابط بريطاني اسمه (هارفورد برايجس) كان يقيم في العراق كوكيل سياسي من سنة ١١٩٩هـ إلى سنة ١٢٠٩ ، وكان يعاصر الإمام محمدًا ، وكانت له صلاتٌ مع الأمير سعود بن عبدالعزيز ـ الذي أصبح فيما بعد الحاكِمَ الثالث للدولة السعودية الأولى بعد أن تولّى الأمر بعد مقتل والده عام ١٢١٨هـ ـ ولهذا الضابط تاريخ موجز عن الوهابية ـ ونص الكلمة : (لقد أشاع الباب العالي أن ابنَ سعودٍ كان يمنع الناس من زيارة المدينة المنورة ، ولكن الصحيح أنه يمنع الناس من ارتكاب أعمال الشرك أمام الروضة ، كما منع الناس من عبادة قبور الأولياء . وقد ظن البسطاء اعتمادًا على قول أصحاب النفوذ من ولاةٍ وغيرهم أنَّ الوهابية ـ أو دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ـ كُفْرٌ ، وأن من يسير عليها إنما هو كافرٌ . ولكن الصحيح الذي عرفه كل من اهتم بدراسة ذالك المعتقد أن الشيخ محمدًا وأتباعه يسيرون على نهج الكتاب والسنة في الأصول .

أما في الفقه ـ وهو الاتجاه المذهبيُّ ـ فَوِفْق الفقهِ الحنبلي ، وليسوا مذهبا خامسا كما أطلقوا عليهم من باب التنفير لدى العامة ، والفقه الحنبليُّ قد انتقل إلى نجد قبل ولادة الشيخ محمد بأكثر من قرن ، أتى به الدارسون في مدرسة الصالحية بدمشق ، وقبله كان السائد المالكي والحنفي .

وقد صدق (برخاردت) في قوله : إن كل ما أشيع عن الوهابية سببه سُوْءُ فَهْمِ حقيقةِ الدعوة الوهابية التي لم تكن إلا تطهيرًا داخليا للإسلام .

فهذه شهادة قررها من لا يعترف بالإسلام كدين ، غير أنه منصف حكى الواقع الذي لا مِرْيَةَ فيه ، وقد قال بمثل هذا الرأي كل من : الأستاذ منح هارون في الرد على الكاتب الأنجليزي (كونت ويلز) . والباحث الأمريكي (لوثروب ستودارد) في كتاب « حاضر العالم الإسلامي » . والمستشرق الألماني (كارل بروكلمان) في كتابه « تاريخ الشعوب الإسلامية » الذي تناول هذه الحركة

بالدرس والتحليل في الجزء الرابع . والمؤرخ الألماني (داكوبورت فون ميكوس) ــ في كتابه « عبدالعزيز » وصدر بألمانيا عام ١٩٥٣م . والأستاذ (ويلفرد كانتول) في كتاب « الإسلام في نظر الغرب » وقد ألفه جماعة من المستشرقين والعالم الفرنسي (برنارد لويس) في كتابه « العرب في التاريخ » والمستشرق النمساوي (جولد زيهر) في كتابه « العقيدة والشريعة » . والمستشرق الأنجليزي (جب) في كتابه « المحمدية » . والمستشرق الفرنسي (سيديو) في كتابه « تاريخ العرب العام » ودائرة المعارف البريطانية التي جاء فيها : الوهابية : اسم لحركة التطهير في الإسلام ، والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده . ويهملون ماسواها ، وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح[١٠] .

أما في بعض ديار الإسلام فهناك أصوات منصفة مسلمة قالت الحق لأنه الحق الذي يجب إبلاغه للناس عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مثل :

الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي في كتابه « صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان » . والشيخ محمود شكري الألوسي العراقي في كتاب ألفه عن تاريخ نجد . والشيخ أحمد بن سعيد البغدادي العراقي في كتابه « نديم الأديب » . والشيخ جمال الدين القاسمي ، والشيخ عبدالرزاق البيطار ، والشيخ طاهر الجزائري ، والشيخ محمد كامل القصاب في أرض الشام ، حيث درسها هاؤلاء فَأُعْجِبُوا بها ، ورأوا أنها على حق وصواب ، فنشروها في المجتمع الشامي ، مما دفع السلطان العثماني إلى احالة عميد الحركة الشيخ جمال الدين القاسمي إلى القضاء في عام ١٩٠٨م . وقد برأه القضاء .

هذا إلى جانب أراء كثير من العلماء مثل : السيد محمد رشيد رضا في كتاب « مجاورات المصلح والمقلد » وكتابه الآخر « الوهابيون والحجاز » ومجلة « المنار » ومحمد كردعَلي ، وشكيب أرسلان ، وعلي الطنطاوي ، والزركلي ، ومحمد جميل بيهم ، وعمر أبو النصر ، وعبدالمتعال الصعيدي في « المجدودون » وحامد الفقي في « أثر الدعوة الوهابية » وعبدالعزيز بكر في « الأدب العربي وتاريخه » ، ومصطفى الحفناوي والدكتور أحمد أمين في « زعماء الاصلاح » ومحمد قاسم في

« تاريخ أوروبا » ومناع القطان في « دعوة الإسلام » ، وعبدالكريم الخطيب في « محمد بن عبدالوهاب » ومحمد ضياء الريس في مجلة « الارشاد » الكويتية رجب عام ١٣٧٣هـ ، والدكتور محمد عبدالله ماضي في « النهضات الحديثة في جزيرة العرب » . وأحمد حسين في « مشاهداتي في جزيرة العرب » بعد أن أدى الحج في عام ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ) ، والعقاد في « الإسلام في القرن العشرين » . وطه حسين في بحث نشره عام ١٣٥٤هـ عن « الحياة الأدبية في جزيرة العرب[١١] » . والشيخ أحمد بن حجر القاضي بقطر في كتابه « الشيخ محمد بن عبدالوهاب » ومسعود الندوي في كتابه « مُصْلِحٌ مظلوم ، ومفترى عليه » والدكتور محمد جميل غازي في كتايه « مجدد القرن الثاني عشر » وأمين سعيد في كتابه « سيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب » ، ومسلم الجهني في كتابه « أثر حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العالم الإسلامي » وغيرهم كثير جدًّا .

وإنَّ مايرى (ويلمس) عن تسمية الدعوة السلفية بالوهابية ، فهو مما أطلقه خصوم هذه الدعوة السلفية التصحيحية التي نبعت من الجزيرة العربية ، غيرة على دين الله ، ولإزالة ماعلق بتعاليم الإسلام من شوائب ، وما أُدْخِلَ على التوحيد من مشاركة للمخلوق مع الخالق ، في صرف ماهو له جل وعلا ، مقرونا بالمخلوق ، وفي هذا منافاة لمضمون الحديث القدسي الذي جاء فيه قول الله جل وعلا : « أنا أَغْنَى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشركَ معي فيه غيرِي تَرَكْتُهُ وشركه[١٢] » .

ومن باب ربط السبب بالمسبب ، ومحاولة التصحيح لما علق بأذهان الناس عبر مدة زمنية طويلة نقول : إن أولئك الخصوم أَعْطوا هذه الدعوة اصطلاحاً في اللقب وهو (الوهابية) من باب التنفير ، وتلقفه من جاء بعدهم ، حيث أن أول من حرك ذالك الاصطلاح ودعا إليه بعض أصحاب الطرق الصوفية التي أخطأت هي في فهم الدين الإسلامي على نقاوته ، وكما يجب أن يُفْهَمَ ليتعبد الناسُ به خالقهم كما أُمِروا بذالك لأن الإسلام لا رهبانية فيه .

وما ذالك إلا أن بعض القائمين على تلك الطرق يحكمون الجانب الذاتي

فلا يهتمون إلا بما يتوفر لهم من مصالح ومكاسب دنيوية يخشون ضياعها ، ونسوا أن تعاليم الإسلام وشرائعه أَسْمَى من ذالك .

وسلاحهم في الوصول لما يريدون التظليل على العوام ، والتلبيس أمام السلطة ، وتخويفها من هذا الصوت الجديد على مصالحها من باب استعدائها عليه .

فتلقف ذالك أعداءُ الإسلام حيث لقي هوى في نفوسهم ، لحرصهم على تفكيك وحدة المسلمين ، وغرس بذور الشر بينهم ، لأنهم أدركوا وَوَعَوْا خَطَرَ ما تَرْمي إليه الدعوةُ الصحيحة لدين الإسلام ، وإذكاء الحماسة الدينية لدى المسلمين ، على مصالحهم وسيطرتهم على ديار الإسلام .

وهذا الموضوع وإن كان قد كتب الناسُ فيه كثيرا ، نسأل الله أن ينفع المسلمين بما كتب لهم ، وأن يعيد ضالهم إلى الطريق الأقوم ، فهو سبحانه القادر على ذالك ألا أن الذي لفت نظري ، ودفعني للحديث في هذا الجانب هو ما وجدته في ذالك الكتاب الفقهي القديم على مذهب الإمام مالك ــ رحمه الله ــ حيث أثار انتباهي كما قلت من قبل عنوان هذا السؤال : كيف يعامل معتنقوُ المذهب الوهابي[١٣] ؟؟ .

وفي قراءتي لنص السؤال وجدته كما يلي : سُئِلَ اللَّخْمِيُّ عن قوم من الوهبية سكنوا بين أظهر المسلمين زمانا ، وأظهروا الآن مذهبهم ، وبنوا مسجدا . . إلى آخر ماجاء في السؤال . . الذي ختمه السائل بقوله : فهل لمن بسط الله يده في الأرض الإنكار عليهم وضربهم وسجنهم حتى يتوبوا من ذالك ؟؟

ولما كان الجوابُ فيه قساوة وحِدَّةٌ . ولم يُفَصِّلْ عن هذه الفرقة ، وما إذا كانت نسبة إلى عبدالله بن وهب الراسبي الخارجي المتوفي عام ٣٨ في وقعة النهروان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأنه قد خرج عليه بعد التحكيم[١٤] أو نسبه إلى شيء آخر أيًّا كان زمانه ومكانه .

وأنه لم يُشِرْ فيه إلى شيء آخر غير هذا ، بل إنَّ أحد الإخوة من المغرب العربي

قد فهم ــ كما يتبادر للذهن لدى آخرين ــ بأن المقصود من ذالك دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وهو من ذوي العلم والمكانة ، حيث جرى معه حوار تراجع ــ بحمد الله ــ عن فهمه السابق بموجبه . وهذه الرسالة استجابة لمطلبه ، ومن هنا فقد أحببت التثبت أولا عَمَّنْ يعني السائلُ والمجيبُ ، ثم إزالة مافي الأمر من لَبْسٍ ، وجلاء ذالك الاشتباه الذي قد لا يدركه كثيرٌ من الناسِ من باب أمانة العلم ، وتوثيق المعلومات ، ولذا فقد رجعت لترجمة حياة علي بن محمد اللَّخْمِيَ ، وهو الذي وُجِّهَ إليه السؤال ، فإذا هو قد توفي عام ٤٧٨هـ وأنه فقيه مالكي قيرواني الأصل توفي بصفاقص[١٥] .

أما المؤلف أحمد بن يحيى الونْشَرِيْسي ، فقد جاء على غلاف كل جزء من أجزاء « المعيار » ــ طرته ، وتحت اسمه ــ بأنه توفي بفاس عام ٩١٤هـ .

ولما كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وهو صاحب الدعوة السلفية التصحيحية في نجد ، لم يكن قد وُلِدَ بعد ، حيث أن ولادته عام ١١١٥هـ بالْعُيَيْنَةِ ، وبدأ الدعوة مع الإمام محمد بن سعود بالدِّرْعِيَّةِ منذ عام ١١٥٨هـ .

وعلى هذا فإنَّ هذا الجواب الذي ترتب عن السؤال قد سبق ولادته بأكثر من ست مئة عام ، بالنسبة لوفاة المجيب وهو اللخمي ، وأكثر من مئتي عام بالنسبة لوفاة المؤلف الونشريسي .

وكلا الأَمْرَيْنِ يُحْدِثَانِ لَبْسًا لدَى من يُريد المقارنة ، ووضع الأمور في نصابها ، وهذا الأمر قد دفعني للبحث تاريخيا في كتب المغرب عن أصل ذالك المذهب ومتى وجد ، لأن في الأمر لبسا لابُدَّ من جلائه ، إما بمعرفة المقصود ، أو أن زيادة قد حصلت في الكتاب لم تكن للمجيب ولا للمؤلف ضلع فيها ، خاصة وأن هذا السؤال وجوابه قد جاء في كلام الونشريسي مرة باسم الوهبية وأخرى بالوهابية . ولم يعلِّقِ الناشرُ أو المحقق عليه بشيء ، مما يجعلني أعتقد أن كثيراً من كتب المغاربة ــ وخاصة منها ما يتعلق بالعقائد ــ قد تعرض لمثل هذا بشيء من التوضيح في أماكن متفرقة.

ومن باب ربط الحوادث التاريخية بمصادرها ، وإشراك القارىء في قراءة

ما تحفل به بعض المصادر ، فإن الموضوع يحتاج إلى مراجعة تاريخية متفحصة ، لكي نعرف ما يحاول دَسَّهُ أعداءُ الإسلامِ في تاريخ أمة الإسلامِ ، للتنفير من كل عمل تصحيحي عقدي ، في المجتمع الإسلامي ، لأنهم يعرفون حقيقةَ الإسلام ، وما يحققه لأبنائه إذا ساروا على منهجه الصحيح جَيِّدًا ، وما يعود به على الأمة من ألْفَةٍ ومَحَبَّةٍ وترابطٍ لا تستطيع معه قُوَى الشر أَنْ تنفذَ لديار الإسلام ، أخذًا من حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه : « أُعْطِيتُ خمسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ من الأنبياءِ قبلي وذكر منهن : « ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مسيرة شهر[١٦] » .

فلابد أن يجدوا منفذا في ديار الإسلام للاستفادة من خيراتهم بالتركيز على كلمتهم المعهودة : (فَرِّقْ تَسُدْ) . فسيادة أعداءِ الإسلام في ديار الإسلام ، وتمكنهم من التصرف في أمورهم ، واستثمار خيرات بلادهم ، كل هذا لا يتم إلا ببثِّ الفرقة ، وإيجاد مسببات الشحناء ، وبذور الكراهية بين الأفراد والجماعات ، وأعداء الإسلام كالشيطان الذي يسترق السمع فإذا وجد كلمةً بنى عليها كذبات كثيرة لإفساد ذات البين .

واستنتج هذا من بعض النصوص التاريخية ، والوقائع الزمنية التي وقع نظري على جزء منها حيث تَرَاءَى أمامي أثناءَ البحث مايلي عن الفرقة الوهابية التي في شمال افريقيا :

١ ــ جاء في كتاب « المغرب الكبير » للدكتور السيد عبدالعزيز سالم عبدالرحمن أن ابن رستم الذي أسس الدولة الرستمية في مدينة تاهرت بالمغرب عندما أحس بِدُنُوِّ أجله في عام ١٧١هـ أوصى بالأمر لسبعة من خيرة رجال الدولة الرستمية ، ومن بينهم ابنه عبدالوهاب ، ويزيد بن فنديك ، وقد بويع عبدالوهاب ، مما ترتب عليه نُشُوءُ خلافٍ بينه وبين ابن فنديك .

وقد انقسمت الاباضية ــ التي هي ديانة ابن رستم ومن معه ــ حيث نقلها من المشرق إلى المغرب ، إلى فرقتين : الوهَّابية نسبة إلى عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم ، والنكارية ، ودارت بين الطرفين معارك ومقاتل تنهزم فيها النكارية إلى أن قتل زعيمها ابن قنديرة ، وفي حالة ضعف من النكارية انضم إليهم الواصلية

المعتزلة . وقد عزم عبدالوهاب هذا على الحج في آخر حياته ، إلا أن أتباعه نصحوه بالبقاء في (نفوسة) خوفا عليه من العباسيين .

وقد توفي عبدالوهاب هذا الذي يعتبر المؤسس للدولة الرستمية ذات الاتساع في شمال أفريقيا عام ٢١١هـ[١٧] .

٢ ــ أما المؤلف الفرنسي (شارلي أندري) : فقد تحدث في كتابه « تاريخ أفريقيا الشمالية » تعريب محمد مزالي ، والبشير بن سلامة ، عن ممالك الخوارج ، ومن ضمنها مملكة تاهرت التي هي الدولة الرستمية ، وقد أفاض في حديثه عن معتقداتها واتساعها ، ومعالمها الحضارية ، وأبان بأنها تخالف أهل السنة في المعتقد[١٨] . كما تحدث (الفرديل) في كتابه « الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم » وقد تَرْجَمَ هذا الكتاب عن الفرنسية عبدالرحمن بدوي في عدة مواضع ، وقال بأن الخوارج الوهبيين الذين سُمّوا نِسْبَةً إلى عبدالله بن وَهْبٍ الراسبي الذي قاتله الإمام على بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ في النهروان .

وعن انقسامهم أيضا حيث قال : بأن أباضية المغرب في تاهرت منهم ، وهم الذين كانت دولتهم الرستمية ، وكانوا أشدَّ الفرق تعصبا .

ثم قال عن اتباع عبدالوهاب بن رستم هذا : بأنهم أشد الأباضية تقوى ، وكانوا يكرهون الشيعة قَدْرَ كراهيتهم لأهل السنة[١٩] .

ــ والزركلي في « الأعلام » أخذ خلاصة من عشرة كتب تعرضت لسيرة الأباضية والدولة الرستمية في تيهرت بالجزائر ، ومما جاء في كلامه عنه بأن عبدالوهاب هذا ثاني الأئمة الرستميين من الأباضية ، فارسي الأصل ، كان مرشحا للإمامة في حياة أبيه ، وجعلها أبوه شُوْرَى ، فوليها بعد وفاته بنحو شهر سنة ١٧١هـ واجتمع له من أمر الأباضية وغيرهم مالم يجتمع مثله لزعيم أباضي قبله ، وكان فقيها عالما ، شجاعا يباشر الحروب، بنفسه ، وله مواقف كثيرة مذكورة ، واستمر إلى أن توفي ، وفي تاريخ وفاته خلاف ، والزركلي يرجح أن وفاته سنة ١٩٠هـ[٢٠] .

ومن هذه النبذ الصغيرة نستدل على أن هذه الفرقة قد رصد عنها أشياء كثيرة ، ليس من الفرنسيين وحدهم ــ بل من أبناء البلاد أيضاً ــ منه ماجرى الاطلاع عليه وأكثره لم نطلع عليه .

وعبدالوهاب الرستمي هذا قد جعل من تاهرت مركزا فكريا ، وفتح باب الجدل مع علماء السنة ، ثم الشيعة التي قامت دولتهم في نهاية القرن الثالث الهجري باسم الدولة الفاطمية ، حيث قضى أبو عبدالله الشيعي في عام ٢٩٦هـ على الدولة الرستمية[٢١] ، مما تبلور عنه تفنيد معتقدات الرستميين التي تتخالف مع مايراه أهل السنة والجماعة وتثبت به الأحاديث الصحيحة .

وهذا الحوار هو الذي تفتق عنه جذور عميقة عند علماء وفقهاء المغرب حول هذه الفرقة ومعتقداتها ، وصدرت عنها الفتاوى بالخروج عن منهج أهل السنة والجماعة . وقد استغلَّ المستعمرون وأصحابُ المصالح تلك الجذور في إذكاء العداوة بين أبناء المسلمين فيما بعدُ ، فألبسوا الثوب القديم بما فيه من عيوب وما عليه من مثالب ، مستغلين الحزازات ضدَّ الدعوة الجديدة التي جاءت لإصلاح العقائد ، وإعادة الناس إلى منزلة الإسلام الأولى التي سار عليها الصفوة الأولى من أمة الإسلام مدة ثلاثة قرون لم تعرف الدخائل ولا البدع ، اللهم إلا فرقا عرفت بمباعدتها للاسلام ، حيث قوتلت في وقائع كثيرة ابتداء من عهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي جرد سيفه لقتالهم اتباعا لمنهج الرسالة المحمدية ، التي حاد عنها أؤلئك الذين خرجوا عليه .

وكما هي عادة أعداء الإسلام لا يدخلون في المواجهة مع الإسلام لمعرفتهم بعدم الصمود لأن حججهم واهية ، ولكنهم يستغلون فِئَاتٍ من المنتمين للإسلام ، ليجعلوهم جسورا يعبرون منهم إلى مآربهم ، وينصبون باسمهم الشبهات .

أولا : فالانجليز مثلا لمسوا آثار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية في أعظم مكانٍ يعتزون باستعماره ، والاستيلاء على خيراته ، عندما تلقفها الهنود على يد الداعية الإسلامي أحمد بن عرفان الشهير بـ (أحمد باريلي) وأتباعه ، وفي

حركات أخرى مثل : (الفراتغيين وتيتومان) نزار علي[٢٢] .

تلك الدعوات التي ناوأت القاديانية الكافرة التي أرادها الإنجليز واجهةً إسلاميةً تحقق مآربهم ، وينضوي تحتها من لا يعرف من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه .

ويظهر انزعاج الانجليز ، وحرصهم على القضاء على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي تمثل يقظةً جديدةً في الدين الإسلامي ، ودعوةً إلى فهمه من مصادره الصافية كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ ، أنهم بذلوا جهودا وأموالا في هذا السبيل ، وقد أبانت رحلة « سادلير » ــ الضابط البريطاني وقائد الفوج الـ (٤٧) ومبعوث الحكومة البريطانية في الهند ــ الذي قام برحلةٍ شاقة من الهند إلى أن وصل إلى الرياض ، ووقف على أطلال الدِّرْعِيَّةِ التي هدمها إبراهيم باشا ، بناء على تخطيط اشترك في الإعداد له الانجليز ، ليطمئن على القضاء على الحكومة الاسلامية ، التي تحركت في الجزيرة لإيقاظ المسلمين ، والقضاء على قاعدة الدعوة السلفية بنفسه ، لما أحدثته من خوف وقلق بداخل الحكومة الانجليزية خوفا على مصالحها ، وقد كان في رحلته هذه ضمن قافلة كبيرة أغلبها من الأتراك ، أبانتْ هذه الرحلة جانبًا مهما في التعاطف والحرص على القضاء على هذه الدعوة التي تمثل يقظة إسلامية ، تُوَحِّدُ المسلمين ، كما أبانت عن حقد الانجليز على الإسلام، فقد مَرَّ بالدرعية متشفيا في ١٣ أغسطس من عام ١٨١٩م[٢٣] ، وبعد أن ارتاحت نفسه شد الرحال لاحقًا بإبراهيم باشا حتى أدركه في آبار علي ، على مقربة من المدينة المنورة ، ليقدم له التهاني بهذا النصر ، مقرونة بهدايا حكومة الهند الشرقية (الحكومة البريطانية[٢٤]) ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر حتى يُطَمْئِنَ الحكومةَ البريطانية على نتائج القضاء على قادة هذه الدعوة ، وهدم وتدمير قاعدة الملك فيها ، وذالك عام ١٢٣٣هـ ، لأن آثارها قد امتدَّتْ لمواطئ أقدام الانجليز في ديار الإسلام .

وكان (سادلير) يكرر عبارات التشفي والارتياح للقضاء على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مثل قوله : مع سقوط الدرعية وخروج عبدالله عنها يبدو أن

جذور الوهابيين قد انطفأت فقد عرفت من كل البدو الذين قابلتهم في نجد أنهم سُنِّيون ، وأنهم يداومون على الصلاة المفروضة حتى في السفر الطويل وتحت أقسى الظروف[٢٥].

ثم من باب التفرقة أيضاً في داخل البلد الواحد يقول : (إن البدو لم يثبتوا على الوهابية إلاَّ مرغمين ، وذالك حين كانت الدعوة قوية ، وسهلت لهم سبل النهب)[٢٦]. مع أن الدولة السعودية منذ أن قامت على ركيزة الدعوة إلى الله مع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في عام ١١٥٨هـ كانت تحكم شرع الله وتقطع يد السارق ، فأمنت الطرق ، لأن أول ماحاربته النهبَ والاعتداءَ على الناس ، أو أخذ أموالهم .

وهذا وغيره في كلامه فيه تناقض وتشويه للحقيقة ، وخداع للناس بما يعطي من معلومات لأسباب جاءتْ في كتابه عندما تحدث عن قوة القواسم البحرية في الخليج والبحر العربي ، حتى وصلوا إلى بومباي في الهند ، وهاجموا سفناً عديدة لحكومة الهند الشرقية ، وسفناً حربية انجليزية ، والقواسم ممن أَيَّدَ الدعوة ، فهم يعاضدونها لأن مباديء الدعوة السلفية تحض على مقاومة السلطان الأجنبي ، لأنهم كفار لا يحق لهم بسط النفوذ على ديار الإسلام . ولأنَّ ولاية الكافر لا تجوز على المسلم ، فالمسلمون يجب أن يلوا أمورهم بأنفسهم ، فيحكموا شرع الله في بلادهم .

وقد تحدث (سادلير) في كتابه هذا كثيراً عن هذا الموضوع الذي أَرَّقَ بريطانيا فتحدث مع إبراهيم باشا ، وحمل كتاباً من الإنجليز له ، يطلب التحالف ضد القواسم ، وعن دور بريطانيا في شرق الجزيرة العربية ، لمناوأة كل من يؤيد الدعوة السلفية التي أيقظت همة الناس ، وفتحت مغاليق أفكارهم ، وحركتهم من سبات عميق .

وقد ظهرت همومه وسمومه ضد الإسلام والمسلمين في مواقف مثل :

١ ــ ثب نار العداء بين أهل اليمن ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب كقوله : وقد سُجِنَ آخِرُ زعيمٍ يمني وهابي ، خلال إقامة هذا الباشا ــ ويعني

خليل باشا ــ وهذا الزعيم هو محمود بن محمد الذي جيءَ به مكبَّلاً بالأغلال إلى جدة ، ومن هناك أُرْسِلَ بسفينة إلى مصر . . إلى آخر حديثه عن اليمن[٢٧]. ومثل هذا محاولته التفرقة بين أبناء عُمَان وأبناءِ الجزيرة العربية[٢٨].

٢ ــ وصفه التساهل الديني بالتقدم الحضاري ، والمحافظة على شعائر الإسلام بالتناقض مع متطلبات النفس في مثل قوله ــ يصف بدو نجد ــ: وهم حريصون جداً على عبادتهم ، ولا يهملون أياً من الصلوات المفروضة ، مهما كان المسير طويلاً في أسفارهم ، وتحت أشق أنواع الحرمان والْعَوَزِ . ويظهر تناقض غريب عند مقارنة هاؤلاء البدو مع الأتراك الذين يتَّسِمُون بثقافة روحية أكثر لكنهم لا يسمحون للدين أو للصلوات أن تتعارض مع راحتهم واطمئنانهم أبداً[٢٩].

٣ ــ محاولة الحطِّ من قدر أهل المدينة المنورة ، ووصفهم بنعوت كثيرة كالشحاذين ، والجشع وأن من حقهم ــ اعتقاداً ــ أن يكونوا متغطرسين ، وأنهم يعيشون على صدقات الحجاج إلى غير هذا مما ينبيءُ عن جذور صليبية[٣٠].

٤ ــ لكن الأغرب من ذالك أن ماقاله (سادلير) عن إبراهيم باشا مما يُتَرَفَّعُ عَنْ ذكره[٣١] [٣٢] .

ثانياً : والفرنسيون أيضاً لهم دور ، فقد أحسوا باهتمام الشمال الافريقي بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحرصهم عليها مثل : ــ

١ ــ اهتمام محمد بن عبدالله العلوي ، سلطان المغرب الأقصى بها حيث قام بمحاربة البدع والإنحراف ، كما كان يحارب تشعب الطرق الصوفية ويدعو إلى العودة إلى الاجتهاد وإلى السنة[٣٣]، إلى جانب حرصه الشديد ــ وحرص الدولة العلوية منذ أن قامت ــ على محاربة النصارى ، وفي تعاطفهم مع الدعوة السلفية قوة تمتد إلى نفوذ الفرنسيين .

وهذا السلطان هو الذي وصفه المؤرخ الفرنسي (شارلي جوليان) بقوله : وكان سيدي محمد ــ وهو التقي الورع ــ على علم بواسطة الحجيج بانتشار الحركة الوهابية في الجزيرة العربية ، وتأييد عائلة آل سعود لها ، وقد أعجب بعباراتها ،

وكان يؤثر عنه قوله : (أنا مالكي المذهب وهابي العقيدة) . وقد ذهبت به حماسته الدينية إلى الإذْن باتلاف الكتب المتساهلة في الدين ، والمحللة لمذهب الأشعرية وتهديم بعض الزوايا[٣٤].

٢ ــ كما أنه في عام ١٢٢٦هـ حج جماعة من المغاربة صحبة المولى إبراهيم بن السلطان المولى سليمان سلطان المغرب ونقل عنهم صاحب كتاب «الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى» : أنهم مارأوا من ابن سعود مايخالف ماعرفوه من ظاهر الشريعة ، وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه مابه الاستقامة ، والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المنكر ، وتنقية الحرمين من الآثام[٣٥].

٣ ــ رسالة بعث بها الإمام سعود بن عبدالعزيز لأهل تونس يشرح فيها حقيقة التوحيد وأصول الدين وهي رسالة طويلة تقع في ثلاث صفحات مطبوعة ، كما جاءت في صحيفة ألمانية ضمن مقال طويل باللغة الألمانية لأحد المستشرقين عن الوهابية في المغرب ، أما الرسالة فقد كتبت باللغة العربية[٣٦].

٤ ــ والسلطان سليمان بن محمد بن عبدالله ــ الذي بويع في فاس عام ١٢٠٦هـ كان معاصراً للإمام عبدالله بن سعود ووالده الإمام سعود بن عبدالعزيز ، الذي دخل مكة عام ١٢١٧هـ الموافق لعام ١٨٠٣م ــ أراد أن يتحقق من ابن سعود مايدعو إليه ، فأرسل ابنه المولى إبراهيم في جماعة من علماء المغرب وأعيانه ، ومعه كتاب من والده فوصلوا إلى الحجاز وقضوا المناسك ، وزاروا الروضة المشرفة ، كل هذا على الأمن والأمان ، والبر والإحسان ويقول في هذا الشيخ أحمد الناصري صاحب كتاب «الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى» من ص ١١٩ إلى ص ١٢٣ : حدثنا جماعة وافرة من حج المولى إبراهيم في تلك السنة أنهم مارأوا من ذالك ابن سعود مايخالف ماعرفوه من ظاهر الشريعة ، وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه غاية الاستقامة ، والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة وصيام ، ونهي عن المنكر الحرام ، وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام ، التي كانت تفعل به جهاراً من غير نكير ، وأنه لما اجتمع

بالشريف المولى إبراهيم ، أظهر له التعظيم ، الواجب لآل البيت الكريم ، وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته ، وكان الذي تولى الكلام معه الفقيه القاضي أبو اسحاق إبراهيم الزرعي ، فكان من جملة ماقاله ابن سعود لهم : إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية ، فأي شيء رأيتمونا خالفنا من السنة وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا ؟ فقال له القاضي : بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي ، فقال له : معاذ الله ، إنما نقول كما قال الإمام مالك : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب ، فهل في هذا مخالفة ؟؟ قالوا : وبمثل هذا نقول أيضاً .

ثم قال القاضي : وبلغنا أنكم تقولون بعدم حياة النبي ﷺ وحياة إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم ، فلما سمع ذكر النبي ﷺ ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه ، وقال: معاذ الله ، إنما نقول أنه ﷺ حيٌّ في قبره وكذا غيره من الأنبياء حياة فوق حياة الشهداء .

وفي نهاية ذالك الحديث قال المؤلف : وأقول : إن السلطان المولى سليمان ــ رحمه الله ــ كان يرى شيئاً من ذالك ، ولأجله كتب رسالته المشهورة التي تكلم فيها عن حال متفقرة الوقت ، وحذر فيها ــ رضي الله عنه ــ من الخروج عن السنة والتغالي في البدعة ، وبين فيها آداب زيارة الأولياء ، وحذر من غلوا العوام في ذالك ، وأغلظ فيها مبالغة في النصح للمسلمين[٣٧] .

وينقل الأستاذ محمد كمال جمعه عن «دائرة المعارف الإسلامية» بأن المولى سليمان قد تأثر بعد عام ١٨١٠م بالوهابية مما جعله يتخذ موقفاً صارماً ضد المربوطية ، وهو اللقب الذي كان يطلق في المغرب على الصوفيين[٣٨] .

٥ ــ كما ينقل عن الدكتور عباس الجراري في محاضرة ألقاها في عام ١٣٩٩هـ بجامعة الرياض بأن هذا التيار السلفي في المغرب قد ظهر مرة أخرى في بداية القرن الرابع عشر الهجري حين وجه السلطان الحسن الأول سنة ١٣٠٠هـ رسالة إلى الشعب المغربي[٣٩] .

٦ ــ وقد تحدث أحمد بن حجر عن الحركة السنوسية التي أسسها محمد بن علي

السنوسي في الجزائر ، وأنه تأثر بها عندما كان يطلب العلم في مكة ، وقت استيلاء آل سعود عليها ، وقد ابتدأ حركته الإصلاحية في الجزائر على ضوء تعاليم الإصلاح الديني الإسلامي الذي أضرم نارها في الجزيرة العربية محمد بن عبدالوهاب[٤٠].

ثالثاً : وفي مصر : يلمس من يقرأ تاريخ عبدالرحمن الجبرتي المتوفي عام ١٢٣٧هـ المسمى «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» في مثل قوله : ولغط الناس في خبر الوهابي واختلفوا فيه ، فمنهم من يجعله خارجياً ، ومنهم من يقول بخلاف ذالك لخلو غرضه ثم أورد رسالة من رسائل الإمام سعود التي أرسل لِشَيْخ الركب المغربي ، تتضمن دعوته وعقيدته ، وقد بين في تلك الرسالة أمور الدين مجملة ، وعرض لبيان الشفاعة ، وفتنة تعظيم القبور والنذور ــ أي للمقبورين ــ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واتخاذ الوسائط عند الله ، وأعقب ذالك بقوله : وعلى هذا أقول: إن كان كذالك فهذا ماندين الله به نحن أيضاً ، وهو خلاصة لباب التوحيد ، وماعلينا من المارقين والمتعصبين ، وقد بسط الكلام في ذالك ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان» والحافظ المقريزي في «تجريد التوحيد» والإمام اليوسي في «شرح الكبرى» وذكر كتباً أخرى كلها تدافع عن حقيقة التوحيد الصافي النقي ، الذي هو صلب دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٤١].

ومن جانب آخر ذكر الجبرتي مطامع الانجليز في الشمال الافريقي المسلم ، عندما ذكر واقعة الانجليز مع أهل الجزائر ، لأن لهم صولة واستعداداً ، ويغزون مراكب الافرنج ، ويغتنمون منهم غنائم ، ويأخذون منهم أسرى ، وتحت أيديهم أسرى كثير من الانجليز وغيرهم ، فقد جاء الانجليز بمراكبهم ومعهم مرسوم من السلطان العثماني ليفتدوا أسراهم بمال ، فأعطاهم أهل الجزائر مايزيد عن الألف أسير ، ودفعوا عن كل أسير مئة وخمسين ريال فرانساً ، ورجعوا من حيث أتوا ، إلا أنهم بعد مدة رجعوا وبأيديهم مرسوم آخر يطلبون باقي الأسرى ، فامتنع حاكم الجزائر من ذالك ، وترددوا في المخاطبات ، وفي هذا الأثناء وصلت عدة

مراكب فأثاروا الحرب والضراب بطرائقهم المستحدثة ، فأحرقوا مراكب أهل الجزائر ، وقد أَمَدَّ سلطانُ المغرب مولاي سليمان أهل الجزائر ، وبعث إليهم مراكب عوضاً عن الذي تلف[٤٢].

رابعاً : الإيطاليون : أقلقهم ماقام به محمد بن علي السنوسي المولود في الجزائر عام ١٢٠٢هـ ، من دعوة إصلاحية في ليبيا لإعادة الإسلام إلى صفائه ، ووصفه الصحيح في النفوس تطبيقاً وعملاً ، والوقوف ضد الإيطاليين الوافدين الذين لايهمهم إلا استغلال خيرات البلاد والتفريق بين المسلمين[٤٣].

كما أقلقهم تأثر الحجاج الصوماليين بها ، وامتدادها إلى القرن الافريقي لقربهم من الجزيرة العربية ، وتأثر الحجاج المغاربة بها ، حيث نقلوا آثارها لبلادهم فقام فيهم مصلحون مجددون .

خامساً : والهولنديون حركهم مالمسوه من اهتمام جديد من المسلمين الذين استولوا على ديارهم ، ويظهر ذالك واضحاً بالحرص على الولاء لعقيدة الإسلام في جزر سومطرة وجاوه ، وسولو ، بأندونيسيا ، مما وفد لتلك الديار مع الحجاج المتأثرين بما يجب أن يُنَقَّى به المجتمع الإسلامي ، وتُصَفَّى من شوائبه شعائر الإسلام ، بعد أن درس هاؤلاء الحجاج دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية التجديدية ، واهتموا بها بعد أن اطمأنوا إلى سلامة منهجها في إصلاح العقيدة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ ، ولما فيها من صفاء الدعوة ، وسلامة الإتجاه ، والبعد عن الهوى ، وأنها لم تأت لمآرب ذاتية .

فلذا نقلوا ذالك بقناعة لبلادهم ، حيث قامت دعوات متعددة مثل : الجمعية المحمدية في (جاكرتا) التي بدأت الدعوة بنبذ الشوائب والخرافات التي أدخلت على تعاليم الإسلام ، مما وقف حائلاً دون اتساع دعوة المستعمرين في تبني فئات إسلامية ، أو محسوبة على الإسلام ، تشجع الخرافة وتُنَمِّي البدع في المجتمع الإسلامي ، مما يستفيد منه المستعمر ، بتغذية الطائفية ، وتذكية الفتن ، على مبدإ الاستعمار (فَرِّقْ تَسُدْ) . .

ولقد بدأ هذا التأثر من عام ١٨٠٣م الموافق لعام ١٢١٨هـ ، عندما قامت

حركة ضد الهولنديين استمرت ١٦ عاماً ، تغلبت فيها قوى الإستعمار على السلفيين الموحدين المتأثرين بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٤٤].

هذا إلى جانب دول إسلامية عديدة ، انتقلت إليهم آثار الدعوة مع الحجاج الذين أعجبوا بها ، لما فيها من تخليص الإسلام من الشوائب التي أُدْخِلت عليه ، وتخليص البلاد من المستعمر الجاثم عليها ، والحريص على إفساد عقيدة أهلها بما يشيعه من أعمال ، وما يُتِيْحُهُ من فرص للفساد والإفساد ، وَلِذا كَثُرَتِ الأصوات المستجيبة في كل مكان كالسودان بالدعوة المهدية ، ومصر والشام واليمن ، وأفغانستان وجزر الهند الشرقية ، ونيجريا وبلاد الهوسا ، وبرنو ، وبلاد التكرور وغيرها . مما ذكره كل من درس حياة الشيخ ، وأثرها في بلاد الإسلام ، لأنها أيقظَت الهمم ، وحركت الناس من سباتهم ، مما زلزل أقدام المستعمرين ، وحرك مشاعرهم ضد هذه الدعوة والمعتنقين لمبادئها .

سادساً : هذا إلى جانب تأثر الأوربيين وبعض الأتراك والأفارقة واهتمام مجموعة من المفكرين المسلمين بها ، في بلاد الشام والمغرب وحتى في داخل تركيا ، وغيرها ، كل هذا أثار حفيظة الباب العالي ، وأرباب المصالح والمناصب ، الذين موهوا الحقيقة على العثمانيين ، ولبسوا الشُّبَه للتنفير ضد هذه الدعوة ، لإثارة الحفائظ على من قام بها ، واختلاق أشياء لم يكن لها أساس من الصحة .

وفي رسائل الشيخ محمد وإجابات تلاميذه تسببت الجوانب الإيجابية ، والحرص من بعض المسلمين ، استجلاء حقيقة الدعوة من الشيخ نفسه بإرسال رسائل له أجاب عليها مثل : ــ

ــ رسالة الشيخ محمد رحمه الله إلى الشيخ فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام التي جاء فيها : فالسبب في المكاتبة أن راشد بن عربان ذكر لنا عنك كلاماً حسناً سرَّ الخاطر ، وذكر عنك أنك طالب مني المكاتبة بسبب مايجيك عنا من كلام العدوان من الكذب والبهتان ، وهذا هو الواجب من مثلك أنه لا يقبل كلاماً إلا إذا تحققه ، ثم بدأ يشرح له ماقيل ، ويوضح الحقيقة في ذالك ، وفق شرع الله وهدى رسوله الكريم تنفيذاً وشرحاً[٤٥].

ـ ورسالة الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ إلى عبدالرحمن السويدي ، عالم من أهل العراق ، جاء فيها : فقد وصل كتابك وسر الخاطر ، جعلك الله من أئمة المتقين ، ومن الدعاة إلى دين سيد المرسلين ، وأخبرك أني ولله الحمد متبع ولست بمبتدع . عقيدتي ودِيني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين ، مثل الأئمة الأربعة ، وأتباعهم إلى يوم القيامة ، لكني بينت للناس إخلاص الدين لله ، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم ، وعن إشراكهم فيما يُعْبَدُ الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود ، وغير ذالك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبي مرسل ، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة(٤٦) .

ـ رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي بعث إلى العلماء الاعلام في بلد الله الحرام ، يوضح لهم عن المعالم المهمة في دعوته ومما جاء فيها بقوله : جرا علينا من الفتنة مابلغكم وبلغ غيركم ، وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين ، فلما كبر هذا على العامة لِظَنِّهِمْ أنه تنقيص للصالحين ، ومع هذا نهياناهم عن دُعائهم ، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله ، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ماذكرنا من هدم البنيان على القبور ، كبر على العامة جداً ، وعاضدهم بعض من يدعي العلم لأسباب أُخَر ، لا تخفى على مثلكم ، أعظمها اتباع هوى العوام ، مع أسباب أخرى ، فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين ، وأنا على غير جادَّةِ العلماء ، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب ، وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها ، وأنا أخبركم بما نحن عليه ، خبراً لا أستطيع أن أكذب بسبب أن مثلكم لا يروج عليه الكذب ، على أناس متظاهرين بمذهبهم عن الخاص والعام ، فنحن ولله الحمد متبعين غير مبتدعين ، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وحتى من البهتان الذي أشاع الأعداء أني أدعي الاجتهاد ، ولا أتبع الأئمة فإنْ بَانَ لكم أن هدم البناء على القبور ، والأمر بترك دعوة الصالحين لما أظهرناه يخالف ما عليه سلف الأمة .

إلى أن قال : وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم على دين الله ورسوله إني متبع

لأهل العلم ، وماغاب عني من الحق وأخطأت فيه فبينوا لي ، وأنا أشهد الله أني أقبل على الرأس والعين ، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل[٤٧].

ـ ورسالته أيضاً إلى عالم من أهل المدينة وفيها يقول : الخط وصل ، أوصلك الله إلى رضوانه ، وسر الخاطر حيث أخبر بطيبكم ، فإن سألت عنا فالحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات ، وان سألت عن سبب الاختلاف الذي هو بيننا وبين الناس ، فما اختلفنا في شيء من شرائع الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج وغير ذلك ، ولا في شيء من المحرمات ، الشيء الذي عندنا زين ، هو عند الناس زين[٤٨].

وغير ذالك من الرسائل ، حيث تخوفت الدولة العثمانية بقياداتها في العالم الإسلامي ، وتعاونوا مع المستعمر من أجل مصالحهم من جهة ، ومن أجل ضرب المسلمين بعضهم ببعض ، لتحقيق المآرب بإضعاف قوة المسلمين ، والقضاء على دعوة الإصلاح التي تؤلف بين القلوب ، وتجمع الشمل ، وتقضي على أسباب الفرقة ، باتباع ماجاء به ﷺ من عند ربه .

وبذالك يخرج العدو المستعمر هو الكاسب من جانب ، ومن جانب آخر فلأن المسلم لا يقبل ذالك المستعمر المخالف له في دينه ، أن يتدخل فيما يتعلق بعقيدته وإلا انكشفت النوايا ، وعادت الحروب الصليبية من جديد .

ولذا فإن هاؤلاء الغربيين ، ولا يستبعد أن يكون من بينهم يهود يهمهم ضرب الإسلام كما هي مخططاتهم وأعمالهم ، منذ حلَّ رسول الله ﷺ في المدينة مهاجراً ، والدارس يلمس مثل هذا الشعور لدى عبدالله بن سَبَإٍ اليهودي ، الذي دخل الإسلام ليفسده من داخله ، وليشكك ضعاف الإسلام في مكانته ، فكان أول من أظهر الفتنة ، وأول من أنشأ فرقة فيه عرفت باسم السبئية .

كما نلمس هذا في دراسات المستشرقين ، الذين حاولوا تشويه صورة الإسلام في العصر الحديث للتنفير منه ، وغالبيتهم من اليهود .

فقد بدأ هاؤلاء جميعاً يقلبون صفحات التاريخ ، وينبشون الماضي علهم

يجدون أشياء ترضي أصحاب الأهواء من أدعياء العلم الذين نصبهم المستعمر في مقامات إسلامية يستتر خلفهم ، ويزينون له مايريد ، وأصحاب المصالح الذين باعوا أُخراهم بعرض من الدنيا ، فهاؤلاء جميعاً ينشدون غرضاً ، ويريدون تحقيق غاية . فأوهموا العامة وأنصاف المتعلمين ، الذين لا يقرأون ولا يتعمقون ، وهم الغالبية العظمى في المجتمع الإسلامي ذالك الوقت ، بأن هذه الدعوة الجديدة التي تحركت في الجزيرة العربية ماهي إلا امتداد لتلك السابقة التي كانت في المغرب ، فرقة الخوارج الأباضية التي تخالفكم معاشر المسلمين في المذهب والمعتقد .

ولكي تنطلي الحجة ، ويمر التمويه لفقوا أقاويل على الشيخ محمد وأتباعه ، أوضح ــ رحمه الله ــ كذبها في رسائله العديدة ، وعرف هذا علماء المغرب في حوارهم عام ١٢٢٦هـ عندما حج المولى أبو إسحاق إبراهيم بن السلطان المولى سليمان رحمه الله ومعه مجموعة كبيرة من علماء المغرب لحوار الإمام سعود بن عبدالعزيز ومناقشته فيما نسب إليهم ، وكان هذا بعد وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ــ رحمه الله ــ بزمن .

وقد أوضحت تواريخ المغرب لهذه الحادثة مايثبت البراءة لهذه الدعوة السلفية من كل مانسب إليها ، وقناعة علماء المغرب من سلامتها وصدقها ، حتى أن الإمام إبراهيم هذا اقتنع بها[٤٩] .

وقد وجد هذا القول ــ أعني القدح في هذه الدعوة ــ صدى في نفوس راغبي الزعامة والتسلط باسم العلم والمعرفة ، ولدى أصحاب الأهواء والمصالح الظاهرة أيضاً . هذا من جانب ، ومن جانب آخر انْطَلَتِ النسبةُ إلى عبدالوهاب ــ والد الشيخ محمد وهي نسبة غير صحيحة ، لأنه لم يكن هو صاحب الدعوة ، لأنهم لو نسبوها للشيخ محمد لصارت محمدية ، ولا يتحقق لهم ماأرادوا ، لأن الدين الإسلامي كله يسمي الرسالة المحمدية ، نسبة إلى النبي محمد ﷺ .

والعامة لا تفرق بين هذا وذاك ، ولذا حرصوا أن يكون للاسم المراد إطلاقه صدى في نفوس الجماهير الذين هم قاعدتهم في التمويه والتلبيس .

ظهر مثل هذا القول في تقارير وخطابات إبراهيم باشا ، التي كان يبعث بها إلى محمد علي ، بمصر ، وفي كتابات لبعض العثمانيين ، حيث بدأ إطلاق الألقاب التالية : الوهابية . الخوارج . المارقين من الدين[٥٠] على دعوة الشيخ محمد ، والدولة السعودية من ذالك التاريخ .

هاؤلاء في مظهر عام اتفقوا جميعاً في اتجاه واحد للتلبيس على الناس ، في هذا الأمر ، والناس بطبيعتهم يتخوفون من كل جديد ، ويستنكرون ماجاء لمخالفة ماساروا عليه ، وخير شاهد في هذا مانجده موضحاً في القرآن الكريم ، والسيرة النبوية العطرة من أمور كثيرة في موقف المعاندين للإسلام ، عندما جاء به محمد ﷺ من عند ربه داعياً ومنقذاً .

كما نلمس شاهداً حياً في عصرنا الحاضر ، عندما بدأ الشباب الإسلامي يهتم بدينه ، ويرجع لتعاليم ربه ، فيما أطلق عليه : الصحوة الإسلامية . فقد بدأت صحف الغرب والشرق ووسائل إعلامه وجهود مفكريه ، تُشَوِّهُ الصورة ، وتنفر من الإتجاه وتصف هذا الإتجاه بنعوت متعددة ، لكي يوجد حجاب يمنع المسيرة ويقضي على الحماسة . والعامة في كل عصر ومكان ــ وهم الجم الغفير ــ يلجأون في مثل هذا الأمر إلى مصدر القوة لتوضح لهم الأمر ، وتُجَلِّي الحقيقة ، لكن هذا المصدر في ذالك الوقت من علماء وأرباب مصالح أرادوا قلب الحقائق ، وتشويه أصوات المستجيبين العارفين ، وذالك بإطلاق الشبهة ، واختلاق الآراء ، التي تلقفها العامة بالنشر والاذاعة ، من جانب ، وبالاستجابة للنداء بالوقوف ضد هذا الاتجاه الذي سموه للناس انشقاقاً في الدين ، وخروجاً على جماعة المسلمين ، وبِدَعاً أُدْخِلَتْ في الدين ، بينما واقع الأمر عكس ذالك .

وقد وجدت هذه الشبهة ــ التي أطلقت ــ صدى في نفوس أرباب المصالح والجاه في الباب العالي العثماني ، خوفاً على سمعة ومكانة الدولة ونفوذها . وفي كثير من أقطار المسلمين بالتبعية ، حيث روجها أناس يأكلون أموال الناس بالباطل ، ويرضون بزعامات مؤقتة دينية ، يتسلطون بها على الجهال الذين لا يدركون حقيقة دينهم ، ولا نوايا هاؤلاء وماهم عليه ، وهذا ماكان يخشاه

رسول الله ﷺ من العلماء المضللين الذين يُفْتُون بغير مأنزل الله فَيَضِلُّونَ ويُضِلُّونَ ، للتحذير من زلة العالم ، وقد ضرب هاؤلاء جميعاً على الوتر الحساس في حياة الناس ، وهو الدين الذي تحتاجه النفوس ، وتتشوق إليه ، ولكنها تجهله حقيقةً ، وتجهل المصادر التي يجب أن يؤخذ منها ، فتتبع كل مايقال لها فيه ، ومن هذه الجذور بدأوا في التعاون لتشويه الدعوة التي من أهدافها تجميع المسلمين ، ونبذ الخلافات وتنوير الأذهان ، وتوجيه النفوس إلى العلم ، باعتباره مصدر الحقيقة ، حيث بلغ الأمر بالناس في الدرعية ، كما ذكر ابن غنام وابن بشر في تاريخهما رغبة عارمة في النهل من العلم ثم العمل المتواصل لكسب المعيشة ، فكان تلاميذ الشيخ يوزعون أوقاتهم بين العلم والعمل .

من بعد صلاة الفجر حتى ارتفاع الشمس للعلم ، ثم يتجهون لأعمالهم وفلايحهم حتى الظهر ليرتاحوا ويواصلوا العمل من العصر حتى المغرب ، وبعد المغرب إلى العشاء حلقات علم ، واهتمام بالبحث عن المعرفة في الحلقات والنقاش .

وهذا مما دفع أيضاً بعض الأشخاص ممن تعارضت مصلحته الدنيوية مع دعوة الشيخ إلى مخالفة الشيخ ، ومحاولة التشهير به كذباً ، وافتراء ، وأغلبهم من بني قومه ، فألصقوا بالشيخ ودعوته أشياء كثيرة طَفِقَ جاهداً في رسائله العديدة إلى التبريء ، منها ، والدفاع عن سلامة المعتقد الذي ينادي به ، وأنه لم يخرج عن الكتاب والسنة ، وسوف يكون لنا مع بعض أؤلئك وقفة ، ترشد طالب الحقيقة إلى بعض مواطن الداء . وان من يقرأ ماكتبه خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عنها من افتراءات وأكاذيب ، فإنه لاشك سيلمس أن جميع ماأوردوه من شبهات ، وما اختلقوه من مجادلات لا أصل لها في أي مصنف مما كتبه ــ رحمه الله ــ بل إن رسائله العديدة التي ملأت سفراً كاملاً ، ورسائل وردود أولاده وتلاميذه من بعده ، وهي كثيرة وعديدة ، كلها كانت تنفي تلك الأقاويل ، وتتبرأ منها بأيمان صادقة ، ومثل هذا الرسائل والردود التي يجدها المتتبع لمسيرة هذه الدعوة ، والمنافحين عنها النافين للشبهات المطروحة من دون أصل ثابت . إننا عندما نعود إلى أصل تلك الشبهات فإننا سنراها لا تخرج عن :

ـ شبهات ذات جُذُورٍ في الفرق السابقة ، ألصقوها بالشيخ محمد بن عبدالوهاب ، مع أن له رأيا فيها هو رأيُ أهل السنة والجماعة ، حيث ينكر خروجها عن الصف الإسلامي ، كما أنكرها قبله شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الشام ، والإمام الشاطبي في المغرب .

ـ وإما أشياء مختلقة لا أساس لها من الصحة ، ولم ترد في أصل مما نقل عن نصوص ومؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ولا في مؤلفات تلاميذه أو أبنائه .

والمختلق لا حدود له ، إذْ فيه تمويه على القارىء والسامع ، فقد أبانت رسائل الشيخ توضيحات ضد هذا ، خذ مثلاً قوله في إحدى رسائله لأهل القصيم وقد جاء فيها : ـ ثم لايخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم[٥١] قد وصلت إليكم ، وأنه قبلها وصدقها بعضُ المنتمين للعلم في جهتكم ، والله يعلم أن الرجل افترى علي أموراً لم أقلها ، ولم يأت أكثرها على بالي : فمنها قوله : أَنِّي مبطل كتب المذاهب الأربعة ، وإني أقول : إنَّ الناس من ستّ مئة سنة ليسوا على شيء ، وأني ادّعي الإجتهاد ، وأنِّي خارج عن التقليد ، وأني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة ، وإني أكفر من يتوسل بالصالحين ، وأني أكفر البوصيري لقوله : ياأكرم الخلق ، وأَنِّي أقول : لو أقدر على هَدْمِ قبة رسول الله ﷺ لَهَدَمْتُهَا ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لَهَا ميزاباً من خشب ، وأني أُحَرِّمُ زيارة قبر النبي ﷺ ، واني أنكر زيارة قبر الوالِدَيْنِ ، وغيرهما ، وأَني أكفر من حلف بغير الله ، وأني أكفر ابْنَ الفارض وابنَ عَرَبِي ، وأَنِّي أُحْرِقُ «دلائل الخيرات» و« روض الرياحين» أُسَمِّيْه «روض الشياطين» جَوَابِي عن هذه المسائل أن أقول: ﴿سبحانَكَ هذا بهتان عظيم﴾ وقبله من بهت محمداً ﷺ أنه يسبُّ عيسى بن مريم ، ويسبُّ الصالحين ، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور[٥٢].

ـ ويدخل في هاتين الحالتين ظهورُ عَجْزِ من جادلوا أتباع الشيخ وأفحموهم ، ومن باب الرغبة في تغطية هذا العجز ، بدأوا ينالون من الشيخ ودعوته ، وهذا من باب التلبيس على الناس ، ذالك أنهم لو قالوا الحقيقة التي دارتْ في النقاش

لانتهت مكانتهم ومصالحهم ، ولذا لم يَبْقَ أمامهم إلا قلب الحقيقة ، وتمويه النتيجة ، لأن ماجرى لم ينشر على الملأ .

ــ وإما كلام مبتور من أصل كلامه ــ رحمه الله ــ أو قولٌ مُؤَوَّلٌ على غير معناه ، مثل من يقرأ ﴿ويل للمصلين﴾ ويسكت .

ويدخل في هذا قولهم : إن أتباع محمد بن عبدالوهاب ينكرون الصلاة على النبي ﷺ ، وينكرون رسالته ، مما لا يصدقه عاقل متبصر .

ولا أستبعد أن يكون جميع من كتب متهجماً على الشيخ محمد ودعوته ، بأنه لم يقرأ واحداً من كتبه ، سواء في التوحيد والعقيدة ، أو الفقه والأحكام ، أو التفسير والسيرة النبوية ، بل إنه لم يناقشْ رأياً مما قال ، وإنما حركتهم المصالح الدنيوية ، وأَعْمَاهُمُ الهوى ، حيث وجدوها فرصةً عاجلة لأخذ عيوب (الوهابية) الرستمية الخارجية الأباضية ، التي قال فيها علماء الإسلام ماقالوا ، ودار حولها في المغرب نقاش طويل ، وردود ومجادلات ، وتناولها علماءُ المغرب في كتبهم بالردود والقدح كثيراً ، لإلْصَاق تلك العيوب بالدعوة الجديدة بادئَ ذِيْ بَدْء .

وقد استغل الخصوم تشابُهاً في الاسم ، فطابقوا اللقب في الحالين ، وأطلقوا الأول على الثاني ، وأعطوا دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب اصطلاحاً جديداً هو اسم لِجُذُورٍ عميقة في نفوس المسلمين في شمال افريقيا بصفة خاصة وهو (الوهبية) أو (الوهابية) فوجدوا هذا ثوباً جاهزاً ألبسوه دعوة الشيخ محمد للتنفير منها ، حيث أبرزوا عيوب السابقة وألصقوها بدعوة الشيخ محمد ، والمغاربة ممن شهد لهم التاريخ بدور إيجابي للوقوف ضد الدعوات المناهضة لأهل السنة ، مع عبدالوهاب بن رستم هذا ، ثم مع الفاطميين العُبَيْدِيِّيْن وغيرهم ، ثم بمناهضة المستعمر في بلادهم ، والوقوف ضد مطامعه ، ومحاربة النصارى على أيدي الدولة العلوية حقبة طويلة من الزمن ، فأَلْبس أعداءُ الإسلام دعوةَ الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ثوباً مستعاراً مشوهاً من باب التنفير ، خوفاً من عودة المسلمين إلى المنهج المحمدي ببساطته ، واستمالته لقلوب المسلمين ، الذين ملوا الفرقة ، وأضناهم الخلاف . فيكون في ذالك سبب لاتفاق الكلمة ، ونبذ

الخلافات التي ينفذ منها الأعداء . خاصة وأن صدوراً في العالم الإسلامي ــ وخاصة في شمال أفريقيا ــ قد انفتحت لهذه الدعوة وأستجاب لها أصحابها لأنها بغية كل مسلم ، كما مر بنا نماذج من ذالك . فأقضَّ ذالك مضاجع أصحاب المصالح ، وأرباب الأهواء ، وتعاموا عن الحقيقة التي بذلوا جهوداً مضنية لطمسها ، وإلهاء الناس عنها ، وعن تتبع مصادرها بحثاً واستقصاء . ويتضح مثل ذالك في كتابة الباحثين الغربيين والمستشرقين ، من فرنسيين وإيطاليين وانجليز وألمان ، عن الإسلام والمسلمين ، في شمال أفريقيا على وجه الخصوص ، وفي كل مكان بوجه عام ، وخاصة عند تعرضهم لليقظة الفكرية الجديدة في تاريخ الإسلام ، التي تربط دائماً ومن الدراسات المُنْصِفة لِقيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوته ، وامتدادها للعالم الإسلامي .

ففي الوقت الذي بدأ المسلمون يَعُونَ حقيقة الدعوة السلفية التي جددها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وأعادت للمسلمين يقظةً فكرية ، وعقدية في المنهج الإسلامي الصحيح ، والعقيدة السليمة ، لأنها لم تخرج بالإسلام عن نقاوته الأولى ، حيث سلك في هذا الدرب مَنْحَى المصلحين في تاريخ الإسلام ، المجددين لمنهج السلف الصالح ، كلما اندثر ، كابن تيمية أحمد بن عبدالحليم المتوفى بالشام عام ٧٢٨هـ . وابن قيم الجوزية المتوفى بدمشق عام ٧٥١هـ ، والشاطبي المتوفى بغرناطة بالأندلس عام ٧٩٠هـ وغيرهم كثير من علماء السلف .

كما تحدث عن ذالك كثير من العارفين والمفكرين العرب المسلمين وغيرهم .

د/محمد بن سعد الشويعر

[الحواشي] :

(١) « سورة الحجرات » آية ٦ .
(٢) « سورة البقرة » آية ١٤٢ وراجع أقوال سيد قطب في « الظلال على دلالة الوسط » .
(٣) « سورة البقرة » آية ٢٠٤/٢١٥ .
(٤) « سورة البقرة » آية ١٢٠ .

(٥) ضمن مقال نشر لفصيلته في « عكاظ » في شهر جمادى الأولى من عام ١٤٠٤هـ . وانظر كتاب « الإمام محمد بن عبدالوهاب » للأستاذ عبدالله بن رويشد ج ٢ ص ٣٤٥ /٣٤٦ نقلا عن كتاب « حاضر العالم الإسلامي » .

(٦) « سورة الأحزاب » آية ٢٣ .

(٧) يراجع في هذا « الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام » ج ١٠ ص ٧٠ وص ٧١ وكتاب « الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى » ج ٨ ص ١٢٠/١٢١/١٢٢ ، وانظر « البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد » الطبعة الأولى سنة ١٣٤٤هـ .

(٨) « سورة الحجرات » آية ١٠ .

(٩) « حديث رواه الترمذي » .

(١٠) راجع كتاب « محمد بن عبدالوهاب » للأستاذ عبدالله بن رويشد ج ٢ من ص ٢٤٥ ــ ص ٣٥٤ وفيه مقتطفات من كلام هاؤلاء .

(١١) راجع مقتطفات من هذه الأقوال في « محمد بن عبدالوهاب » لابن رويشد ج ٢ ص ٢٧٥/ ٣٦٠ .

(١٢) أخرجه مسلم في باب تحريم الرياء عن زهير بن حرب ص ٢٩١ الأحاديث القدسية .

(١٣) انظر ص ٣٨

(١٤) انظر « الكامل » في حوادث عام ٣٨هـ .

(١٥) انظر « الحلل السندسية » ص ١٤٣ و « الاعلام » للزركلي ١٤٨/٥ .

(١٦) متفق عليه .

(١٧) انظر هذا الكتاب ج ٢ ص ٥٥١ إلى ص ٥٥٧ طباعة دار النهضة العربية بيروت وفيه معلومات أشمل عن عبدالوهاب هذا ودولته .

(١٨) راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب من ص ٤١ إلى ص ٤٨ .

(١٩) انظر ص ١٥٠ ، ومن ص ١٤٠ إلى ص ١٥١ من هدا الكتاب .

(٢٠) راجع « الاعلام » ج ٤ ص ٣٣٣/٣٣٤ ومن هامشه يتضح مراجعه لمن يرغب الاستزاده .

(٢١) انظر « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » ج ١ ص ١٩٧ وفيه سمي عبدالوهاب عبدالوارث .

(٢٢) انظر « انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية » تأليف محمد كمال جمعه ص ٦٣ ــ ٨٧ .

(٢٣) راجع رحلته ترجمة أنس الرفاعي وتحقيق سعود بن غانم العجمي ص٨٥/٨٧ و ص ٩٦/٩٩ .

(٢٤) نفس المصدر من ص ١٠٥ ــ ١١٠ ، ص ١٥٦ ــ ١٥٩ .

(٢٥) نفس المصدر ص ١٤٩ .

(٢٦) نفس المصدر ص ١٥٠ .

(٢٧) انظر كتابه هذا ص ١٥١ ــ ١٥٣ و ص ١٤٨ .

(٢٨) انظر كتابه ص ١٠٨ .

(٢٩) انظر رحلته هذه : « رحلة عبر الجزيرة العربية » ص ١٤٩ .

(٣٠) انظر رحلته هذه ص ١١٦ ــ ١١٨ .

(٣١) انظر رحلته هذه ص ١٠٥/١٠٦/١٠٩/١١٠ و ١٣٧ إلى ١٤٢ .

(٣٢) [« العرب » : حذفنا بعض الجمل التي أوردها الكاتب الكريم لأن رحلة (سادلير) مطبوعة ويمكن الاطلاع على تلك الجمل فيها] .

(٣٣) انظر كتاب « انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبالوهاب » ص ٢٣٥ تأليف محمد كمال جمعة نشرته الدارة .

(٣٤) انظر كتابه « تاريخ افريقيا الشمالية » ج ٢ ص ٣١١ .

(٣٥) انظر هذا الكتاب التاريخي في أحداث عام ١٢٢٦هـ ، ج ٨ ص ١٢٠/١٢٤ .

(٣٦) انظر صحيفة « اسلاميكا » (ISLMICA) وهي دورية ألمانية . كما علق على هذه الرسالة الكاتب بتشويه الدعوة بخلاف ماجاء في الرسالة وهذا غير مستغرب من المستشرقين ــ العدد الأول ــ المجلد السابع عام ١٩٣٥م ص ٧٢ وما بعدها .

(٣٧) انظر « انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب » لمحمد كمال جمعة ص ٢٣٥/٢٣٧ وانظر « الاستقصاء » ج ٨ ص ١٢٠/١٢٢ .

(٣٨) نفس المصدر ص ٢٣٧ .

(٣٩) انظر المصدرالسابق ص ٢٣٧/٢٣٨ وفيه تفصيل أكثر . « والاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى » ج ٨ ص ١١٩/١٢٣ ، وكتاب « الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام » ج ١٠ ص ٦٨/٧٣ .

(٤٠) انظر كتاب محمد بن عبدالوهاب ص ١٠٦/١٠٧ .

(٤١) انظر كتابه « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » ج ٣ ص ٢٦٩/٢٧٢ ، آخر حوادث صفر سنة ١٢١٨هـ .

(٤٢) انظر « عجائب الآثار » للجبرتي ج ٤ ص ٢٧٦/٢٧٧ وفيه تفاصيل أكثر مما أوردناه .

(٤٣) انظر « تاريخ افريقيا الشمالية » ج ٢ ص ٢٢٠ .

(٤٤) انظر كتاب « الشيخ محمد بن عبدالوهاب » لأحمد بن حجر ص ١٠٦ .

(٤٥) انظر الرسالة كاملة في الجزء الخامس من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ــ الطبعة الأولى ــ ص ٣٢/٣٣ ، وانظر « الدرر السنية » ج ١ ص ٥٩/٦٠ .

(٤٦) انظر الرسالة كاملة في الجزء الخامس من مؤلفات الشيخ محمد نشر جامعة الإمام بالرياض ص ٣٦/٣٨ ، وانظر « الدرر السنية » ج ١ ص ٥٤/٥٦ .

(٤٧) انظر المرجع السابق ص ٤٠/٤٢ .

(٤٨) انظر المرجع السابق ص ٤٤/٤٩ وفيها شرح كامل لمعتقد أهل السنة والجماعة .

(٤٩) راجع سيرة المولى أبي اسحاق إبراهيم بن سليمان في تواريخ المغرب مثل « الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى » ج ٨ ص ١٢٠/١٢٥ . للناصري ، « والأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام » ج ١٠ ص ٦٨/٧٣ .

(٥٠) راجع في مثل هذه الوثائق : رسالة محمد علي يعتذر للأتراك فيها عن القيام بحرب ابن سعود ص ٣٥٣/٣٥٥ . ورسالة يوسف كنج الخاصة بحرب آل سعود ص ٣٦٢ ــ ٣٧٠ ، وأمر تعيين يوسف ضبا باشا قائداً عاماً للعساكر بالحجاز ص ٣٧١/٣٧٢ ، والملحق رقم ٧ ص ٣٧٣/٣٧٤ . ورسالة إبراهيم باشا بعد حرب شقراء والتبشير بفتحها ص ٤٢٢/٤٤٤ ، وغيره كثير . انظر كتاب « الدولة السعودية » للدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، في هذا ص ٣٤٩/٤٤٠ .

(٥١) واحد من أهل الرياض ناوأ دعوة الشيخ وخاصمها ، وصار يكتب في الآفاق يختلق على الشيخ ما لم يقله .

(٥٢) راجع هذه الرسالة كاملة في ج ٥ من مؤلفات الشيخ قسم الرسائل الشخصية ص ٨/١٣ وفيها وأمثلها رد على المتقولين في كل عصر . ومثل هذا الرسالة المنسوبة لأخي الشيخ سليمان بن عبدالوهاب في الرد على الشيخ محمد وهي من وضع خصومه ووضعوا اسم سليمان عليها كذبا .

رسالتا : ابن مجثل والحفظي
في حـال أحمد بن إدريس المغربي

مقـــدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، محمد وآله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فإن حال الفكر والأدب بتهامة وعسير في القرون الأخيرة الماضية يستحق الدراسة والبحث في صورة علمية دقيقة ، فلقد مرَّ على هذه الأنحاء من جزيرة العرب حين أضاع الناس من خلاله معظم تراثهم ، وأهملوا في جانبه مجال جمعه ، والمحافظة عليه ، مما جعل البحث في سبيله شاقاً غير يسير . وذلك لما أصاب هذه الأجزاء من أسباب : الفرقة السياسية ، والاختلافات المذهبية ، والظروف البيئية[1] ونحوها ، ولعل ما يمكن نهجه في هذا الميدان محاولة جمعه ، وتحقيقه ، إذ لا يخلو هذا الاتجاه من الفائدة العلمية ، والقيمة التاريخية ، فالواقع أن هذه المنطقة تضم عدداً غير يسير من الأسر العلمية ذات الميراث الفكري ، والمكتبات الخاصة ، ناهيك عن وضوح اليقظة العلمية في مظاهر : التعليم ، والتأليف ، والهجرات في سبيل العلم ، فلقد اتسمت مراكز الفكر في تهامة ، وعسير بشيء من ملامح اليقظة الفكرية والأدبية الحادة .

وإذا أُدرك هذا الحال تبين للباحث في هذا الميدان أهمية تحقيق ما يمكن جمعه من ذالك التراث ، إذ يتم من خلاله التعرف على الواقع الفكري والأدبي ، فضلاً عن معرفة ظروف العصر ، وما يحيط به من أوضاع مختلفة ، وذالك ما سيساعد على إيضاح معالم تلك الفترة وملامحها ، فالحق أن المضامين المعنوية التي اشتملت عليها رسالتا ابن مجثل ، والحفظي لتزيد في إيضاح حال العصر ، وبخاصة الواقع المذهبي ، وما أصاب الحياة الدينية عبر هذه الفترة من مظاهر الغلو والتطرف ، فلقد سعى أحمد بن إدريس حينذاك إلى العمل على غرس بذور الصوفية في صبيا بعيداً عن مزاحمة أقطاب التصوف في تهامة اليمن وفي غيرها ، فالواضح أنه أمضى أكثر من تسعة أشهر في تهامة بُعَيْدَ رحلته من مكة المكرمة عام ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م ، إذ أنه فيما يبدو كان يخطط لمقام يليق بآماله ، ومنزلته الصوفية ،

وطقوسه الدينية ، ولقد كانت صبيا عندئذ مراماً مناسباً لتلك الآمال ، إذ استقر رأيه على أن يهوى إليها بمن معه من الاتباع والمريدين ، فالفرصة مهيأة ، والحياة الفكرية محدودة . لا تخلو من مظاهر التقليد والضعف ، ولقد فات ابن إدريس أن تهامة ، وعسير عندئذ تحيا حياة سلفية غير عادية ، وبخاصة عسير التي تأثرت إلى حد كبير بمبادىء الدعوة السلفية الإصلاحية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب بتوفيق من الله تعالى ، ثم بتأييد من أمراء الدولة السعودية الأولى[٢] ، فالحق أن هذا الاتجاه قد أقلق ابن إدريس في العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجري ، وبدد كثيراً من آماله وأحلامه الصوفية ، ولكنه لم يقض تماما على ذالك الاتجاه ، وإنما ظل حياً في قلوب العامة حتى قامت دولة الأدارسة بتهامة في الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري[٣] ، حيث استغل حفيده محمد بن علي الإدريسي ذالك الموروث الديني ، وأسس دولته على أساس من التصوف وطقوسه ، ولم يقض على تلك الأسباب من بعد سوى تلك الجهود السلفية الجادة المتمثلة في قيام المملكة العربية السعودية ، وتوحيد أجزائها على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في منتصف القرن الرابع عشر الهجري .

وإزاء ماتقدم كله أود الإشارة إلى أهمية تحقيق مثل هذه الرسائل ونشرها ، فلقد بات من المستحسن الاهتمام بتاريخ الأدب في هذه الجزيرة العربية ، فالحق أن ذالك التاريخ لايزال مجهولاً على كثير من الدارسين والباحثين في تاريخ الفكر والأدب بجزيرة العرب ، وليس من المقبول إهمال مثل تلك الآثار الأدبية ، فهي في الواقع لبنات مهمة لتكوين هذا التاريخ وتأصيله ، وإني أشكر الله تعالى ، واعترف بفضله عليَّ ، إذ يسر لي أسباب البحث في هذا الميدان ، وأسأله تعالى العون والتوفيق والسداد ، ثم أشكر من أسهم في نشر هاتين الرسالتين ، وسعى في تيسير سبل الحصول عليهما ، وأخص بالذكر الشيخ الحسن بن علي الحفظي[٤] رحمه الله تعالى ، أذ هو أحق أولئك بالشكر ، والدعوة الصالحة فلقد مكنني رحمه الله من تصويرهما ، ومات قبل نشرهما ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وجمعني وإياه في دار كرامته ، إنه السميع العليم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

في تراجم ابن مجثل ، والحفظي ، وابن إدريس :

أولا ــ علي بن مجثل المغيدي :

نسبه ومولده : هو علي بن مُجَثّل بن مسفر بن عبدالرحمن بن علي بن عبدالله بن علي بن عبدالعزيز بن سعيد بن وضاح بن عايض بن أحمد بن سالم بن عبدالله[٥] . يعود نسبه في قبيلة بني مُغَيد[٦] ، إحدى قبائل عسير المشهورة ، لم تتحدث المصادر التي بين أيدينا الآن بشيء عن تاريخ مولده ، وإنما تشير بعض تلك المصادر إلى أنه ممن أدرك أمراء الدولة السعودية الأولى ، وممن تشبع بمبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، فقد قال عبدالله بن علي بن حميد[٧] : (وكان هذا الأمير من المخضرمين الذين أدركوا عصر آل سعود بالبلاد . وكان متشبعاً بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٨]) وهذا يدل على أن ولادته كانت في أواخر القرن الثاني عشر الهجري شأن مُعَاصِرَيْهِ : الحفظيِّ ، وابنِ إدريس .

إمارته : حكم ابن مجثل عَسير ، حوالي سبع سنين وثمانية أشهر[٩] ، ابدأت من ٢٢ صفر ١٢٤٢هـ[١٠]/١٨٢٦م حتى ١٢ شوال ١٢٤٩هـ[١١]/١٨٣٣م ، إذ تقلد زمام الحكم عقب وفاة ابن عمه[١٢] سعيد بن مُسْلط[١٣] ، فقد قيل : (تولى علي بن مجثل الإمارة بعد وفاة سعيد بن مسلط ، وقد بايعه رُؤساء ووجهاء القبائل)[١٤] ، ومن الواضح أن لِابْنِ مُجَثل ــ قبيل توليه إمارة عسير ــ دَوْرًا غير يسير في الحكم ، إذ اعتاد مكاتبة مشايخ القبائل ومراسلتهم . وكان يُسْهِمُ في إدارة حكم البلاد ، ويؤكِّدُ هذا القولَ ماذكره أحد الباحثين المعاصرين ، حين قال بأن : (جميع الوثائق والمصادر تجمع على أن قائِدي الثورة في عسير منذ ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م إلى عام ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م هما : سعيد بن مُسْلط ، وعلي بن مُجَثِّل)[١٥] ، إلى جانب : (أن القيادة في عسير كانت خلال هذه الفترة شبه قيادة جماعية ، بدليل أن تلك الرسالة المرسلة ــ على سبيل المثال ــ إلى محمد بن عَوْنٍ مُوَقَّعَةٌ من سعيد بن مسلط ، وعلي بن مجثل)[١٦] ، ولقد اتسعت إمارة عسير في عهد ابن مجثل فشملت : (مابين المَخَا وزَبيد جنوباً حتى تخوم بلاد غامد وزهران شمالاً)[١٧] ، إذ اتسم حكم ابن مجثل لإمارة عسير بالهدوء والاستقرار ،

واتصف بناء إمارته بالحكمة ، والدهاء ، بالرغم من ظهور بعض القلاقل والفتن ، من أمثال حركة تركي بلماز بتهامة اليمن[١٨] .

سيرته وملامح حكمه : اتصف ابن مجثل بالورع ، والتقوى ، والشجاعة ، والثبات في الحروب ، فلقد قيل بأنه : (أهل دين وتقوى ورجل شجاعة وحرب ، سار بالناس سيرة حسنة)[١٩] ، كما وصف بأنه : (شديد التمسك بالدعوة السلفية)[٢٠] . وكان : (على دراية علمية مناسبة)[٢١] ، إذ قيل بأنه : (كان يجيب على أسئلة مواطنيه الدينية) ، ويعتاد صحبة العلماء ، والعمل على تقديرهم ، إذ كان محباً لهم : (كثير الاجتماع بهم)[٢٢] ، حيث اتسم عهده بوضوح العقيدة ، وسلامتها من لوث البدع ، والمعتقدات الباطلة ، ولقد سعى في هدم القبور المرتفعة والقباب المشيدة[٢٣] . وكان كثير الحرص على استلهام مشاعر جنده عند الخروج بهم في سبيل الجهاد ، وبخاصة في ميدان القتال عن طريق الخطابة والتوجيه الديني[٢٤] . وليس أدل على مواقفه السلفية الجادةمن قوله ، وقد عقد مناظرة بين ابن إدريس الصوفي وفقهاء عسير[٢٥] عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م : (إنا لم نزل قائمين في تجديد التوحيد وهدم الشرك)[٢٦] ، وله مآثر عديدة ، وإصلاحات مفيدة ، أهمها : تشجيع التعليم . ورعايته[٢٧] ، واحترام وفادة العلماء إلى إمارته[٢٨] ، وقبول نصحهم ، وحظهم على التأليف ، والتدوين[٢٩] . وكان كثير الحرص على تشييد الحصون[٣٠] ، وحفر الآبار[٣١] ، ناهِيْكَ عن أهتمامه بتأسيس المساجد وعمارتها .

وفـاته : تكاد معظم المصادر المحلية المخطوطة والمطبوعة تجمع على تحديد تاريخ وفاة هذا الأمير ، إذْ ذهبت جميعها على أن وفاته كانت في ١٢ شوال ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م ، على أثر مرض أَلَمَّ به وهو في تهامة اليمن ، فقد قيل إنه : (في أوائل شهر رمضان (عام ١٢٤٩هـ) عاد إلى بلاده بعد أن علقت به علةُ الموت ، وحمل على أعناق الرجال فوافى عاصمته السَّقَا في النصف من شهر رمضان ، وبقى متأثراً حتى اليوم الثاني عشر من شهر شوال عام ١٢٤٩هـ حيث وافته منيته)[٣٢] ، ولم يشذ من المصادر إلا كتاب « الأعلام » للزركلي الذي حدد

تاريخ وفاته بعام ١٢٤٦هـ[٣٣]/ ١٨٣٠م ، وهذا القول مردود لما تحقق من وضوح في اجماع المؤرخين في كتبهم السابقة .

ثانياً ــ إبراهيم بن أحمد الحفظي :

نسبه ومولده : هو إبراهيم الزمزمي[٣٤] بن أحمد الحفظي [٣٥] بن عبدالقادر بكري بن محمد[٣٦] بن مهدي بن موسى بن جغثم[٣٧] بن عجيل بن عيسى بن حسن بن محمد بن أسعد بن عبدالله بن أحمد بن موسى بن علي بن يوسف بن إبراهيم بن أبي العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر عُجَيْل[٣٨] . يعود نسبه : (في الزرانيق . . من بيت الأكيد أحد بيوت عَكٍّ بن عدنان القبيلة المعروفة بتهامة)[٣٩] اليمن ، ولد في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين ومئة وألف من الهجرة[٤٠] في قرية رُجَال[٤١] برجال أَلمع بتهامة .

تعليمه الأولي وهجرته في سبيل العلم : تلقى تعليمه الأولي على يد والده أحمد بن عبدالقادر الحفظي[٤٢] ، وأخذ عن أخيه محمد بن أحمد الحفظي[٤٣] ، ثم هاجر في سبيل العلم إلى المخلاف السليماني[٤٤] ، إذ أخذ عن الشيخ أحمد بن عبدالله الضمدي [٤٥] بأبي عريش[٤٦] . وارتحل من بعد ذالك إلى تهامة اليمن ، حيث طلب العلم على يد بعض علمائها ، وبخاصة علماء آل الأهدل ، وقد لبث في تلك الهجرة العلمية سبع سنين[٤٧] قضاها في الدرس ، والتحصيل .

عودته إلى وطنه : عاد إبراهيم الحفظي إلى وطنه ، بعد رحلة علمية مديدة قضاها في سبيل العلم ، مقتفياً نهج أسلافه البكريين الذين اعتادوا مثل هذا التقليد العلمي[٤٨] ، حيث استقر في بلدته رُجال بتهامة ، وأسس مع أخيه محمد الحفظي مدرسة علمية أولية[٤٩] ، وبالإضافة إلى اشتغاله بالتعليم ، اشتغل بالتأليف ، والتدوين ، ومال إلى العزلة والخمول ، وفضّل العبادة والانصراف إلى النفس ، فلم يعرف عنه أنه وَطِئَ بساط أمير قط ، كما وصف بالتقوى ، والصلاح ، وحب الطاعة ، فلقد اشتهر ذكره ، وعلا صيته[٥٠] . وكانت له علاقات وطيدة مع علماء عصره في تهامة ، واليمن[٥١] وغيرهما . وقد تخرَّج على يده جملة من طلبة العلم والدارسين[٥٢] .

مؤلفاته : يعد نتاج إبراهيم الحفظي قليلاً إذا قيس بمكانته العلمية ، ومنزلته الفكرية بين علماء جنوبي الجزيرة العربية ، ومع ذلك فغالب نتاجه الفكري يكاد ينحصر في ميدان النحو وعلومه ، فلقد ذكر محمد بن إبراهيم الحفظي أن له من المؤلفات : « عبق الجلاب شرح ذوق الطلاب »[٥٣] ، و « قيد الشوارد في المسائل النحوية »[٥٤] ، بالإضافة إلى شيء من الرسائل المختلفة ، والرسائل المهمة[٥٥] ، ولقد أفاض الحسن بن أحمد عاكش في ذكر مؤلفات الحفظي في معرض حديثه عنه ، إذ قال : (وله مؤلفات في النحو مطولة ومختصرة منها : شرحه على مقدمة أخيه الشيخ العلامة محمد بن أحمد الحفظي في النحو ، طالعته فبهرني ما رأيت من التحقيق ، وما (حوت) من رائق العبارة بالتدقيق (قيد شوارد من المسائل النحوية ، وأوضح مشكلات في الغريب ، وله رسائل جمة في علوم مهمة ، وله في الأدب يد طائلة رأيت له أراجيز ، وقصائد مطولات إخوانيات وغير ذلك)[٥٦] .

وفاته : توفي رحمه الله تعالى في سنة سبع وخمسين ومئتين وألف للهجرة[٥٧] ، عن عمر يناهز تسعة وخمسين عاماً[٥٨] ، قال عنه عاكش : (ولم يخلق في جميع ماحواه من أهل جهته مثله)[٥٩] .

ثالثاً ــ أحمد بن إدريس :

نسبه ومولده : هو أحمد بن محمد بن علي بن إدريس الحسني المغربي[٦٠] ، ولد عام ثلاثة وسبعين وألف للهجرة[٦١] ببلدة عرايش[٦٢] ، من أعمال مدينة فاس ببلاد المغرب .

تعليمه وتصوفه : تلقى تعليمه ببلاد المغرب على يد نفر من علماء الصوفية المشهورين بالمغرب ، من أمثال : الجندري ، وعبدالوهاب التازي[٦٣] وغيرهما ، وقد عُرِف بطريقته الصوفية المعروفة ، إذ سميت بالأحمدية ، وقيل المحمدية[٦٤] ، حيث اتسع انتشارها بتهامة ، وبخاصة في صبيا بالمخلاف السليماني .

وفادته إلى صبيا واستقراره فيها : خرج ابن إدريس من بلاده سنة

١٢١٣هـ[٦٥]/١٧٩٨م ، حيث وصل مصر ، ثم رحل منها إلى مكة المكرمة ، فلبث فيها : (نحواً من ثلاثين سنة)[٦٦] ، قضاها في الدرس والتدريس ، والتنقل في بعض بلدان الجزيرة العربية وفي غيرها . ولقد أزمع ابن إدريس الخروج إلى تهامة اليمن سنة ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م حينما توافر له من أسباب التصوف ، والآمال الدينية ما دفعه إلى ذالك . وفي تهامة اليمن أمضى أكثر من تسعة أشهر قضاها في التنقل بين مراكزها الفكرية الشهيرة ، مثل : (زبيد ، والمخا ، وموزع)[٦٧] . ولما تحققت لابن إدريس وفرة الصوفيين ، وكثرة طرقهم بتلك البلدان ، قرر الرحيل إلى صبيا بالمخلاف السليماني ، حيث وصلها في شهر رمضان سنة ١٢٤٥هـ[٦٨]/١٨٢٩م ، إذ قضى فيها بقية عمره . وكان حينذاك يتولى التدريس ، ويجري على سنن المتصوفة ، مما هيأ له ، ولِبَنِيْهِ من بعده مكانة روحية معروفة . وقد نجم عن ذالك فيما بعد نُشُوْءُ دولة الأدارسة في تهامة على يد محمد بن علي الإدريسي في الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري[٦٩] .

مؤلفاته : ألف ابن إدريس عدداً مناسباً من المصنفات المعهودة ذات الصبغة الصوفية الواضحة ، ومن أهمها : « العقد النفيس » ، و« النفس اليماني » ، ورسالة « القواعد ، والمحامد الثمانية »[٧٠] بالإضافة إلى حصونه المعروفة[٧١] ، ومناظرته مع فقهاء عسير[٧٢] .

وفاته : توفى ابن إدريس بصبيا في ليلة السبت الحادية والعشرين من شهر رجب عام ١٢٥٣هـ[٧٣]/١٨٣٧م .

الرسالتان : قيمتهما ، توثيقهما ، وصفهما :

أولاً ــ قيمتهما : يتحقق للباحث في تاريخ الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية أهمية مثل هذه الوثائق الخطية ، وما يتعلق بتراث، هذه المنطقة من آثار مخطوطة متفرقة ، فالحق أن ذالك التراث لايخلو من الفائدة العلمية ، والقيمة المعنوية ، ولعل هاتين الرسالتين مما يمكن عده من تلك الآثار التاريخية الأدبية المهمة ، إذ تعكسان صورة حقيقة للواقع الفكري والأدبي بهذه الأنحاء خلال العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجري ، ناهيك عما تبين فيهما من وضوح

الملامح السياسية والمذهبية لتلك الفترة .

ويمكن الإشارة في هذا المقام إلى قيمة المضامين الفكرية في هاتين الرسالتين ، إذ هما مشتملتان على أخبار واقع مذهبي جديد ، يمثله الاتجاه السلفي الجاد لدى ابن مجثل ، والحفظي ، وما طرأ على تهامة عندئذ من مظاهر التصوف وطقوسه ، فالواقع أن تلك المعالم الفكرية لم تكن لتتحقق لولا هاتان الرسالتان . وذالك بالرغم من عدم استيعابها لحقيقة التصوف وواقعه . ويزيد في قيمتها أيضاً المنزلة الأدبية التي تحققت فيها ، ومدى دلالتها على مستوى الكتابة الفنية عندئذ لأمراء عسير ومواطنيهم العلماء ، فضلاً عن أهمية التعرف على أساليب التعبير ، وطريقة الكتابة في هذه الفترة بالرغم من توسط مستواها الأدبي ، ووضوح المسحة العامية في لغتها ، والحق أن وجود مثل هذه الآثار الأدبية يدفع ماقيل عن واقع الأدب حينذاك من مزاعم تاريخية ، وأحكام نقدية عامة ، إذْ وُصِفَ هذا العهد حينذاك بشيء من ضحالة الفكر ، وضعف الأدب .

ومن الواضح أن هاتين الرسالتين تعبران عن حرية فكرية معتدلة ، وأنهما قد أسفرتا فيما بعد عن عقد مناظرة فكرية جادة اشترك فيها أحمد بن إدريس نفسه ، ونفر من علماء عسير في حضرة الأمير علي بن مُجَثل المُغَيْدِي إبَّانَ اقامته في صبيا عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م ، كما أن هاتين الرسالتين قد كشفتا عن المزاعم القائلة بأن الشيخ إبراهيم بن أحمد الحفظي أرشد ابنَ مُجَثّلٍ حينما استشاره في حال ابن إدريس إلى طيٍّ بساط النسيان على مادونه أحد فقهاء عسير من مآخذ على ابن إدريس إبَّان اقامته في صبيا لطلب العلم ، إذ قيل في تلك المناظرة : (ولما سطر الفقيه عبدالله بن سرور هذه المسائل في رسالة بعث بها إلى الأمير علي بن مجثل فتولى إرسالها أولاً إلى الشيخ العلامة إبراهيم بن أحمد الزمزمي صاحب رجال ألمع ، وهو من العلماء الراسخين ، وبعد الاطلاع عليها أرشد الأمير إلى طيٍّ بساط مافي هذه الرسالة ، وإعدامها بالتمزيق ، وأن لا يصغى الأمير إلى شيء من تلك المقالة ، ويزجر مؤلف الرسالة عن التعرض لما لا يبلغ إليه فهمه . .)[٧٤] ، وتبين في رسالة الحفظي أنه لم يصدر عنه مثل هذا الموقف ، بل استجاب لأمر ابن مجثل ، مما يدفع القول السابق ويدحضه .

ومما يزيد في قيمة هاتين الرسالتين كونهما قد صدرتا عن روح سلفية ظاهرة ، وأوضحتا أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في فكر هذه المنطقة وأدبها[٧٥] ، إذ ليس هناك في العهد من قدم ، فلقد اتضح أثرُ تلك الدعوة بهذه الأَنْحاءِ في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، فالحق أنَّ تلك الدعوة قد تغلغلت بمبادئها في قلوب الأهلين والعلماء والأمراء . ويدل على ذالك أقوال ابن مجثل والحفظي وموقفهما من ابن إدريس ، وما ورد في رسالتيهما من الآيات الكريمات ، وأحاديث الرسول الكريم ﷺ[٧٦] . كذالك يمكن القول في هذا المقام بأن قيمة هاتين الرسالتين قد تتحقق في ذكرهما لعديد من العلماء والأعيان بهذه المنطقة ، إذ لم يكن يتبين هذا الحال لولاهما ، وبخاصة علماء أسرة آل بكري برجال ألمع ، ومنهم الشيخ إبراهيم الحفظي الذي كان مؤهلاً لمكاتبة ابن مجثل وابن إدريس ومشاورتهما ، كما أن هاتين الرسالتين تفيدان الباحث عما كان جاريا في تلك الفترة من تلاحم العلماء مع أمرائهم ، واحترامهم لهم ، إذ قال الحفظي في رسالته : (وصل إلى الحقير كتاب من الأمير الكبير أمده الله بالتوفيق . وكان له على الحق خير معين)[٧٧] كذالك يمكن القول بأن الحفظي حينذاك يعد من أكابر علماء عسير ، وأجدرهم بثقة ابن مجثل ، ناهيك عما اتصفت به رسالة الحفظي من لين صاحبها ، وحسن إجابته[٧٨] ، إذ هو حريٌّ بمثل هذا الموقف ، وبخاصة مع ابن إدريس ، حيث قال في وصف كتاب ابن مجثل : (وذكر فيه ما معناه . .) [٧٩] ولم يشأ الحفظي الجزم بالحقيقة ، ولا غَرْوَ في هذا فآثار الصوفية معهودة من قبل لدى علماء آل بكري برجال ألمع في أواخر القرن الثالث عشر الهجري[٨٠] .

ومهما يكن الأمر فَإِنَّ هاتين الرسالتين قد اشتملتا على أخبار تاريخية مهمة قد تزيد في قيمتهما المعنوية ، إذ أشارتا إلى أن صبيا كانت تابعة لإمارة عسير ، وأن محمد بن الحسن الحازمي كان من عمال ابن مجثل في تهامة ، فضلاً عما اشتملت عليه الرسالتان من أخبار تاريخية متفرقة ، ولذلك يمكن القول بأنهما مُهِمَّتَانِ ، ومشتملتان على أخبار تاريخية قيمة ، ناهيك عن منزلتهما الأدبية والفكرية ، وربما بقي في ذهن الباحث أمر مهم يحتاج للبحث والتحقيق ، ألا وهو مصير تينك الرسالتين ، أهما أُرْسلَتَا بالفعل ؟ وهل أجاب عليهما ابن إدريس ؟ أم اكتفى ابن

مجثل بمضمونها وبعثه لابن إدريس[٨١] ، وكذالك يسعى الباحث في تراث هذه المنطقة إلى معرفة فائدة هاتين الرسالتين أهما دفعتا بالفعل تلك الظواهر الصوفية أم لا ؟

ثانيهما ـ توثيقهما : يليق بتحقيق النصوص ونشرها النظر في أصولها ، والتثبت من حقيقتها . وذالك عن طريق دراستها ، والتعرف على منزلتها العلمية ، وبخاصة قيمتها التراثية ، وحقيقتها الفكرية ، وما يتعلق بتكوينها الماديِّ من : ورق ، ومداد ، ورسم ، ونحو ذالك ، إلى جانب معرفة العصر الذي كتبتا فيه ، والظروف المحيطة به ، فضلاً عن مقوماتهما الأخرى من : توقيع ، وتاريخ ، وديباجة ، وخاتمة ، فالحق أن التراث في عصوره الأخيرة لم يسلم من آثار التحريف ، والتزييف ونحوهما .

وإزاء ماتقدم يمكن القول بأن هاتين الرسالتين قد صدرتا بالفعل من ابن مُجَثَّل ، ومواطنه الشيخ إبراهيم الحفظي ؛ وذالك لاتفاق مضمونهما مع أحداث العصر ، وماجرى في عهد الأمير على بن مجثل من مظاهر سياسية ودينية ، بالإضافة إلى كون الرسالة الأولى مختومة بخاتم صاحبها الأمير علي بن مجثل نفسه ، إذ يعرف خاتمه بشعاره المعهود : (الله الملك وعلي عبده) [٨٢] ، كما أن رسم هذه الرسالة يشبه رسائل هذا الأمير المعروفة ، ومن المؤكد أن الفقيه علي بن يحيى[٨٣] هو الذي حرر هذه الرسالة على لسان أميره ، نظراً لتشابه الرسم في هذه الرسالة ، وبين رسم رسائله الأخرى التي حررها في عهد هذا الأمير ، إلى جانب أن مضمونها يَنُمُّ عن رؤية سلفية جادة تمثل الاتجاه السلفي الجادَّ لأمراء عسير في هذه الفترة .

أما الرسالة الثانية فيزيد في حقيقة نِسْبَتِهَا للحفظي كونُها مرسومةً بقلمه ، بالإضافة إلى أنها قد حررت في ظهر الورقة نفسها الرسالة المرسلة من علي بن مجثل[٨٤] ، كما أن منهج الحفظي في رسائله المعهودة يشبه نهجه في هذه الرسالة ، مما يزيد في توكيد نسبتها إليه ، كذلك يزيد في توثيق هذه الرسالة للحفظي كونه ذكر نفراً من الأعلام المشهورين المعاصرين لهذه الأحداث ، سواء كانوا في تهامة

أم في عسير ، ويمكن القول أن الإشارة إلى هاتين الرسالتين في مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير تزيد في توثيقيهما ونسبتهما لصاحبيهما ، كما أنه يمكن تحديد زمن تحريرهما بسنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م تاريخ وصول ابن إدريس إلى صبيا ، إذ قيل في رسالة ابن مجثل : (وغير خاف عليك نزول أحمد بن إدريس بصبيا)[٨٥] ، فضلاً عن كون الخاتم الذي وقع به ابن مجثل رسالته كان مؤرخاً بسنة ١٢٤٥هـ نفسها ، إذ ربما اعتاد الأمراء في هذه الفترة تجديد خواتيمهم كل سنة .

ثالثاً ــ وصفهما : لقد اعتمدت في تحقيق هاتين الرسالتين على نسختيهما الخطيتين الأصليتين اللتين يوجد أصلهما في مكتبة الحسن بن علي الحفظي رحمه الله تعالى فلقد تم تصويرهما في حياته قبيل وفاته بشهر واحد تقريباً ، وهذا يدل على أن تحقيقهما قد تم على أصلهما الحقيقي الممثل في ورقة خطية واحدة ، وتختلف الرسالتان في كيفية رسم الحروف ، وطريقة الكتابة ، ولكنهما مكتوبتان بخط نسخيٍّ معتاد ، وغير خاليتين من الهنات اللغوية والإملائية ، شأنهما في ذالك مثل شأن غيرهما من الرسائل المحررة في هذه الفترة الأخيرة من تاريخ الأدب العربي . وتقع هاتان الرسالتان في ورقة واحدة ، إذ تشتمل الصفحة الأولى على رسالة الأمير علي بن مجثل ، على حين تشتمل الصفحة الثانية على رسالة الشيخ إبراهيم الحفظي ، إذ يتبين أن ابن مجثل قد أراد أن تكون اجابة الحفظي مرسلة عن طريقه ، وربما تعود كتابة الحفظي في ظهر رسالة ابن مُجَثِّل إلى رغبته في دفع الحرج عن نفسه ، وإشعار ابن إدريس أنه مكلف بالكتابة إليه .

وتقع رسالة الأمير علي بن مجثل في ستة وثلاثين سطراً في كل سطر نحو عشر كلمات تقريباً ، عدا بعض سطورها فقد تزيد عن ذالك أو تنقص . وكانت تامة في كلماتها غير ناقصة فيها ، كما أنها تشتمل على حاشية محدودة في طرفها الأيمن . وكانت مختومة بخاتم مرسلها ، وربما كان تحريرها بقلم الفقيه علي بن يحيى كاتب الأمير علي بن مجثل . أما رسالة الحفظي فتقع في تسعة وعشرين سطراً في كل سطر نحو خمس عشرة كلمة تقريباً ، قد تزيد ، وقد تنقص ، وهي تامة في مضمونها ،

بسم الله الرحمن الرحيم

من علي بخلل الى الاخ في الله والمحبوب فيه العلامة ابراهيم بن احمد الحفظي سلمه
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد حمد الله والصلاة على رسول الله وآله وصحبه اولياء الله فان صدور هذا الاداء
التميم واستمداد الادعية سيما بحسن الختام والثبات على
الاسلام وغير خاف عليك نزول السيد احمد بن ادريس
بصبيا وهو مما قد علمت ولابد من حادث من بعض اصحابه
المصريين والغربيين من العزاء وكلنا فقراء الله حاشاه
لا للمشايخ وامرنا الشريف محمد حسن يزيل كل بدعة بصبيا منها
المزمار وامنعه النساء على الختان وغيرها ذلك وايضا ما يحدثه
الفقراء من اللعب والرقص والصفق وارا ان ايات الله وذكره
لا تتخذ هزوا ولعبا ويقصد بها العباده ويغفل عن ذلك
ما شرعه الله لرسله وعملوا به وعلموه الناس وجبل الله العقول
السليمه والفطر المستقيمه على قبوله مع سهولته وسموحته
وقد علمت ما ورد في التشديد والتنطع والغلو في الدين

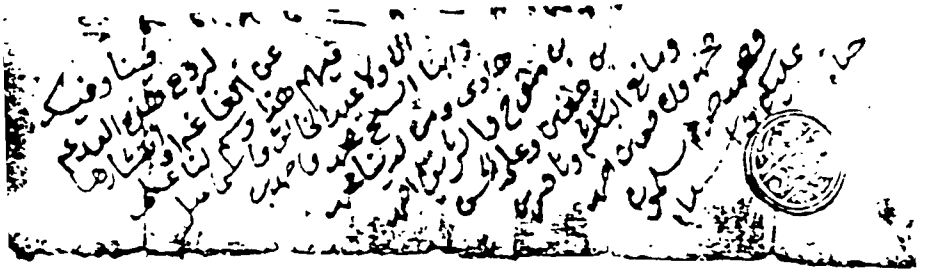

[حاشية رسالة ابن بخلل وخاتمه]

بسم الله الرحمن الرحيم

من ابراهيم ابن احمد الحفظي غفر الله لهما الى ولي الله بلا دفاع وعلامة العصر بالاجماع
الشريف احمد بن ادريس الحسني حفظه الله ومد في عمره سلام عليكم ورحمة الله وبركاته
اما بعد حمد الله تعالى وصلاته وسلامه على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه اهل
والمودة فقد ورد السلام والسؤال عن شيخ الاسلام واستمداد دعائه سيما لحسن الختام
سؤال السؤال عنكم للايمان واليقاكم مبذول والكامل يقبل الكمال نعم اسبل الله على الجميع
اثواب النعم وصل الى الحقير كتاب من الامير الكبير امده الله بالتوفيق وكان له على الحق خير معين
وظهير وذكر فيه لما معناه انه سمع من بعض المنتسبين اليكم انهم احدثوا اللعب والرقص
والرقص والصفق ورفع الصوت الى ان قال حتى انه سمعه اهل مدينة صدا الى ... اه
ذاكم الامير ان اكتب اليكم ما حصل والاخبار شريف علمكم ان الله تعالى قد اكمل الدين ورسوله
صلى الله عليه وسلم بلغ البلاغ المبين وانزل عليه الكتاب هدى وذكرى للمؤمنين قال الله تعالى اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقال تعالى وانزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وقال تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء
لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وقال تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا
يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا وقال ابن عباس رضي الله عنهما لكفل
الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة وقال صلى الله عليه

... من حيث ولم يعلم رجال ولكل منهم مقال ... الدعوة ... الطيبين
كتاب وحساب وما طاب من الشيخ اليعقوب دفي المذكور عن هذه البدع
وامرهم بالنهج المتبع دائم محمد الله منزهون عن كل رذيلة وحالنا المتحققين بطريقكم ان
يفعلوا خلاف حالكم الجميلة وانما الكلام فيمن لم يذق فراش سروركم ولا شم رائحة
نجاحات روضة مطالبكم وتفضلا حملوا الحقير على السلامة ولكم الفضل والكرامة نفع الله
بعلومكم المسلمين هذا وتفضلوا بابلاغ السلام الاخوان الاعلام الاخ العلامة
سيدي ابن عبد الطيب وعبد الله ابن محمد وكافة الاخوان والاولاد زين العابدين وعبد الرحمن
واحد اب هادي وكافة الاولاد يسلمون عليكم ويستمدون دعاكم والبركم ويدعون لكم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

[خاتمة رسالة الحفظي]

وغير مختومة بخاتم صاحبها ، ولا مؤرخة بتاريخ معلوم ، ولكنها بخط الحفظي نفسه ، نظراً لتشابه هذه الرسالة بخط الحفظي في مؤلفاته ، ورسائله الأخرى .

ولقد اتسمت الرسالة الثانية بوجود بعض علامات للترقيم فيها ، إذ اعتاد كاتبها تقسيم بعض عباراته بضوابط ظاهرة أهمها أن يرسم دائرة عقب كل عبارة ، ثم يضع نقطة في وسطها ، وهذا النهج معهود عند أسلاف هذه الأمة ، وواضح في مؤلفاتهم المخطوطة ورسائلهم(٨٦) ، ومما يتبين في هاتين الرسالتين أنهما متشابهتان في ديباجتيهما وخاتمتيهما(٨٧) ومشتملتان على آثار غطش وتحبير(٨٨) ، كما أنهما مُتَّسِمتان بميل كاتبيهما إلى تسهيل الهمز ، وإهمال الحروف أحياناً دون اعجامها ، كما أن كاتبيهما كانا أحياناً لا يفرقان بين رسم : حرفي الألف المقصورة والممدودة ، مما أوقعهما في كثير من الخلط بينهما(٨٩) . وكان الحفظي أحياناً يورد معنى الحديث لا لفظه المتواتر ، والله أسأل أن يجعل هذا العمل العلمي المتواضع سبيلاً للتعريف بتراث هذه الأجزاء المنسية من جزيرة العرب ، وأن لا يحرمني أجره يوم ألقاه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والله المستعان ، وهو السميع العليم (انظر ص ٧٦ و ٧٧) .

* * *

أولاً ـ رسالة الأمير علي بن مُجَثِّل المُغَيْدِي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من علي بن مجثل إلى الأخ في الله ، والمحبوب فيه العلامة إبراهيم بن أحمد الحفظي . . سلمه الله .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

حمداً لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله ، وصحبه أولياء الله ، فإن صدورها لأداء التحية ، واستمداد الأدعية سِيَّما بحسن الختام ، والثبات على الإسلام .

وغير خاف عليك نزول السيد أحمد بن إدريس[٩٠] بصبيا[٩١] ، وهو كما قد علمت[٩٢] ! ولابد من حادث من بعض أصحابه : المصريين[٩٣] ، والغربيين[٩٤] ، يسمونهم الفقراء ، وكلنا فقراء لله خاصة ، لا للمشايخ[٩٥] ، وأمرنا الشريف : محمد بن حسن[٩٦] يُزيل كُلَّ بدعة بصبيا[٩٧] ، ومنها : المزمار[٩٨] ، ولعب[٩٩] النساء على الختان[١٠٠] ، وغير ذالك ، وأيضاً مايحدثه الفقراء من : اللعب ، والرقص ، والصفق[١٠١] . وأرى[١٠٢] أن آيات الله ، وذكره لا تتخذ هزوًا ولعبا[١٠٣] ، ويقصد بها العبادة[١٠٤] ، ويغني عن ذالك ماشرعه الله لرسله ، وعملوا به ، وعلموه الناس ، وَمَيَّلَ[١٠٥] الله العقول السليمة ، والفطر المستقيمة عل قَبْوله مع سهولته وسموحته .

وقد علمت ماورد في التشدد ، والتنطع ، والغلو في الدين من الوعيد[١٠٦] . وقد قال الله تعالى : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[١٠٧] ، وقول ابن عباس رضي الله عنه في شأن المتعة[١٠٨] ، أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون قال أبو بكر ، وعمر[١٠٩] إلى آخر الأثر ، وهما هما[١١٠] !

ومما أنزل الله في سموحة هذا الدين ، وعدم التشدد في العبادة على غير المشروع ، قوله تعالى : ﴿ **ادْعوا**[١١١] **رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ**[١١٢] **لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[١١٣] ، وقول النبي ﷺ : « ارْبَعُوا على أنفسكم فأنتم لا تدعون أَصَمَّ ولا غَائبًا[١١٤] فإنه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته »[١١٥] .

وتحصيل المسألة بعدما[١١٦] ذكرنا : إن كنت ترى أن ما أحدثه المتهوّكون[١١٧] من الرقص ، والصفق ، ورفع الصوت حتى أنه يسمع أهل مدينة صَبْيَا لجبة المغنين[١١٨] غير الذكر ، وكذالك الذكر أنَّا نقرهم عليه[١١٩] ، وترى هذا من دين محمد صلى الله [عليه][١٢٠] وسلم ، وأنه المنهج السَّوِيُّ ، فبين لنا ، ونغفل عنهم[١٢١] ، وإن كان غير ذالك فأنت غير معذور حال تقف على خطنا ترسل إلى السيد أحمد[١٢٢] بخط فيه بيان ، ونصيحة مما استنكره أهل الإسلام على بعض أصحابه ، فإن الدين وَسَطٌ بيننا وبين من ادعاه[١٢٣] ، ولا يظهر المتابعة فيه

إلا البينة ، وبينته ماكان عليه محمد ﷺ وأصحابه في زمنهم ، والبدعة ما أحدث من بعدهم[١٢٤] ، فتراني ولزِّم[١٢٥] عليك بحقي عليك[١٢٦] أنك تكتب عليه[١٢٧] ، وتبين له بما ألهمك الله من القرآن ، والسنة ، ففيهما الشفاء لكل عليل ، وعَجِّلْ لنا الجواب بيد رسولنا حتى يكون وصوله من طريقنا[١٢٨] ، ونكتب إلى السيد[١٢٩] جوابات [١٣٠] منا على مضمون ما وصلنا منه[١٣١] .

ولولا خوف انتشار هذه البدعة إلى بلدان المسلمين ما كلفنا عليك[١٣٢] ، والناس منتظرون فينا ، وفيك لردع هذه البدعة[١٣٣] عن الغاغة[١٣٤] ، أو انتشارها فيهم ، هذا وسلم[١٣٥] لنا على الأولاد[١٣٦] : عبدالخالق[١٣٧] ، وإسماعيل[١٣٨] ، وأبناء[١٣٩] الشيخ محمد[١٤٠] ، وأحمد بن هادي[١٤١] ، ومن لدينا : محمد بن مفرح[١٤٢] ، والشريف أحمد[١٤٣] بن حسين[١٤٤] ، وعلي بن الحسن[١٤٥] ، ومانع الباشة[١٤٦] ، وناصر بن محمد[١٤٧] ، والأخوين[١٤٨] : أحمد ، ومحمد[١٤٩] . . .[١٥٠] يسلمون عليكم ، والسلام ختام[١٥١] .

ثانياً ــ رسالة الشيخ إبراهيم بن أحمد الحفظي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من إبراهيم بن[١٥٢] أحمد الحفظي [١٥٣] غفر الله لهما ، إلى وَلي الله بلا دفاع ، وعلامة العصر بالإجماع ، الشريف[١٥٤] أحمد بن[١٥٥] إدريس الحسني[١٥٦] . . حفظه الله ، ومدَّ في عمره .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

حمدا لله وحده ، وصلاته وسلامه على من لا نبي بعده ، وعلى آله[١٥٧] وصحبه أهل . . .[١٥٨] والنجدة[١٥٩] ، فصدرْت للسلام والسؤال عن شيخ الإسلام ، واستمداد دعائه سِيَّما بحسن الختام[١٦٠] ، والسؤال عنكم لايزال ، والدعاء لكم مبذول ، والكامل يقبل الكمال نعم ! أسبل الله على الجميع أثواب النعم .

وصل إلى الحقير كتابٌ من الأمير الكبير ، أمده الله بالتوفيق . وكان له على الحق خير معين ونهير[١٦١] ، وذكر فيه ما معناه أنه سمع عن بعض المنتسبين إليكم[١٦٢] أنهم أحدثوا اللعب ، والرقص ، والصفق ، ورفع الصوت بالذكر ، حتى أنه يسمعه[١٦٣] أهل مدينة صبيا لجبةَ المغنين ، وأمر ذالك الأمير أن أكتب إليكم مما[١٦٤] حصل .

ولا يخفى شريف علمكم أن الله تعالى قد أكمل الدين ، ورسوله قد بلغ البلاغ المبين ، وأنزل عليه الكتاب هُدًى وذكرى للمؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ **الْيَومَ أَكْمَلْتُ لكُم دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرضَيتُ لكُمُ الإسْلاَمَ دِينًا** ﴾[١٦٥] ، وقال تعالى : ﴿ **وَنَزَّلْنَا**[١٦٦] **عَلَيْكَ الكِتَابَ تَبْيانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلمُسْلِمِينَ** ﴾[١٦٧] ، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّها النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلمُؤْمِنِينَ** ﴾[١٦٨] ، وقال تعالى : ﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يشْقَى ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكرِي فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً** ﴾[١٦٩] ، قال ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : تكفل الله لمن قرأ القرآن ، وتبع[١٧٠] مافيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة[١٧١] ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ماتركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به ، ولا من شيء يقربكم من النار إلا وقد حدثتكم به[١٧٢] » ، وقال صلى الله عليه وسلم : . . . « [فعليكم][١٧٣] بسنتي[١٧٤] وسنة الخلفاء[١٧٥] من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة[١٧٦] » ، والآيات والأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر ، وأنتم أعرف بها[١٧٧] ، ومثل الحقير في هذا التذكير كَمُسْتَبْضِعٍ تمراً إلى أرض خَيْبر[١٧٨] ، ولكل علم رجال[١٧٩] ، ولكل مقام مقال[١٨٠] ، فللحديث رجال يعرفون به ، وللدواوين كتاب ، وحساب[١٨١] .

فالمطلوب من الشيخ اليعسوب[١٨٢] نهي المذكورين عن هذه البدع ، وأمرهم بالنهج المتبع ، وأنتم بحمد الله منزهون عن كل رذيلة . . .[١٨٣] المتحققين

بطريقتكم أن يفعلوا خلاف حالتكم الجميلة ، وإنما الكلام فيمن لم يذق فُرَاتَ مشربكم ، ولا شمَّ روائح ريحان[١٨٤] روضة مطلبكم[١٨٥] .

وتفضلوا احملوا الحقير على السلامة ، ولكم الفضل والكرامة ، نفع الله بعلومكم المسلمين[١٨٦] ، وتفضلوا بابلاغ السلام الإخوان الأعلام : الأخ العلامة محمد[١٨٧] ، وابن عمه الطيب[١٨٨] ، وعبدالله بن محمد[١٨٩] ، وكافة الإخوان ، والأولاد : زين العابدين[١٩٠] ، وعبدالرحمن[١٩١] ، وأحمد بن هادي[١٩٢] ، وكافة الأولاد يسلمون عليكم ، ويستمدون دعاءكم ، والله يرعاكم ، ويمتع بحياتكم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[١٩٣] .

حققهما وقدم لهما

د/ عبدالله بن محمد بن حسين أبو داهش

وكيل كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب

[الهوامش] :

[العرب]: المحقق الفاضل الدكتور أبو داهش كان دقيقاً متحرياً للصواب ، ومن ذالك حرصه على رسم كلمات الأصل التي هي من الأخطاء الإملائية ، فقام بإصلاحها ولاردحام النَّص المحقق بكثرة أرقام الإحالات لم يَر قسم التحرير مايدعو إلى إثبات أخطاء الأصل لحداثة عهده .

(١) يراد بهذا القول: الطروف الطبيعية المختلفة ، مثل الأمطار ، ومايهجم عنها من سيول جارفة ، ومثل الرياح ومايسفر عنها من حريق ونحوه ، وما إلى ذالك من طواهر البيئة الأخرى

(٢) أنظر كتاب : «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية» للمحقق .

(٣) أعلن ثورته على الدولة العثمانية التركية في ٣٠ دي القعدة ١٣٢٦هـ .

(٤) هو الحسن بن علي بن محمد بن حسن بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر الحفظي ، ولد بقرية رُحال عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م ، تلقى تعليمه على يد نفر من علماء وطنه ، تقلب في عدد من الوظائف التعليمية ، له مشاركات شعرية ، ولديه مكتبة مخطوطة ، توفي رحمه الله في ٨ رجب ١٤٠٦هـ . انظر : «السدة اليسيرة في ترجمته» ، إعداد ابنه علي بن الحسن الحفظي .

(٥) محمود شاكر ، «عسير» ، ١٨٢ .

(٦) خير الدين الزركلي ، «الأعلام» ، مج ٤/٣٢٣.

(٧) ولد عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ، تلقى تعليمه الأولي في كُتَّاب قريته ، ثم أخذ العلم على يد نفر من علماء بلاده وغيرها ، تقلب في وظائف عديدة ، له مشاركات أدبيه ، يعد من شعراء عسير البارزين ، توفي سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م . انظر أخباره في كتاب : «أديب من عسير» جمع محمد بن عبدالله الحميد .

(٨) «أديب من عسير» ، ٣٩ .

(٩) قال هاشم النعمي. (وتوفي بعد حكم دام سبعة أعوام ونصف) ، «تاريخ عسير» ١٨٥

(١٠) عبدالله بن علي بن مسفر ، «السراج المنير في سير أمراء عسير» ، ٨١

(١١) هاشم سعيد النُعْمِي ، كتابه السابق ، ١٨٥

(١٢) قال محمود شاكر ، (تولى علي بن مجثل أمر عسير بعد وفاة ابن عمه سعيد بن مسلط ، وهو أخوه لأمه عائشة أخت مرعي بن محمد) كتابه السابق ١٨٣

(١٣) ينتسب سعيد بن مُسْلَط إلى عشيرة آل يزيد ، وهم ــ كما قال عبدالله بن مسفر ــ: (فخذ من جماعة أهل السقا ، وبطن من قبيلة بني مُعيد) «السراح المنير» ٧٩ ، تولى إمارة عسير عام ١٢٣٣هـ/١٨١٧م ، حتى ٢٢ صفر ١٢٤٢هـ ، انظر «أحبار عسير» لعبدالله بن مسفر ، و«تاريخ عسير» لهاشم النعمي ، و«عسير» لمحمود شاكر .

(١٤) عبدالله بن علي بن مسفر ، «السراج المنير» ٨١ .

(١٥) علي أحمد عيسى عسيري ، «عسير من ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م ــ ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م» ، رسالة ماجستير ، ١٠٠ .

(١٦) المصدر نفسه ، ١٠٤ .

(١٧) هاشم سعيد النعمي ، «كتابه السابق» ١٧٦ .

(١٨) خير الدين الزركلي ، كتابه السابق» ٤/٣٢٣ .

(١٩) عبدالله بن علي بن مسفر ، «السراج المنير» ٨٢ .

(٢٠) عبدالله بن علي بن مسفر ، «أخبار عسير» ١٠٠ .

(٢١) عبدالله أبوداهش ، «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية» ١٩٠ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ١٥٣ ، انظر: «دور أمراء عسير في نشر الدعوة السلفية» ، لعبدالله بن علي بن حميد ، مجلة العرب ، ج١١ ، ١٢ ، س ٩ ، (جماديات ١٣٩٥هـ)، ص ٨٦٤ ، «وتاريخ عسير» للنعمي ١٨٥ .

(٢٣) محمد عمر رفيع ، «في ربوع عسير» ، ٢١٨ .

(٢٤) مجهول ، «حوليات يمنية» ، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي ، ٥٥ .

(٢٥) هم : ناصر بن محمد الكثيبي الجوني ، وعبدالله بن سرور اليامي ، وعباس بن محمد الرفيدي .

(٢٦) الحسن بن أحمد عاكش ، (جامع) ، «مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير» ، تحقيق عبدالله أبو داهش ، ٢٤ .

(٢٧) عرف في عهد هذا الأمير عدد من المدارس الأولية

(٢٨) من أولئك العلماء ــ على سبيل المثال ــ محمد بن يحيى بن عبدالله بن حسن الحسن الحسني الذي وفد إلى بلاد عسير · قرية الضليل برجال ألمع في ولاية علي بن مجثل فنال حظوة طاهرة ، قال عنه عاكش (لاحظه متولي تلك الجهة على بن مجثل بالإجلال) ، «عقود الدرر» ورقة ١٠٣ .

(٢٩) كان الأمير علي بن مجثل يشجع العلماء على التأليف ، والتدوين ، قال أحدهم فيه: (فإنه لما كان عام [خمسة] وأربعين بعد المائتين . . من ولى أمرنا أسئلة في الزكاة يسترشد عنها بل أقسم شفاها أن أمر الزكاة أكمل هدى في وقتها وقدرها ، وقد أشار شيخنا متع الله به أن انقل للأمير جواباً ماعنه . . .) ورقة مخطوطة .

(٣٠) هاشم سعيد النعمي ، كتابه السابق ، ١٨٥ ، إذ قال: (اختط عدة حصون بعاصمته السقا لازالت أطلالها ماثلة حتى الآن) .

(٣١) المصدر نفسه ، ١٨٥ ، وانظر: «السراج المنير» لعبدالله بن مسفر ٨٢ .

(٣٢) هاشم سعيد النعمي ، كتابه السابق ١٨٥ . ٣٣) ٣٢٣/٤ .

(٣٤) لقب عرف به إبراهيم الحفظي ، قال فيه محمد بن إبراهيم الحفظي : (اسماه [والده] إبراهيم الزمزمي بصديقه الشيخ إبراهيم بن محمد الزمزمي من بيت الريس أحد علماء مكة . .) «نفحات من عسير» ١١٥ .

(٣٥) لقب عرف به أحمد بن عبدالقادر بن بكري ، قال فيه محمد بن إبراهيم الحفظي : (لقب بالحفظي لقوة حافظته) ، «نفحات من عسير» ٢٣ .

(٣٦) وجد في إحدى الأوراق المخطوطة لدى المحقق القول الآتي : (الحمد لله ذكر الثقة الحافظ سيدي الوالد العلامة هادي بن بكري بن محمد رحمه الله رحمة الأبرار ، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار ، أنه روى له السيد العلامة هادي بن محمد النعمي صاحب بيت الفقيه ، قال: قال لي السيد الإمام إبراهيم بن محمد النعمي نفع الله به ثلاثة لم يكن أشهر منهم بالإحسان ، وفعل الخير وانتشار الصيت لهم في مشرق الأرض ومغربها فاثنان منهم من أهل [الثروة] ، وهما الأمير عرالدين القطبي ، وأبو الغيث بن عفلق وثالثهم الشيخ بكري بن محمد ، وهو يفضلهم بالعلم والولاية والانفاق من غير ثروة نفعنا الله بهم أمين) ورقة مخطوطة .

(٣٧) مجهول ، «مشجرة أسرة آل بكري» ورقة ١ ، وانظر: «نسب الفقهاء آل عحيل» لعبدالرحمن الحفظي .

(٣٨) الحسن بن عبدالله الضمدي [عاكش] ، «قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري» ٣ ، ٤ ، ٥

(٣٩) أحمد بن محمد قاطن ، «تاريخه وأسانيده» ، ورقة ٤٩ .

(٤٠) محمد بن إبراهيم الحفظي ، كتابه السابق ، ١١٥ ، انظر: «عقود الدرر» ، و«حدائق الزهر» لعاكش .

(٤١) قال عنها عاكش: (رُجال [بضم الراء] البلدة المعروفة في بلاد رجال ألمع) ، «قمع المتحري» ورقة ١ .

(٤٢) ولد ببلدة رُجال سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٧م ، تلقى تعليمه الأولي على يد نفر من علماء وطنه ، ثم هاجر في سبيل العلم إلى زبيد ، ثم عاد إلى وطنه ، حيث ذاع صيته ، وأخذ عنه طلبة العلم ، أيد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، يعد من أدباء جنوبي الجزيرة العربية وعلمائها البارزين . توفي سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٧م . أنظر ترجمته في «نفحات من عسير» ٢٣ ، و«نيل الوطر» لزبارة ١٢٦/١ ، وكتابي: «عقود الدرر» ، و«حدائق الزهر» لعاكش .

(٤٣) يعرف بابن موسى ، ولد سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م ، تلقى تعليمه على يد والده ، ثم هاجر في سبيل العلم ، إلى: القنفذة ، وصبيا ، والرحيع ، وزبيد ، وحضرموت ، ثم عاد إلى وطنه فتولى التدريس ، والقضاء ، أنظر ترجمته في : مقدمة رسالتيه المحققتين «ذوق الطلاب في علم الإعراب» ، «واللجام المكين والزمام المتين» ، ومجلة «العرب» ح٣ ، ٤ ، س ٢٢ ، (رمضان وشوال ١٤٠٧هـ) ص ١٩٠ ، و«عقود الدرر» لعاكش ، و«نفحات من عسير» .

(٤٤) يراد بالمخلاف السليماني الأرض الممتدة من الشرجة في الجنوب حتى حَلْي ابن يعقوب في الشمال ، انظر: «تاريخ المخلاف السليماني» لمحمد بن أحمد العقيلي ٣/١ .

(٤٥) ولد ببلدة صمد عام ١١٧٤هـ/١٧٦٠م ، تلقى تعليمه على يد نفر من علماء وطنه ، ثم هاجر في سبيل العلم إلى: زبيد ، وصنعاء ، والمدينة المنورة ، ورجال ألمع ، وصعدة ، ولما عاد إلى وطنه اشتغل بالتدريس والقضاء ، له عدد من المؤلفات والرسائل المفيدة ، توفي عام ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م ، انظر ترجمته في «حدائق الزهر» لعاكش ، و«نيل الوطر» لزبارة ١٣٥/١ .

(٤٦) من مراكز الفكر والأدب بالمخلاف السليماني ، ودار الإمارة ودستها ، انظر أخبارها في : « المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان » لمحمد بن أحمد العقيلي ٥٨ ، قال فيها العقيلي نفسه : (بفتح العين المهملة ، وكسر الراء ، وسكون الياء المثناة التحتية ، وآخره شين ، مدينة من أشهر مدن منطقة جازان تبعد ٣٢ كيلاً عن مدينة جازان) ، المصدر نفسه ، ٥٨ .

(٤٧) محمد بن إبراهيم الحفظي ، كتابه السابق ، ١١٥ ومن العلماء الذين أخذ عنهم في هذه الرحلة : الشيخ علي بن داحش عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م ، انظر القصيدة المخطوطة التي أنشأها فيه أخوه محمد الحفظي

(٤٨) انظرالمرجع السابق ، ١٩ .

(٤٩) المرجع السابق ، ٤٤

(٥٠) انظر : « نفحات من عسير » لمحمد إبراهيم الحفظي ١١٥ ، و« حدائق الزهر » ، و« عقود الدرر » لعاكش ، و« سيل الوطر » لزبارة ٧/١

(٥١) من أمثال : أحمد بن عبدالله الضمدي ، وعبدالله بن سرور الهمداني ، وغيرهما من علماء اليمن ، يوجد في مكتبة الحسن بن علي الحفظي رحمه الله رسالة من الضمدي إلى الزمرمي يلتمس منه الدعاء الصالح وقد وجد في إحدى الأوراق المخطوطة لدى المحقق القول الآتي (وهذه الأبيات لشيخنا جامع الشتات أحمد بن عبدالله الضمدي أدام الله عليه النعيم الأبدي ، صدرها إلى شيخنا الولي إبراهيم الزمرمي بن أحمد الحفظي رحمهم الله أمين) ورقة مخطوطة .

(٥٢) هنالك رسالة مخطوطة من صالح بن إبراهيم إلى الزمزمي يلتمس فيها قبول اسم الضمن الدارسين في حلقته ، يقول فيها : (واصلكم الولد محمد [بن] صالح وهو متعود مكم ، ومحب الخلوس بين أيديكم) مخطوطة ، توجد لدى عبدالخالق بن سليمان الحفظي

(٥٣) ذوق الطلاب لأخيه محمد بن أحمد الحفظي .

(٥٤) « نفحات من عسير » ١١٦ .

(٥٥) المرجع نفسه ، ١١٦ . وكان إبراهيم الحفظي يمتلك مخطوطة ضخمة ، انظر « بيان كتبه » المخطوط

(٥٦) « حدائق الزهر » ورقة ٥٢ له أشعار فائقة متفرقة ، انظر مجموع : « نفحات من عسير » ١١٧ ، وله قصيدة معروفة في رثاء الشريف حمود بن محمد الحسني ، يوجد ذكرها في إحدى الأوراق المخطوطة لدى المحقق ، وله قصائد إخوانية ، مثل قصيدتيه الإخوانيتين مع يحيى بن علي زغدين ، وعبدالله بن سرور اليامي ، ومن شعره قوله .

(سلام على مَنْ أم طرس رحابه ... ومن حل مغناه وحادي قبابه
سلامًا يضوع المسك منه عليهم ... برياه ما اشتاق الغرام صحابه
وأني من فرط اشتياقي مسلسل ... وإن لام رب اللوم هذا وعابه) ورقة مخطوطة

(٥٧) الحسن بن أحمد عاكش ، « حدائق الزهر » ورقة ٥٢ .

(٥٨) محمد بن إبراهيم الحفظي ، « كتابه السابق »١١٦

(٥٩) الحسن بن أحمد عاكش ، « عقود الدرر » ورقة ٢٦ .

(٦٠) انظر : « مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن » لعبدالله بن محمد الحبشي ، ٣٠٢ ، و« النبذة اليسيرة في ترجمة أحمد بن إدريس » لمجهول، ورقة ١ ، و« حدائق الزهر » لعاكش ورقة ٣٢

(٦١) عبدالله الحبشي ، كتابه السابق ٣٠٢ .

(٦٢) محمد بن أحمد العقيلي ، « تاريخ المخلاف السليماني » ٦٢٠/٢ .

(٦٣) مجهول ، كتابه السابق ورقة ٢ .

(٦٤) المصدر نفسه ورقة ٢ .

(٦٥) المصدر نفسه ورقة ٥ .

(٦٦) المصدر نفسه ورقة ٥ .

(٦٧) عبدالرحمن سليمان الأهدل ، « الشمس اليماني » ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٦٨) الحسن بن أحمد عاكش ، « حدائق الزهر » ورقة ٣٣ .

(٦٩) انظر كتاب : « تاريخ المخلاف السليماني » للعقيلي .
(٧٠) عبدالله الحبشي ، كتابه السابق ٣٠٢ .
(٧١) توجد لدى المحقق ، وهي مخطوطة .
(٧٢) حققها عبدالله أبو داهش [ونشرت في مجلة « العرب » س ٢١ ص ٣٢٦] .
(٧٣) الحسن بن أحمد عاكش ، « حدائق الزهر » ورقة ٣٥ .
(٧٤) ص ٢٣ .
(٧٥) انظر هامش (٢) .
(٧٦) انظر الرسالتين ، وما ورد فيهما .
(٧٧) رسالة الحفظي .
(٧٨) إذ يعلم الحفظي عندئذ منزلة ابن إدريس الصوفية .
(٧٩) رسالة الحفظي .
(٨٠) انظر كتاب « أثر الدعوة » للمحقق .
(٨١) يبدو أن ابن محثل لم يرسل رسالة الحفظي ، وإنما هو فيما يبدو قد علم موقف الحفظي ورأي الإسلام في أفعال ابن إدريس ، ومن ثم كتب لابن إدريس بمراده ، وبما علمه ، ويدل على ذلك قول ابن محثل نفسه : (ونكتب إلى السيد جوابات منا على مضمون ما وصلنا منه) الرسالة نفسها .
(٨٢) انظر الخاتم في صورة حاشية الرسالة المرفقة .
(٨٣) كاتب الأمير ابن محثل ، قيل في مناظرة ابن إدريس مع فقهاء عسير : (. . . وتولى املاءها الفقيه علي بن يحيى كاتب الأمير) ٢٤ .
(٨٤) توجد رسالتان في ورقة واحدة .
(٨٥) رسالة ابن محثل .
(٨٦) انظر كتاب : « تحقيق النصوص ونشرها » لعبد السلام هارون ٧٩ .
(٨٧) انظر صدري الرسالتين .
(٨٨) انظر الرسالتين .
(٨٩) انظر الرسالتين ، ففيهما كثير مما قيل .
(٩٠) انظر المقدمة ، قال عنه الزركلي : (أحمد بن إدريس الحسني [١١٧٢ ـ ١٢٥٣هـ] أبو العباس : صاحب الطريقة الأحمدية المعروفة في المغرب ، من ذرية الإمام إدريس بن عبدالله المحض ، مولده في ميسور من قرى فاس ، وتعلم بفاس ، فقرأ : الفقه والتفسير والحديث ، وانتقل إلى مكة سنة ١٢١٤هـ ، فأقام نحو ثلاثين سنة ، ورحل إلى اليمن سنة [١٢٤٤هـ] ، فسكن صبيا إلى أن مات ، وهو حد الأدارسة ، وكانت لهم إمارة في تهامة عسير واليمن) ، « الأعلام » ١/ ٩٥ .
(٩١) قال عنها الهمداني : (ثم الهجر قرية ضمد ، وجازان ، وفي بلد حكم قرى كثيرة يقال لها المخارف وصبيا) ، « صفة جزيرة العرب » ٧٦ ، ٢٥٩ ، وقال عنها محقق هذا المصدر السابق : (صبيا بفتح الصاد المهملة ، وسكون الموحدة وآخره ألف : مدينة عامرة إلى عهدنا هذا تقع على شط وادي صمد ، واتخذها الإدريسي [محمد بن علي] عاصمة المخلاف في أول عصرنا . . .) هامش ٧٦ ، قال فيها القاسم بن علي الذروي :

(من لِصَبٍّ هـاجـه نشر الصبـا ... لم يَـزِدْهُ الـبـين إلا نَـصَـبـا
وأسـير كـلما لاح لـه ... بـارق الـقبـلة من صَـبْيَـا صَـبَـا

انظر « الديباج الخسرواني » لعاكش .

وقال عنها أبو الحياش الحجري :

سُقِيَتْ بـرهـة قـرى خُلَبٍ مـــ ـــهـا فجـازان تلك فـالـصبيـاء

« صفة جزيرة العرب » للهمداني ٣٨١ .

انظر تفصيلاً عنها في : « المعجم الجغرافي لمنطقة جازان » للعقيلي ٢٥١ .

(٩٢) يشير إلى معرفة الحفظي بابن إدريس ، إذ لا يخفى حاله على علماء تهامة حينذاك

(٩٣) أراد اتباعه من المصريين ، وبخاصة أهل الصعيد ، انظر : « النبذة اليسيرة في ترجمة ابن إدريس » لمجهول .

(٩٤) أراد اتباعه من المغرب العربي ، وبخاصة أهل بلدتي : عرايش ، وفاس ، انظر المصدر السابق .

(٩٥) في الأصل : (للمشاييخ) .

(٩٦) محمد بن حسن بن خالد الخازمي ، أحد عمال الأمير علي بن مجثل المغيدي بتهامة ، ومن أعوانه ، انظر : « تاريخ عسير » للنعمي ١٧٦ .

(٩٧) قيل في « مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير » . . (وكانت صبيا تلك المدة تحت حكم الأمير علي بن مجثل) ٢٠ . ثم قيل في تلك المناظرة بعيد بلوغ ابن مجثل في عسير أخبار المتصوفين في صبيا : (. . حتى أدى الحال أن الأمير أرسل بحظ إلى السيد محمد بن حسن بن خالد عامل صبيا أن من قال بهذه المقالة من أصحاب السيد أحمد يخرج من صبيا ، ويسفر إلى الجهات البعيدة) ٢٣ .

(٩٨) من بدع المتصوفين المعهودة .

(٩٩) رسمت في الأصل : (والعب) ، ثم أصلحت من بعد

(١٠٠) يبدو أن هذه الظاهرة معهودة في تهامة ، وليست قاصرة على المتصوفة وحسب .

(١٠١) من بدع المتصوفين المعهودة ، ولقد أتى على ذكر مثلها أمين الريحاني في معرض حديثه عن التصوف في تهامة اليمن ، انظر كتابه : « ملوك العرب » .

(١٠٢) في الأصل : (وارا)

(١٠٣) يشير إلى عدد غير يسير من الآيات الكريمات الواردة في هذا المعنى ، انظر ــ على سبيل المثال ــ آية ٦٥ سورة التوبة ، وآية ١٠ سورة الروم ، وآية ٢٣١ سورة البقرة .

(١٠٤) في الأصل : (العبادة) .

(١٠٥) كذا في الأصل .

(١٠٦) ومن الأحاديث الواردة في هذا الباب : عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثاً ، أخرجه مسلم وأبو داود . . . ، « جامع الأصول » لابن الأثير ٧٣٣/١١ ، وصحيح مسلم مع ٨ ، ح ٢٢٠/١٦ .

(١٠٧) من آية ٦٣ سورة النور .

(١٠٨) أراد التمتع في الحج ، ولفظ الحديث : « قال ابن عباس : تمتع النبي ﷺ ، فقال عروة بن الزبير . نهى أبو بكر وعمر عن المتعة ، فقال ابن عباس : ما يقول عُرَيَة ؟ قال يقول : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة ، فقال ابن عباس : أراهم سيهلكون ، أقول : قال النبي ﷺ ، ويقول نهى أبو بكر وعمر » « المسند » لأحمد بن حنبل ٣٣٧/١ ، انظر : « كتاب التوحيد » لمحمد بن عبدالوهاب .

(١٠٩) أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما .

(١١٠) أي : على ما هما عليه من فضل ، ومنزلة ومكانة ، وعلم بكتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ﷺ .

(١١١) كذا رسم المصحف ، وفي الأصل : (وادعوا) .

(١١٢) زاد قبل هذا : (ولا تعتدوا) .

(١١٣) آية ٢٥ سورة الأعراف .

(١١٤) في الأصل : (غائث) .

(١١٥) ولفظه : (عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال : كُنَّا معَ رسول الله ﷺ في سفر ، فَجَعَلَ الناس يَجْهرُونَ بالتكبير ، فقال رسول الله ﷺ : « أيها الناس اربَعوا على أنفُسِكم إنَّكم لا تَدْعون أصمَّ ولا غَائِبًا ، إنكم تَدعُون سَمِيعًا بَصِيرا ، وهو مَعكَم ، والذي تَدْعونَهُ أَقْرَبُ إلى أحدكم من عُنُقِ راحلتهِ . . . » انظر : « جامع الأصول » لابن الأثير الجزري ٤/١٦٠ ، ١٦١ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ .

(١١٦) الـــذي .

(١١٧) التهوك : التحير ، قال الرازي : (التهوك : التحير ، وفي الحديث : « أُمْتَهوِّكُونَ أنتم كما تَهوكَتِ اليهود والنصارى ؟ » ، قال الحسن : معناه متحيرون) : « مختار الصحاح » ٧٠٢ ، ولعل ابن مجثل أراد معنى آخر ، إذ ربما يدل هذا اللفظ على مصطلح محلي معلوم .

(١١٨) غطش الكاتب هذه الكلمة ، ثم رسمها من بعد بهذه الصورة .

(١١٩) أراد عملهم هذا ، وما اختلط به من آثار الصوفية .

(١٢٠) ساقطة في الأصل .

(١٢١) أراد أحمد بن إدريس ، وأصحابه من المتصوفين .

(١٢٢) أحمد بن إدريس .

(١٢٣) في الأصل : (الدعاه) .

(١٢٤) من بعد عهد رسول الله ﷺ وعهد أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين .

(١٢٥) أعهد إليك ، وأحملك هذا الأمر [ولعل صوال الكلمة (مُلَزّم عليك) ــ العرب] .

(١٢٦) بما لي عليك من حق ، إذ يعد الحفظي من رعايا ابن مجثل ، وأحد علماء إمارته .

(١٢٧) يريد : أحمد بن إدريس .

(١٢٨) يدل على رغبة ابن مجثل في وصول كتاب الحفظي إليه أنه أراد أن تكون الاجابة عن طريقه ، وقد فعل الحفظي ، إذ حرر رسالته في ظهر الورقة نفسها ، وربما أراد ابن مجثل تأييد رسالته برسالة هذا العالم ولكن السؤال الذي يبرز في هذا الميدان ، يتمثل في حقيقة هاتين الرسالتين ، وهل أرسلتا بالفعل ثم ما الذي أعادها إلى تهامة عسير لدى الحفظيين سكان رجال ألمع ممثلين في مكتبة الحسن بن علي الحفظي رحمه الله ؟ انظر توثيق هاتين الرسالتين في المقدمة .

(١٢٩) أحمد بن إدريس .

(١٣٠) رســائل .

(١٣١) هذا يدل على أن ابن مجثل أراد الاحاطة برأي الحفظي ، ليمكنه من بعد مكاتبة ابن إدريس ، إذ هو لم يحط فيما يبدو عند كتابة رسالته بموقف الإسلام من مظاهر التصوف .

(١٣٢) يريد إبراهيم الحفظي نفسه ، وهذا يشير إلى منزلة هذا العالم .

(١٣٣) يدل هذا الموقف على منهج ابن مجثل السلفي ، وسلامة معتقده

(١٣٤) لعلها من (الغَوْغَاء) ، والغوغاء من الناس : الكثير المختلطون ، انظر « مختار الصحاح » للرازي ٤٨٥ ، وفي « المعجم الوسيط » : (الغوغاء : الصوت والجلبة ، والسِّفْلة من الناس لكثرة لغطهم وصياحهم) ٢/٦٧٣ .

(١٣٥) ردّ السلام ، وأبلغه .

(١٣٦) في الأصل : (الأولا) .

(١٣٧) عبدالخالق بن إبراهيم بن أحمد (١٢٢١ ــ ١٢٨٤هـ) بن عبدالقادر بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جغثم بن عجيل ، انظر : « نسب الفقهاء آل عجيل » لعبدالرحمن بن محمد الحفظي ، ورقة ٢ .

(١٣٨) إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد الحفظي بن عبدالقادر بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جعثم بن عجيل . المصدر السابق ، ورقة ٢ .

(١٣٩) في الأصل : (ابنا) ، وهم : زين العابدين ، وعبدالرحمن ، وسليمان .

(١٤٠) محمد بن أحمد الحفظي (١١٧٦ ــ ١٢٣٧هـ) ، انظر المقدمة ، وهامش (٤٤) .

(١٤١) لعله أحمد بن هادي بن عمر بن عبدالقادر بن عبدالرحمن بن عيسى بن موسى بن جعثم ، قال فيه صاحب مشجرة نسب آل بكري : (شيخنا العلامة أحمد بن هادي) المشجرة نفسها . وقد وجد في بعض المجاميع لدى المحقق الآتي : (هذه الأبيات لشيخنا العلامة محمد بن زين العابدين أنشأها في الولد عبدالخالق حين تزوج ببنت أحمد بن هادي) ورقة مخطوطة ، غير مرقمة ، ووجد في ورقة أخرى . (هذه المنظومة لشيخنا العلامة أحمد بن هادي جعلها تقريظا على شرح « فاز من قام الليالي » ورقة مخطوطة ، غير مرقمة .

(١٤٢) أحد عمال الأمير علي بن مجثل المغيدي ، ومن قواده البارزين ، قال عنه محمد بن أحمد العقيلي في معرض حديثه عن حرب ابن مجثل للإلبان بتهامة سنة ١٢٤٨هـ : (وبعد أن تم له النصر أناب محمد بن مفرح على البلاد ، وجعل مقره مدينة الحديدة) « تاريخ المخلاف السليماني » للعقيلي ١/٥٣٦ ، وانظر : « تاريخ عسير » للنعمي ١٨٥ .

(١٤٣) في الأصل : (اس)

(١٤٤) من أشراف عسير .

(١٤٥) من أشراف عسير .

(١٤٦) لعله من الترك العثمانيين المقيمين في عسير

(١٤٧) لم أقف على شيء من أخباره .

(١٤٨) كذا في الأصل .

(١٤٩) ورد ذكر الأخير منهما في إحدى رسائل ابن مجثل إلى محمد بن الحسن بن خالد الحازمي ، إذ قال : (. . . ومن لدينا الولد عايض ، ومحمد يسلمون عليكم والسلام) ، « تاريخ عسير » لهاشم النعمي ١٨٠ .

(١٥٠) كلمة غير واضحة في الأصل .

(١٥١) ختمت هذه الرسالة بخاتم ابن مجثل ، الموسوم بقوله : (الله الملك وعلي عبده ١٢٤٥)

(١٥٢) في الأصل : (ابن) .

(١٥٣) الحفظي : لقب عرف به أحمد بن عبدالقادر بن بكري ، انظر هامش (٣٦) .

(١٥٤) كذا في الأصل ، وقد عرف ابن إدريس (بالسيد) .

(١٥٥) في الأصل : (ابن) .

(١٥٦) ويقال : المغربي ، وهو من ذرية الإمام إدريس بن عبدالله المحض

(١٥٧) في الأصل : (اله) .

(١٥٨) كلمة غير مرسومة في الأصل .

(١٥٩) كذا في الأصل .

(١٦٠) توفي رحمه الله تعالى عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م ، ومن المؤكد أن هذه الرسالة كتبت في العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجري [١٢٤٥هـ] عهد الأمير علي بن مجثل المغيدي (١٢٤٢ ــ ١٢٤٩هـ) .

(١٦١) كذا في الأصل [لعلها : نصير كما يبدو في الصورة ــ « العرب »] .

(١٦٢) يريد من الصوفية السالكين منهج ابن إدريس .

(١٦٣) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : (يسمع) .

(١٦٤) كذا في الأصل ولعل الصواب : (مما) .
(١٦٥) من آية ٣ سورة المائدة .
(١٦٦) في الأصل : (وامرلنا) ، وهو خطأ
(١٦٧) من آية ٨٩ سورة النحل .
(١٦٨) آية ٥٧ سورة يونس
(١٦٩) من آيتي . ١٢٣ ، ١٢٤ سورة طة .
(١٧٠) كذا في الأصل : والصواب (اتبع) .
(١٧١) في الأصل : (الاحرة) ، والحديث لابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، موقوفا عليه ، ولفظه : « تكفل الله لمن قرأ القرآن ، واتبع مافيه أن لا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة » . انظر : « مستدرك الحاكم » ٣٨١/٢ .
(١٧٢) وقد ورد أيضاً : عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم » ، « شرح الأربعين النووية » لسعيد بن محمد الأمير ، مخطوط غير مرقم الأوراق
(١٧٣) ساقطة في الأصل .
(١٧٤) كذا في الأصل ، وقد سقط قبلها لفظ : (فعليكم) .
(١٧٥) في الأصل : (الخلفا) ، وقد سقط بعدها لفظ : (الراشدين)
(١٧٦) ولفظ الحديث : قال عبدالرحمن بن عمر السُّلمي ، وحُجْر بن حُجْر : أتينا العرباض بن سارية رضي الله عنه ، وهو ممن نزل فيه : ﴿ **وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ : لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ** ﴾ [من آية ٩٢ سورة التوبة) ، فسلّمنا ، وقلنا أتيناك زائرين ، وعائدين ، ومقتبسين ، فقال العرباضُ : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظةً بليغةً ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال رجل ، يارسول الله : كأنّ هذه موعظة مودِّع ، فماذا تَعْهدُ إلينا ؟ قال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسَّمع والطاعة ، وإن عَبْدًا حبشيًا ، فإنه من يَعِشْ منكم بعدي فسيَرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بِدْعةً ، وكل بدعةٍ ضَلَالة » ، « جامع الأصول » ٢٧٨/١ ، وانظر « شرح الأربعين النووية » لسعيد بن محمد الأمير ، مخطوط .
(١٧٧) رسمت في الأصل : (بهدا) ، ثم أصلحت كما أثبت .
(١٧٨) في الأصل : (خيرا) ، وهو مثل معروف [لعل الشيخ أراد إيراد عجز بيت حَسَّان بنَصِّهِ في بيته المشهور :

وَإِنَّا وَمَنْ يُهْدِي الْقَصَائِدَ نَحْوَنَا كَمُسْتَصْبِعٍ تَمْرًا إِلَى أَهْلِ خَيْبَرَا

(١٧٩) وقد يقال : (لكل زمان رجال) ، انظر : « جمهرة خطب العرب » ، جمع أحمد زكي صفوت ١٣٨/١ .
(١٨٠) انظر المصدر السابق ١٣٨/١ ، وقيل إنه من أمثال : أكثم بن صيفي .
(١٨١) كذا في الأصل [العرب : هو بيت من الشعر مشهور .

فَلِلْحَدِيث رجالٌ يُعْرَفُونَ بِهِ وَلِلدَّوَاوِينِ حُسَّابٌ وكُتَّابُ

ولهذا وضع الكاتب الفاصلة ⊙ في أوله وفي آخره للإشارة إلى أنه شعر ، ولا صلة لتلك الدائرة بالعلامة التي يضعها المتقدمون .
(١٨٢) قال الجوهري : (اليعسوب : ملك النحل ، ومنه قيل للسيِّد يعسوب قومه ، واليعسوب أيضا : طائر أطول من الجرادة لا يصم جناحه إذا وقع . . .) ، « الصحاح » ١٨١/١ ، انظر : « القاموس » ١٠٤/١ ، و« اللسان » ٨٧/٢ .

(١٨٣) غير واضحة في الأصل ، ولعلها إلى [العرب · هي (وحاشا) واضحة مبى ومعى]
(١٨٤) في الأصل : (ريحات) .
(١٨٥) كذا في الأصل ، وهي من الدلات اللغوية المستعملة في هذه الفترة المتأخرة من تاريخ الأدب العربي .
(١٨٦) يلاحظ في هذه الرسالة التلطف في القول ، بما يشعر عن احترام لأحمد بن إدريس ، ولا غرابة في دالك ، فآثار التصوف معهودة في رجال ألمع لدى علماء آل الحفظي في أوائل العقد الأول من القرن الثالث عتر الهجري ، وما قبله ، ولم يدفع تلك الآثار إلا رحمة الله تعالى ، ثم ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في جنوبي الجزيرة العربية .
(١٨٧) لعله الشيخ . محمد البرناوي ، أحد جلساء أحمد بن إدريس ، ومن الذين احتلوا منزلة عنده ، انظر : « مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير » ٢٠ .
(١٨٨) الطيب بن محمد بن إدريس ، المصدر السابق ٢٠ .
(١٨٩) لعله الشيخ : عبدالله بن محمد العباس ، أحد جلساء ابن إدريس ، المصدر السابق ٢٠ .
(١٩٠) لعله : زين العابدين بن محمد بن أحمد الحفظي بن عبدالقادر بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن حفثم بن عجيل ، انظر : « نسب الفقهاء آل عجيل » لعبدالرحمن بن محمد الحفظي ، ورقة ٢ .
(١٩١) لعله : عبدالرحمن بن محمد بن أحمد الحفظي بن عبدالقادر بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن حفثم بن عجيل ، المصدر السابق ، ورقة ٢ .
(١٩٢) انظر هامش (١٦١) .
(١٩٣) لم تُخْتم هذه الرسالة بخاتم مرسلها .

المصادر والمراجع :

أولاً ــ المخطوطات :

(١) ابن إبراهيم ، صالح . « رسالة خطية منه إلى الشيخ إبراهيم بن أحمد الحفظي » ، يوجد أصلها لدى عبدالخالق بن سليمان الحفظي ، بدون رقم ، ولا تاريخ .
(٢) الأمير ، سعيد بن محمد . « شرح الأربعين النووية » ، مخطوط ، يوجد لدى المحقق ، بدون رقم .
(٣) الحفظي ، إبراهيم بن أحمد . « شعره المتفرق » المخطوط ، يوجد لدى المحقق ، بدون رقم .
(٤) الحفظي ، إبراهيم بن أحمد « قصيدته المخطوطة في رثاء الشريف حمود بن محمد أبي مسمار » ، يقع صدرها في ورقة مخطوطة لدى المحقق ، بدون رقم .
(٥) الحفظي ، إبراهيم بن أحمد « قصيدته الإخوانية مع عبدالله بن سرور اليامي » ، مخطوطة ، توحد لدى المحقق ، بدون رقم .
(٦) الحفظي ، إبراهيم بن أحمد . « قصيدته الإخوانية مع يحيى بن علي زغدين » ، مخطوطة توحد لدى المحقق ، بدون رقم .
(٧) الحفظي ، عبدالرحمن بن محمد . « نسب الفقهاء آل عجيل » ، مخطوطة ، يوحد أصلها لدى عبدالخالق بن سليمان الحفظي ، تاريخ نسخها ١٣٠٩هـ ، بدون رقم .
(٨) الحفظي ، علي بن الحسن « نبذة يسيرة في ترجمة والده » مكتوبة بقلمه ، توجد لدى كاتبها في أبها .
(٩) الحفظي ، محمد بن أحمد ، « قصيدته المخطوطة في أخيه إبراهيم بن أحمد الحفظي » ، توحد لدى المحقق ، بدون رقم . وتاريخ ١٢١٣هـ .
(١٠) الضمدي ، أحمد بن عبدالله . « رسالته الخطية إلى أبراهيم بن أحمد الحفظي » ، يوحد أصلها في مكتبة الحسن بن علي الحفظي بأبها ، بدون رقم .
(١١) الضمدي ، أحمد بن عبدالله ، « قصيدته الإخوانية مع إبراهيم بن أحمد الحفظي » ، مخطوطة ، توجد

لدى المحقق ، بدون رقم .

(١٢) عاكش ، الحسن بن أحمد . « حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر » . نسخة مخطوطة ، توجد في المكتبة العقيلية الخاصة بحازان ، رقم ٣٨ .

(١٣) عاكش ، الحسن بن أحمد . « الديباج الخسرواني بذكر ملوك المخلاف السليماني » ، مخطوط يوجد منه نسخة خطية مصورة لدى حجاب بن يحيى الحازمي ، بدون رقم .

(١٤) عاكش ، الحسن بن أحمد « عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر » ، مخطوط يوجد بقسم المخطوطات ، جامعة الملك سعود ، رقم ١٣٣٤ .

(١٥) عاكش ، الحسن بن أحمد . « قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري » ، مخطوط ، يوجد في مكتبة الحسن بن علي الحفظي بأبها ، بدون رقم .

(١٦) قاطن ، أحمد محمد . « تاريخه وأسانيده » ، نسخة مخطوطة ناقصة ، توجد لدى المحقق ، بدون رقم

(١٧) مجهول . « خبر مخطوط في ذكر مكانة الشيخ بكري بن محمد ومنزلته الاجتماعية » ، يوجد ضمن بعض المجاميع المخطوطة لدى المحقق ، بدون رقم .

(١٨) مجهول . « مجموع خطي ، يتضمن ذكراً للشيخ أحمد بن هادي » ، يوجد لدى المحقق بدون رقم .

(١٩) مجهول . « مجموع خطي ، يتضمن شعراً لأحمد بن هادي » ، يوجد لدى المحقق ، بدون رقم .

(٢٠) مجهول . « مشجرة خطية في نسب الفقهاء آل عجيل » ، توجد لدى المحقق ، بدون رقم

(٢١) مجهول . « مقدمة خطية لرسالة في الزكاة » ، توجد لدى المحقق ، بدون رقم

(٢٢) مجهول « بغية يسيرة في ترجمة السيد أحمد بن إدريس » نسخة خطية مصورة ، توجد بقسم الوثائق بدارة الملك عبدالعزيز بالرياض ، تحت رقم ٥١٣ .

ثانياً ـ المطبوعات :

(١) القرآن الكريم .

(٢) الحديث النبوي الشريف .

(٣) الأهدل ، عبدالرحمن بن سليمان . « النفس اليماني » ، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ، ١٤٠٠/١٩٧٩م .

(٤) الجزري ، ابن الأثير « جامع الأصول في أحاديث الرسول » ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ، مط الملاح ، لبنان ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

(٥) الجوهري ، إسماعيل بن حماد . « الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية » ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، بدون معلومات أخرى للنشر .

(٦) الحاكم . « المستدرك » ، ط بيروت ، وهو مصور عن الطبعة الهندية .

(٧) الحبشي ، عبدالله بن محمد « مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن » مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء دار العودة ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٨) الحفظي ، محمد إبراهيم . « نفحات من عسير » ، مط عسير ، أبها ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م

(٩) الحفظي ، محمد أحمد « ذوق الطلاب في علم الإعراب » ، تحقيق عبدالله أبو داهش ، ط ١ ، مط الشريف ، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨٠م .

(١٠) الحفظي ، محمد أحمد . « اللجام المكين والزمام المتين » ، تحقيق عبدالله أبو داهش ، ط ١ ، مط مارن ، أبها ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(١١) ابن حميد ، عبدالله بن علي . « نماذج من شعره ونثره » ، جمعه : محمد بن عبدالله بن حميد ، ط ١ ، مط عسير ، أبها ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(١٢) ابن حنبل ، أبو عبدالله أحمد بن محمد . « المسند » ، ط ١ ، المكتب الإسلامي ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .
(١٣) أبو داهش ، عبدالله بن محمد بن حسين . «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية» ، ط ١ ، مط الشريف ، الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
(١٤) الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر . «مختار الصحاح» ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
(١٥) رفيع ، محمد عمر . «في ربوع عسير» ، دار العهد الجديد للطباعة ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م
(١٦) الريحاني ، أمين. «ملوك العرب» ، ح٢ ، ط٤ ، دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .
(١٧) زبارة ، محمد محمد «نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر» ، مط السلفية ، القاهرة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م .
(١٨) الزركلي ، خيرالدين . «الأعلام» ، ط٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
(١٩) شاكر ، محمود . «عسير» ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بدون تاريخ .
(٢٠) صفوت ، أحمد . «جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة» ، ط٢ ، مط مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م .
(٢١) عاكش ، الحسن بن أحمد ، (جامع) . «مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير» ، تحقيق عبدالله أبوداهش ، ط١ ، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع ، جدة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
[ونشرت قبل ذالك في مجلة « العرب » س ٢١ ص ٣٢٦ وما بعدها] .
(٢٢) ابن عبدالوهاب ، محمد . «كتاب التوحيد» ، مط الإشعاع ، الرياض ، بدون معلومات أخرى للنشر
(٢٣) العقيلي ، محمد بن أحمد . «تاريخ المخلاف السليماني» ، ط٢ ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
(٢٤) العقيلي ، محمد بن أحمد . «المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان» ، ط٢ ، منشورات نادي جازان الأدبي ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
(٢٥) الفيروزآبادي ، مجد الدين بن يعقوب . «القاموس المحيط» ، توزيع مكتبة النووي ، دمشق ، بدون معلومات أخرى للنشر .
(٢٦) مجهول . «حوليات يمانية» (١٢٢٤ ــ ١٣١٦هـ) ، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية العربية اليمنية .
(٢٧) ابن مسفر ، عبدالله بن علي . «أخبار عسير» ، ط١ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
(٢٨) ابن مسفر ، عبدالله بن علي . «السراج المنير في سيرة أمراء عسير» ، ط١ ، مط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
(٢٩) مسلم ، أبو الحسن . «صحيح مسلم» ط١ ، دار أحياء الكتب العربية ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .
(٣٠) مصطفى ، إبراهيم وآخرون . «المعجم الوسيط» ، مجمع اللغة العربية ، المكتبة العلمية ، طهران ، بدون تاريخ .
(٣١) ابن منظور ، جمال الدين محمد . «لسان العرب» ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مط كوستاتسوماس ، مصر ، بدون تاريخ .
(٣٢) النعمي ، هاشم سعيد . «تاريخ عسير في الماضي والحاضر» ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، بدون تاريخ . =

منطقة القطيف :

المواقع الأثرية والآثار

[وتواصل «العرب» نشر فصول من كتاب قَيّم ألفه الأستاذ محمد سعيد المُسْلِم بعنوان «واحة على ضفاف الخليج» أتحف القراء ببعض مباحثه].

دَلَّتِ الآثارُ التي اكْتُشِفَتْ في سواحل هذه المنطقة على أنها كانت مهداً لشعوب عريقة في الحضارة ، وأنَّ لها تأريخاً مُغْرِقاً في القدم ، يمتد من العصر الحجريِّ فالبرونزي ، وتكاد تكون آثار الاستيطان البشريّ في المنطقة الشرقية من المملكة أكثر وضوحاً في أيِّ جُزْءٍ آخَر ، ويرجع ذالك إلى عدة عوامل : أهمها موقعها (الاستراتيجي) لتوسطها بين مراكز الحضارات القديمة كحضارة الهند والسند وفارس شرقاً ، وحضارة اليمن جنوباً ، وحضارة وادي النيل غرباً ، وحضارة وادِي الرافِدَيْنِ شمالاً ثم إشرافُها على جُزْءٍ كبير من ساحل الخليج العربي الذي لعب دوراً خطيراً في مجال الاتصالات البشرية ، والتبادل التجاري بين شعوب تلك الحضارات ، منذ أكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد .

وقد ظلت هذه المنطقة في مِحْوَرٍ تجاريٍّ وثقافيٍّ عَبْرَ القرون مع جيرانها ، وانعكستْ تلك الإسهاماتُ على شكل مستوطنات ومخلَّفاتٍ اكْتُشِفَتْ حديثاً في

= (٣٣) هارون ، عبدالسلام «تحقيق النصوص ونشرها» ، ط٢ ، نشر مكتبة الأمل ، الكويت ، مط مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م

(٣٤) الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب «صفة جزيرة العرب» ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، نشر دار اليمامة للبحث والترجمة ، الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٨٤م .

ثالثاً الدوريات

(١) ابن حميد ، عبدالله بن علي (دور أمراء عسير في نشر الدعوة السلفية) ، مجلة «العرب» ، ح١١ ، ١٢ ، س ٩ (جمادیان ١٣٩٥هـ) ص ص ٨٦٢ - ٨٦٦ .

(٢) أبوداهش ، عبدالله بن محمد . (من أعلام الدعوة الإصلاحية السلفية : الشيخ محمد بن أحمد الحفظي ١١٧٦ ــ ١٢٣٧هـ) ، مجلة « العرب » ح٣ ، ٤ ، س ٢٢ (رمضان وشوال ١٤٠٧هـ) ص ص ١٩٠ ــ ٢٠١

رابعاً الرسائل الجامعية

(١) عسيري ، علي أحمد عيسى «عسير من ١٢٤٩ ــ ١٢٨٩هـ» ، بحث مقدم لقسم التاريخ بكلية العلوم الإجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، لنيل درجة الماجستير ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

هذه المناطق ، ولتمام الشبه بين هذه الآثار المكتشفة لحضارة إنسانِ هذه المنطقة وبين تلك الآثار التي اكتشفت في مواقع سابقة ، كموقع (موهنجو دارو) بوادي السند ، وموقع (باكون) وتل (ايجاب) في إيران ، وموقع (العبيد) و(الوركاء) و(جمده نصر) في جنوب وادي الرافِدَيْنِ ، و(باربار) في البحرين ، وأم النار في (أبو ظبي)، نُسِبَتْ تلك الآثار بالدراسة المقارنة إلى تلك المواقع التي اكتشفت أولاً .

والسبب في نسبتها إلى تلك المواقع أَنَّ علماء الآثار (الانتروبولوجيين) حتى الوقت الحاضر لم يتعرفوا بصورة جازمة على الأقوام والشعوب الذين استوطنوا هذه المناطق ، وخلفوا فيها الحضارات ، فنسبوا تلك الآثار إلى المواقع التي اكتشفت فيها ، وكل ماصنعوه أنهم صنفوها بالدراسة المقارنة حَسَبَ قِدَمِهَا ، وأَرْجَعُوها إلى عهودٍ بعضُها مُغْرِقٌ في القدم ، فكانت أُولى هذه المراحل الحضارية حضارة (العبيد) بعصورها الأربعة ، وتمتد من ٥٠٠٠ إلى ٣٦٠٠ سنة ق.م و(باكون) و(الوركاء) إلى ٣٦٠٠ سنة ق.م، و(باربار) وتاروتُ و(جمده نصر) وأم النار إلى ٣٠٠٠ سنة ق.م وهكذا دواليك[١].

وقد أَثبتت الدراساتُ الأوليةُ أهميةَ هذا الجزء من الناحية الأثرية والتاريخية ، حتى ذهب بعضُ الباحثين إلى أَنَّ أصول حضارة (العبيد) تعود في جذورها الأساسية إلى حضارة هذه المنطقة ، ومنها امتدت إلى جنوب وادي الرافِدَيْنِ ، ومنها إلى الشمال ، ثم انتشرت في المواضع الحضارية الأخرى .

وقد ثبت لدى الباحثين (الانتربولوجيين) بأن أقدمَ مراحل الاستقرار في القسم الغربي من الخليج تتمثل في شرق الجزيرة العربية، وذالك استناداً إلى المخلفات الإنسانية التي عثر عليها حتى الآن[٢].

إن الأراضي الصحراوية الواقعة غربيَّ واحة القطيف وجنوبها حتى الظهران وٱلْعُقَيْر وشمالها حتى مدينة الجُبَيْل وجزيرة المُسَلَّمِيَّة وكذالك المناطق الواقعة جنوبي ٱلْخُبَر وبين الدمام والخبر ، ومنطقة صحراء البيضاء ووادي المِيَاه ، وثاج والأحساء ، وجزيرة تاروت تكاد تتمليءُ كلها بالآثار ، وقد عثرتْ (ارامكو) أثناء

مدِّ خطوط أنابيب النفط على آثارٍ مَدْفُونَةٍ تحت الرمال ، وأحْياناً تكون بارزةً على سطح الأرض ، كما كانت تُشَاهَدُ قِطَعٌ من النقود ، وبقايا أوانٍ فخَّارية قديمة مبعثرة هنا وهناك ، يجدها المتجول دون عناءٍ ، كما وُجدت عيون كثيرة تربو على ١٥٠ عيناً نظائر العيون التي تسقي سيحاً في واحة القطيف[٣] مما يدل على أنَّ صحراءَ البيضاءِ كانتْ مأهولة بالسكان والمزروعات ، وهذا مصداقُ الأسطورة المتداولة بين السكان ، والتي تقول بأن رِيْفَ القطيف كان متصلاً بريف الأحساء فيما مضى ، ويبدو أنَّ تلك الواحات الصغيرة المنتثرة في صحاري البيضاء هي من بقايا ذالك الريف العظيم الممتد من الأحساء إلى القطيف .

والذي يعنينا في هذه الدراسة هو الحديث عن الآثار المكتشفة في واحة القطيف ونواحيها ، لقد تم التنقيب في بعض المواضع ، وإنْ كان الكثير منها لم يَحْضَ باهتمام البعثات التنقيبية لموانع قائمة ، كوقوعها في ملكية خاصة كموقع الزارة بالقرب من بلدة العوامِيَّة والتي كانت عاصمة لهذه المنطقة ، والتي كانت تتمتع بشهرة فائقة في التاريخ الإسلامي منذ العصر الجاهلي ، حتى سنة ٢٨٣ هـ حين دمرها أبو سعيد الجَنَّابي القرمطي ، فاندثرت منذ ذالك الحين ، وانطمست معالمها ، وابتلعتْ آثارها بساتين النخيل ، ولا شك أن موقع هذه المدينة العظيمة يحتوي على كنوز قيمة من الآثار لو أُزيح الستار عنها وكذلك موقع القلعة ، وعُنَك ودَارِيْن وتاروتْ وغيرها من المدن والقرى التي اندثرت والتي ذكرها المؤرخون والجغرافيون القدماء .

أما المواقع التي حظيت باهتمام البعثات التنقيبية فهي :

١ ــ المُرَيْقِبَات : وهي موضع تكثر فيه التلال الرملية والصخرية ، ويقع إلى الجنوب من سيهات على مشارف الصحراء ، فقد وجدت فيه كومات صدفية ، كما عُثِر في منحدراته الجنوبية الشرقية على عشرين حفرة غريبة الشكل ، تبلغ سعة بعضها قدَمَانِ في قدم واحد ، وأعماقها ثمان بوصات ، بينما البعض الآخر يشبه التوابيت . ويرى (كورنول) أنها استخدمت كمدافن[٤].

٢ ــ جَاوَانُ : وهو موضع يقع إلى الشمال من صَفْوَى على مشارف النخيل ، وهو موضع تكثر فيه الهضبات الصخرية . لذالك اتخذت منه (أرامكو) مَقْلَعاً للصخور لدفن البحر أثناء بناءِ مرفإٍ رأس تَنُّورة ، فأُطلق على هذا الموضع (مقلع جاوان) إلَّا أنَّ الشركة نفسها عثرت أثناء عمل ازاحة الصخور على مقبرة غريبة الشكل ، تتألف من طابقين ، مبنية من صخور الملح الكبيرة ومسيّعة بِالجص ، ومنظرها الخارجي ــ كما شاهدتها ــ يبدو على شكل صليب ، ولها مَمَرٌّ مسقوف على كل جانب منه عدد من الغرف ، تحتوي كل غرفةٍ على قبر وإلى جانبها عند المدخل قبور صغيرة ، يبدو أنها مخصصة للأطفال .

وقد عثر البحاثة (فيدال) فيها على مجموعة من الآثار ترجع إلى العصر اليوناني والروماني الأول ، وقد سلمت مفاتيح هذا المدفن إلى إمارة المنطقة ، كما عثرت (أرامكو) عام ١٩٤٥ في جاوان على حجرٍ تكسرتْ أطرافُه بالمعاول قبل معرفته ، وقد اتضح بأنه قبر امْرأةٍ يقال لها جشم بنت عمرت (عمره) بن تحيو من أسرة عور (آل عور) من قبيلة شدب[٥] ومن الملاحظ أن كتابة أحجار القبور التي عثر عليها في جاوان افتتحت بعبارة (نفس وقبر) ، بينما الكتابات الأخرى التي عثر عليها في ثاج وقرب القطيف تبدأ بجملة (وكر وقبر)[٦] .

٣ ــ تَارُوْتُ : وهي كانت سابقاً جزيرة ، تقع في خليج (كيبوس) أو خليج القطيف ، على بعد أربعة أكيال إلى الشرق من مدينة القطيف نفسها ، وكان البحر يحيط بها من جهاتها الأربع ، إلَّا أنَّ توسع العمران الْتَهَمَ الجانب الغربي منها ، فتحولت إلى شبه جزيرة في الوقت الحاضر ، وهذه الجزيرة تعتبر أقدم موقع للاستيطان البشري ، ولها تاريخ مغرق في القدم ، فهي موطن الفنيقيين الأوائل قبل نزوجهم إلى شواطئ البحر المتوسط ، لذالك حفلت بالآثار المهمة ، وقد حظيت باهتمام (البعثة الدانمركية) فقامت بالمسح الأثري فيها ، وبدأت بالتلِّ العالي الواقع في الجانب الغربي من مدينة تاروت ، وهو الموقع الذي قامت على أنقاضه قلعة البرتغالين ، التي أعاد بناءَهَا الأتراك ، والتي مازالت معالمها بارزةً حتى الآن .

لقد أسفرتْ هذه الأنقاض المتراكمة عن ثروة أثرية ثمينة ، فوجدت تحتها بقايا هيكل (عشتاروت) الذي يتكون من أَحْجَار ضخمة منحوتة بحجم متر مكعب ، مما يدل على ضخامة هذا الهيكل ، كما اكتشفت (البعثة الدانمركية) أبنيةً تتكون من أربع طبقات سكنية ، تتألف جدرانها من كتل حجرية مربعة الشكل ، وعثرت أيضاً على بئر عميق من المياه العذبة ، تنصرف مياهه إلى حوض كبير واسع من الأحجار الطبيعية ، وعلى كسر فخَّارِيَّةٍ منتثرة على سطح التل ، وقد أظهرت دراسة الفخار بأن هذه الكسر تنتمي إلى حضارة (باربار) ــ حوالي ٣٠٠٠ ق .م ــ ، كما دلت الحفائر في الطبقات السفلى على أن هذا الفخار الموجود فيها ينتمي إلى فترة مبكرة أقدم من عصر (باربار) وقد اكتشفت في هذه الطبقات تركه أثرية هامة ، تتمثل في رؤوس سهام ، وكسر حجرية ، كالسكاكين والمكاشط و ٢٠٠ كسرة فخارية ، تتميز بأنها من النوع الخفيف الأصفر المخضر ، والمزينة بأشكال هندسية ذات لون بُنِّيٍّ غامق ، وقد تبين من الدراسة التي قامت بها البعثة بأن هذا الفخار ينتمي إلى عصر حضارة (العبيد) الأول (حوالي ٤٥٠٠ ق.م)[٧].

ويرى (جي بيي) أن الطبقات السفلى من هذا التل تضم حضارة (العبيد) بينما تضم الطبقات العليا حضارة (باربار) وبين هذه الطبقات يكمن الدليل على وجود التطور من المرحلة الأولى إلى المرحلة الأخيرة ، وقد أَدَّى اكتشاف فخار حضارة (العبيد) في موقع تاروت إلى المزيد من الحفائر والتنقيبات ، تَمَّ تسجيل خمسة عشر موقعا ، تضم العديد من الكسر الفخارية الملونة ، ومن هذه المواقع موقعان يبعدان نحو ٤٠ ميلا عن ساحل الخليج ، بينما تقع أغلبية هذه المواقع على الأرض السبخة المحاذية للساحل الحالي ، وقد تَمَّ التوصل بالدراسة المقارنة إلى التشابه التام بين فخار حضارة عصر (العبيد) والفخار الذي عثر عليه هنا ، وشملت الدراسة المقارنة بين المخلفات الأثرية المتمثلة في حجر (الأوبدان) والرحى الحجرية ورؤوس السهام والمخارز[٨] .

ويوجد في الجزيرة العديد من التلال الجيرية المغطاة بالطين ، التي تأخذ شكل القمع ، ويضم التل حجرة الدفن ، وسقفها يتألف من كتل من الحجر الجيري ،

وتقع هذه التلال في الجنوب الشرقي من الجزيرة على مقربة من ميناء دَارِيْنَ ، فقد عثر على مقابر تحيط بأضرحتها ملاط من الجبس ، وتتناثر حولها وعلى الأرض العديد من الكسر الحجرية من (الالباشير) و (الاستيتايت)[٩] .

ومرفأ دارِيْنَ نفسه الذي يتمتع بشهرة تاريخية منذ القدم ، والذي كان من أهم الموانئ التجارية في الخليج يضم ثروة فنية ، ويوجد على مقربة منه أكمات بدائية شاذة التكوين ، يقول عنها الأهالي : إنها كانت بقايا مدافن ، وقد التهمها العمران في الوقت الحاضر ، حتى يقال : إن بلدة دارين الحديثة تستقر على أربع طبقات من المدن بعضها فوق بعض ، ولا يوجد فيها الآن من الآثار البارزة سوى قلعة محمد بن عبدالوهاب على الساحل ، وهي قلعة دفاعية من القلاع التي بناها البرتغاليون في القرن السادس عشر ، وجدد بناؤها عام ١٣٠٣هـ .

ولا تَخْلُو بساتين الجزيرة من الآثار المدفونة ، مما يدل على أن الرقعة الآهِلَةَ بالسكان سابقا كانت أكبر مما هي عليه الآن ، حيث تمتدُّ إلى مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية ، فقد عُثِر في أوائل هذا القرن على تمثال من الذهب الخالص للبعلة (عشتروت) كان مدفونا في احد بساتينها[١٠] وقد اكتشفه أحد الفلاحين عن طريق الصدفة ، إذْ كان يحرث في البستان ، فسلمه لمالك النخل ، مما يدل على أمرين : إما أن يكون هذا الموقع معبدًا في ذالك ، أو أن أحد اللصوص سرقه ودفنه ، ولم يهتد إلى موضعه في ذلك البستان .

مواقع أخرى من القطيف :

وتضم الواحة ومدنها ثروات أثرية دفينة ، لم يكشف النقاب عنها ، فقيام المدن الحالية على أنقاض المدن القديمة يَحُولُ دون عمل التنقيب ، كما أن البعض منها ابتلعته زراعة النخيل ، حيث أصبحت من الممتلكات الشخصية فانطمست معالمها ، كمدينة الزارة الواقعة بالقرب من العوامية ، ومع هذا فقد يُعْثَرُ بين حين وآخر على بعض الآثار في هذه النواحي .

فمنها لوح بخط المسند ، استخرجه (كورنوال P. CORNWAL) كان مدفونا في أحد بساتين القطيف ، ويذهب إلى أنه نقل من جزيرة تاروت ، أو من موضع

لا يبعد كثيرا عن القطيف ، وهو يشبه الألواح التي عثر عليها قبلا ، وهو عبارة عن شاهد قبر لرجل يقال له (ايليا بن عيني بن شصر من اسرة سمم من عشيرة ذال من قبيلة شذب) ويرى بعض المستشرقين أن صاحب هذا القبر كان نصرانيا عاش في القرن الخامس والسادس للميلاد[١١] .

وعُثِرَ على شاهدِ قبرٍ آخر ، مدون بالمسند على مقربة من القطيف لقبر (شبام بنت صحار ابن عنهل بن صامت من قبيلة يدعب) ويدعب من قبيلة شذب ، وهي من القبائل المعروفة في العروض ، وكانت ذات عدد من البطون ، وليس في هذا الشاهد تاريخ سوى الرقم (٩٠) ، ربما يشير إلى عمر صاحبة القبر ، ويرى الذين درسوا هذه اللوحة أنها تعود إلى القرن السادس للميلاد[١٢] .

وهناك في أماكن متفرقة عَثَرَتَ (بلدية القطيف) على بعض الصخور ، وعليها بعض الكتابات التي لم تحل طلاسمها ، وكانت البلدية تحتفظ بها ، ثم سُلِّمتْ أخيراً لمصلحة الآثار في الرياض .

وسور القلعة وجامعها القديم كان من أبرز المعالم الأثرية ، التي تعود إلى عهود مغرقة في القدم ، وقد جُددَ بناءُ هذا السور آخر مرة في عهد السلطان سليم الثاني العثماني في القرن العاشر الهجري ، بعد اندحار البرتغاليين من هذه المنطقة ، وكان على أحد أبوابه لوحة حجرية ، كتب عليها تاريخ تجديد بنائه ، كما كانت توجد لوحة حجرية أخرى مماثلة عند مدخل منارة الجامع ، كتب عليها تاريخ بناء المسجد الذي يعود إلى القرن الثامن الهجري ، أما في الوقت الحاضر فقد أُزيل السور وأُزيل الجامع ومنارته ، ولحقت بهما القلعة أخيرا ، فهُدِمَتْ وانطمست معالمها ، وأصبحت خبراً بعد عين ، شأنها شأن المدن القديمة التي اندرست ، والتي حَدَّثَنَا عنها المؤرخون ، كبنكات وخرشاف والغابة ، والسابور والجوسي والرافقة والصاد ، وظلامة ، والظهران والزارة .

وكانت منطقة القلعة وضواحيها أبرزَ أَثَرٍ تاريخي في القطيف ، وكانت تسمى الفُرْضَة ، وربما وإلى عهد قريب[١٣] ، ويحدثنا ياقوت الحمويُّ بأن الفرضة كان يسكنها بنو عامر بن الحارث بن عبدالقيس ، ولعلها هي مدينة الخط التي بناها

اردشير الأول[١٤] ، خلال القرن الثالث الميلادي ، والذي اتخذ القلعة ــ كما يبدو من تخطيطها السابق ــ حصنَ دفاع وقاعدة عسكرية ، لوقوعها على الساحل مباشرة ، كما هو الشأن عند البرتغاليين حين استعمروا هذه المنطقة ، وكما تُوحي الأسماء التي علقت بها كاسم (الخان) الذي يدعى به أحدُ أَحْيائها ، واسم (الدروازة) الذي يطلق على كل بوابة فيها بتلك الصلة بينها وبين مؤسسها الفارسي ، ويبدو أنه اتخذ القلعة بلاطا للحكم ، حيث كانت القصور الملكية تحتل وسطها ، يليها في الجانب الغربيّ قصر الضيافة وهو موقع فريق (الخان) كما تقع زرائب المواشي في الجانب الشمالي منه وهو موقع (فريق الزريب) وتحيط بها الحدائق الغناء ودوالي العنب بَدْءًا من الجامع المجاور لدروازة السوق ــ ويحتمل ان يكون معبدا قديما ــ وانتهاء بمحلة الوارش .

كانت القلعة تسمى (جبارو JIPARRO) وقد استخدمت حينا من الزمن مخزنا للتوابل والعطور الواردة لها من جزيرة تاروت ، ثم تحولت إلى منطقة سكنية مكثفة بالمباني ، وكانت على شكل بيضوي ، أو بالأحرى مربعا مستطيلا ، يحيطها ــ كما شاهدناها ــ سور منيع ، مبنيٌّ من الصخور والحجارة ، ومُسَيَّعٌ بالجص المصهور ، يبلغ سمكه ٧ أقدام وارتفاعه ٣٠ قدما ، وتبرز بين جوانبه وزواياه أبراج عالية ، مستديرة الشكل (نصف دائرة) ، يبلغ عددها ١١ برجا ، ويربط بينها جسرٌ على امتداد السور ، بعرض مترين في اعلاه ، حيث ينتقل عليه الحراس[١٥] بخيولهم أثناء الليل من برج إلى برج للمراقبة ، وكان للقلعة أربع بوابات ضخمة ، مصفحة بالحديد ، تفتح نهاراً وتغلق ليلا في أيام السلم ، ولكل بوابة باب صغير في وسطها يسمى (خوخة) ، يفتح عند الطوارئ ، وتؤدِّي كل بوابة غرضا معينا ، فدروازة البحر هي المنفذ الوحيد لمينائها ، وتقع شرقا ، كما أنَّ دروازة السوق وتقع في الزاوية الجنوبية الغربية هي المدخل الرئيسي للسوق ، أما دروازة باب الشمال التي تقع في الجانب الغربي بين فريق الخان والزريب ــ فهي المنطلق إلى الريف ، وتعتبر الدروازة الرابعة التي تقع في الجانب الشمالي الشرقي المدخل إلى الكوت الذي يقع بموازاة الزاوية الشمالية الشرقية ، وهو حصن صغير كان قلعة دفاع في العهد التركي ، ثم أُهمل شأنه ، واتخذ في العهد السعودي محطة

ارسال لاسلكية ومكتباً للبريد .

وتنقسم القلعة إلى أربعة أحياءٍ ، تتخللها طرق ضيقة وسوابيط مظلمة ، وأشهرها ساباط الظلما[١٦] الذي يقع في الزريب ، فهناك فريق الخان ، ويقع في الجانب الغربي الجنوبي ، وفيه بئر عميقة ماؤها ضارب للمرارة ، وهي عامة ، وفريق السدرة ، ويقع في الجانب الشرقي الجنوبي ، وفيه بئر عامة ماؤها ضارب إلى الملوحة ، وفريق الزريب ويقع في الجانب الشمالي الغربي ، وفيه بئر عامة تسمى (مغيبوه) وهي أحلى الآبار يستقى منها جميع سكان القلعة ، رغم وجود الآبار في كل بيت . أما الجانب الشمالي الشرقي فيسمى فريق الوارش ، وبه ينبوع ماءٍ يسيح على وجه الأرض ، ويسقي بعض النخيل الموجودة ، في ذالك الحي ، ثم يتجه شمالا ويصبُّ في البحر ، ثم عُمِلَتْ له قناة لتتجه مياهه إلى بركة مسجد الإمارةَ شرقا ، ومِنْ ثَمَّ تواصل مجراها إلى البحر ، ويبدُو أَنَّ لِأَسْمَاءِ الأفرقة[١٧] صلة وثيقة بتاريخ القلعة في بَدْءِ تأسيسها واتخاذها منطقة سكنية ، فالخان اسم فارسي معناه الفندق أو نزل المسافرين ، والزُّريب تصغير زرْب ، وهو حظيرة المواشي ، والسدرة نسبة إلى شجرة نَبْقٍ شهيرة بجودتها ، وهي من فصيلة هندية[١٨] وأما الوارش فيظهر انه كان في الأصل محط الدخلاء من ورش على القوم ، أَيْ دَخَلَ بدون إذْنٍ ، ولم يُدْعَ للأكل[١٩] ، كما يُوجد في داخل القلعة ــ في الجانب الجنوبي والشرقي بمحاذاة السور ــ عددٌ من البساتين وتسمى دوالي تُسْقَى سَيْحًا[٢٠] بواسطة قناة تنفذ إلى القلعةِ ، خلال فتحة في أسفل السور ، متصلة بباب الدويج ، الواقع في سيحة التّوبي ، ويبدو أَنَّ المساحة المزروعة سابقا أكثر مما رأيناه ، إذْ من المحتمل أنها تمتد من دروازة السوق من مورد الكريدي حتى محلة الوارش .

وكان يوجد في القلعة أحد عشر مسجدًا ، أشهرها مسجد الراجحيّةَ والبرودَة ، والخان ، وأهمها جامع المنارة وهو أقدم جامع بها ، ويقع على مقربة من دروازة السوق ، ويرجع بناؤه إلى القرن الثامن الهجري ، وقد كتب تاريخ بنائه على لوحة حجرية كانت موجودة في داخله ، ويقال : إنَّ تأسيسه أبعد من هذا

التاريخ بكثير ، وقد رأيناه مهجوراً متداعي البنان ولم يبق منه بصورة سليمة إلا مِئْذَنَتُهُ المستديرة العالية ، التي يبلغ ارتفاعها نحوا من ٣٠ مترا ، والتي كانت تشرف على الحاضرة وضواحيها ، وكانت سابقا تستخدم لأغراض استطلاعية حربية ، فَأُصِيبت بقذيفةِ مدفع ، فأنبتر جُزْؤُهَا الأَعْلَى ــ كما رأيناها ــ ثم قامت البلدية بتكملة الجزء المنهدم في عهد الملك عبدالعزيز ــ رحمه الله ــ واستخدمت لإنارة البلدة ، فكان يعلق في أعلاها مصباح من الغاز قوته ٤٠٠ شمعة فتنير ماحولها ، أمَّا الآنَ فقد أُزِيلَتْ تلك المئذنة كما أُزِيل الجامع القديم ، وجدد بناؤه واستعمل لإقامة صلاة الجمعة .

ويقدر (لوريمر) أطوال جهات القلعة بأربع مئة ياردة من الجهتين الشرقية والغربية ، و ٣٠٠ ياردة من الجهتين الشمالية والجنوبية ، كما يقدر سكانها بخمسة آلاف نسمة وأسواقها بـ ٣٠٠ محل تجاري[٢١] وهذه الأسواق كانت تبدأ من دروازة السوق وتنتهي بالقرب من الدِّبَابية ، وهي الآن في موقع شارع الملك عبدالعزيز ، وهي عبارة عن سكة مسقوفة على شكل (جملون) بين صفّين من الحوانيت ، تمتد من تقاطع شارع المدارس حتى تقاطع شارع جعفر الخطّي ، ثم تنعطف إلى الغرب باتجاه الشارع نفسه حتى مؤخرة المدرسة الثانوية ، وكانت تسمى هذه الانعطافة (سوق الحرية) تنتهي ببوابة ضخمة تفتح نهاراً وتغلق ليلا .

وتقع ضواحي القلعة في الجهة الغربية والجنوبية منها ، وتكاد البساتين تحيط بها وبضواحيها من جانب ، باستثناء جهة البحر ، وقد تحولت الآن تلك البساتين التي تحيط بالقلعة وضواحيها إلى أحياء سكنية ، كما تحولت البساتين التي بجانب السوق كالصبيحة والدالية إلى أسواق عامرة .

أما الضواحي القديمة فكانت كالآتي :

١ ــ باب الشمال :

وسُمِّيَ بذلك لوقوعه مقابل البوابة الشمالية الغربية ، وأول الأحياء في الجهة الشمالية ، حيث يقع في الجهة الغربية من القلعة خارج السور مباشرة ، ويمتهن

أهله صيد السمك والزراعة ، ويصفه (لوريمر) بأنه قرية غير مسورة ، تتكون من ٨٠ منزلا ، ويعمل أهلها بصيد اللؤلؤ وصيد السمك ، ويملكون حدائق النخيل[٢٢] .

٢ ــ الجــراري :

وسُمِّيَ بذلك لتركز صناعة الجرار وغيرها من الفخار ، حيث تُوْجَدُ فيها الدُّوَغُ[٢٣] وتقع إلى الجهة الغربية الجنوبية من باب الشمال ، وكان أهلها يمتهنون بالإضافة إلى ذالك تجارة سعف النخيل والجريد ، حيث تقع فيها المسامط[٢٤] كما يوجد فيها أنوال ٱلحُصُرِ المتخذة من ٱلأَسَل ، ووصفها (لوريمر) بأنها قرية مسورة تتكون من ٤٠ منزلا ، معظمها أكواخ من سعف النخيل ، ويعمل أهلها بزراعة النخيل[٢٥] .

٣ ــ المــدارس :

ولعلها كانت في الأصل مركزا للتعليم أو مجمع مدرسي في عهد سابق ، كما يدل على ذلك اسمها ، وهي تقع في الجنوب الغربي من القلعة ، ويصفها (لوريمر) بأنها قرية مسورة على بعد ١٥٠ ياردة من القلعة ، وتتكون من ١٢٠ منزلا ، وأهلها يعملون بالتجارة والزراعة[٢٥] .

٤ ــ الشــريعة :

وهي لُغَةً مَوْرِدُ الشُّرْبِ ، ولا أعرف علة هذه التسمية ، وتقع إلى الجهة الجنوبية من القلعة ، ووصفها (لوريمر)[٢٥] بأنها قرية مسورة على بعد ١٠٠ يادرة من القلعة ، تفصل بينهما مقبرة وغابة من النخيل ، وتتكون من ١٢٠ منزلا ، معظمها مبنية بالحجارة والطين[٢٥] وأهلها يمتهنون التجارة ، وصيد الأسماك ، وتقع السوق في الجانب الغربي منها ، وإلى الجنوب منها ساحة أرضها جبلية (تسمى الجيلة) وهي مركز تجارة التمور ، كما يوجد في مدخل الجبلة مقهى عبارة عن نادٍ يجتمع فيه أعيان القطيف من الملاكين وسماسرة تجارة التمور .

٥ ــ مَيَّــاس :

ولا أعرف علة هذه التسمية ، وتقع في الزاوية الغربية الجنوبية بين سكة السوق وسكة الحرية ، وهي مسورة ، تحيط بها من الغرب والشمال غابة من النخيل ، ويصفها (لوريمر) بأنها على بعد ١٢٠ ياردة جنوب غربي القلعة ، وتتكون من ١٥٠ منزلا مبنية بالطين والحجارة ، وأهلها يشتغلون بالتجارة والزراعة[٢٥] .

٦ ــ الكويكب :

تصغير كوكب ، تقع على ربع ميل من القلعة ، وكانت تحفُّ بها النخيل من كل جانب ، وهي مسورة كما يذكر (لوريمر)[٢٥] تتكون من ٢٥٠ منزلا ، مبنية بالجص والحجارة ، وأهلها يشتغلون بالزراعة وصيد اللؤلؤ .

٧ ــ الدبابية :

تقع في الجهة الغربية الجنوبية من سوق الحرية ، وتحيط بها بساتين النخيل من كل جانب ، وتبعد عن القلعة ــ كما يذكر (لوريمر) بنحو نصف ميل ، وهي مسورة تتكون من ٢٥٠ منزلا أغلبها مبنية من الحجر والجص ، وتتخللها بعض الأكواخ ، ويعمل أهلها بزراعة النخيل ، حيث تلحق بها سيحة تسمى بأسمها ، ويملكون سبعة قوارب لصيد اللؤلؤ[٢٥] وفي جانبها الشرقي عين عذبة ، تسمى باسمها بمحاذاة السور ، وتسقي النخيل المجاورة لها ، كما يستقي منها سكان القلعة وضواحيها ، وقد أُقيم على مجراها بداخل البلدة حمامٌ للرجال ، وآخر للنساء ، كما يوجد في الجانب الشرقي منها مقبرة عامة يدفن سكان الضواحي القريبة منها موتاهم فيها .

هذه صورة للقلعة وضواحيها قبل ربع قرن تقريبا ، وقد شاهدناها كما وصفها (لوريمر) وسجلنا هذه الصورة للذكري والتاريخ ، وكانت تجسد الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في ذالك الحين ، كما تخفي تحت أرضها كنوزا من الآثار المدفونة ، وتفصح مبانيها عن حكاية أمجادِ الماضي . أما الآن فقد

اختفت هذه الصورة ، وهي في سبيلها إلى الاندثار بعد أن شُقَّتِ الشوارع فيها ، وابتلعت المساكن والمتاجر مبانِيَها وبساتين النخيل التي كانت موجودة حولها .

القطيف : محمد سعيد المسلم

[الحواشي] :

(١) « منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد » ص ١٨٨ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٩٣ .
(٣) ساحل الذهب الأسود ص ٢٧ .
(٤) منطقة الخليج العربي خلال القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد ص ١٤٢ .
(٥) العرب قبل الإسلام ج ١ ص ١٩٤ (٦) المصدر نفسه . ج ١ ص ٢١٨ .
(٧) منطقة الخليج العربي ص ١٤٠ ، مقدمة عن الآثار في المملكة العربية السعودية ص ٣٧ .
(٨)و(٩) منطقة الخليج العربي ص ١٤٠ .
(١٠) ساحل الذهب الأسود ص ٥٣ .
(١١)و(٢١) العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ج ١ ص ١٩٤ .
(١٣) اطلعت على بعض وثائق المبايعات ، فتعرف البائع والمشتري بأنه من أهل الفرضة اذا كان من سكان قلعة القطيف .
(١٤) مؤسس الدولة الساسانية (٢٢٢ ــ ٢٤١م) .
(١٥) كانت الحراسة تفرض على الأهالي كمنابة ليلية من القادرين على حمل السلاح .
(١٦) أي المظلم وتحكي عنه أساطير ميثولوجية كمقر للجن والعفاريت .
(١٧) جمع فريق واصل المعنى الطائفة أو الجماعة من الناس إلا انه يستخدم هنا بمعنى الحي اصطلاحا .
(١٨) كان مقرها ردهة حسينية السدرة وثمرتها كبيرة مستطيلة الشكل لذيذة الطعم .
(١٩) كان هذا الحي تسكنه الطبقة الفقيرة .
(٢٠) جمع دالية ربما كانت في الأصل مزارع للعنب وتتميز أرضها بالخصوبة ، وكانت تملكها بعض العائلات في عهدنا كآل الشماسي وآل المسلم وآل السنان وآل أبو السعود وكانت تسقى مرتين في الأسبوع ليلة الثلاثاء وصباح الخميس .
(٢١) « دليل الخليج » ١٨٩١/٥ ومعلوماته تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .
(٢٢) دليل الخليج ١٨٨١/٥ وقد نقل الأستاذ الجاسر نص ما ذكره لوريمر ثم قال : ولست على ثقة من صحة هذا الاسم فقد تكون الترجمة خاطئة ولو رجع إلى كتاب ساحل الذهب الأسود أو سأل أحد أبناء القطيف لصححوا معلوماته .
(٢٣) جمع دَوْغَة اصطلاح محلي معناها فرن الفخار .
(٢٤) جمع سمط محل مسمط الخوص من السعف من سمط الجدي نقّاه من الشعر .
(٢٥) دليل الخليج ج ٥ ص ١٨٨١ وما بعدها .

لمحات من مذكرات العُزَيزي :

كيف اتجهت إلى البادية ؟

[أتحف الأستاذ الباحث الواسع الإطلاع في تراث البادية وأحوالها الإجتماعية عامةً ، روكس بن زائد العُزَيْزي ــ أَتْحَفَ صَدِيقَهُ رئيس تحرير هذه المجلة بنسخة من مذكراته التي عنوانها «أيام عشناها ــ ٩٠٣/٨/٢٤ ' مادبا ١٩٨٧/٨/١٢ عمّان» ولطرافة هذه المذكرات ولما يتمتع به الأستاذ العزيزي من سمو المنزلة في نفوس القراء ــ بل المثقفين عامة ــ مِمَّا يدفعهم إلى التطلع لمعرفة الكثير من أحوال هذا الباحث الجليل تقوم «العرب» بنشر لمحات من هذه المذكرات الطريفة] .

* * *

أهو القدر ؟ لست أدري ، فَكُلُّ يومٍ أَتَّجِهُ إلى الدار من طريق معين ، فما الذي دعاني في هذا النهار العاصف من شباط سنة ١٩٢٢م وشآبيبُ المطر يصاحبها ٱلْبَرَدُ إلى المرور من باب دار الحكومة المسماة (السرايا) ؟

رأيت بَدَوِياً من عُرْبانِ (بني حميدة)[1] يحيط به أربعة جُبَاةٍ ، وهو يصرخ : (خذوا الفَحْمَاتِ وأَعْتقوني لوجه الله ، ذبحني البرد)!! فلما رآني هتف قائلاً ــ على طريقة البدو ــ : (يانَشْمِي أنا بوجهك) ــ أي أَسْتجير بك ــ فأجبته بالطريقة البدوية : (وصلْت) ــ أي انتهيتَ إلى من يحميك ــ.

كان أحدُ ٱلْجُبَاةِ قد نزع من الرجل عباءته ، والثاني انتزع خنجره ــ الشِّبْرِيَّةِ ــ ، والثالث أخذَ الحبلَ المربوط حول كيس الفحم ، والرابع كان ممسكاً بتَلَابِيْبِه !

قلت: (ارفعوا أيديكم عن الرجل) دفعتُ لهم ماطلبوا ، فانصرفوا ، وصَحِبْتَ الرجل إلى الدار ، أَدْفَأْتُهُ ، وغيَّرْتُ له ثَوَبَهَ ٱلْمُبْتَلَّ ، وباتَ ليلته ناعِمَ البال ، وفي الصباح دفعتُ له ثمن الفحم ، وسامحته بما دفعت عنه ، وكان ٱلْجَوُّ قد صفَا ،

وقبل أن يودع سألني قائلاً : (أنت خطيب ؟) ــ أي أأنت متعلم ؟ أَجَبْتُهُ : (أجلْ أَنَا خَطِيب) فقال : أكْتُبْ عَني ، فأَمْلَى علي قصيدةً في مدحِي ، ليس هذا محل ذكرها[٢]، لقد أثر فيَّ عرفانُهُ للجميل ، فقررت أَنْ أَدْرِسَ حياةَ هذا الشعب ، وكان ذالك هَيِّناً علي ، لأني حاذقٌ في ركوب الخيل ، وفرسي عندي ، فَأَخَذْتُ منذ ذالك التاريخ أُدَوِّنُ كلَّ مايصلُ إليَّ ، أو أصل إليه من حياة البدو ، عاداتِهم ، تقاليدَهم ، أُسلوبَ حياتهم ، حكاياتهم ، أساطيرهم ، خرافاتهم ، اعتقاداتهم ، قَضَاءَهُم البدوي ، مزاراتِهم ، أَشْعَارَهُمْ ، إلى غير ذالك . لكن كان غرضي هو الجمع ، إلى أن طلب مني أُستاذي الأب أنستاس ماري الكرملي[٣] أن أَضَعَ قاموساً للألفاظ الأردنية العامية ، لأن (مجمع اللغة العربية) في القاهرة يرغبُ في الحصول على مثل هذا العمل ، لأنه منذ إنشائه أَسَّسَ لجنةً خاصة لتتقصَّى اللهجات العامية ، خدمة لِـ(اللُّغة) الفُصْحى ، لمعرفة مادخل في العامية من ألفاظ الأمم التي حكمت هذه الديار ، ومافي العامية من ألفاظٍ أهملتها المعاجم ، وأوصاني أن تكون الألفاظ مُوَثَّقَةً بشواهدَ من الشعر أو الأمثال ، فاستقام لي من هذا المعجم الذي سميته «قاموس العادات واللهجات والْأَوَابِدِ الأُردنية» أربعة أجزاء ، الجزء الرابع خاصٌّ بِسِمَاتِ القبائل ، وصورها ، ودَلَالَتِها الدينية .

فلما نُهِبَتْ دارِي وكتبي سنة ١٩٤٨ في (القدس) أَعَدتُّ مؤلفاتي المخطوطة من الذاكرة ، لأَنَّ الله مَنَّ عليَّ بذاكرة مُصَوِّرَةٍ ، ولأن كُلَّ مساعِيَّ ومساعِي الذين حاولوا مساعدتي في استعادةِ كتبي ومقتنياتي التي كانت تُبَاعُ في عَمَّانَ ، ذَهَبَتْ مع الريح !.. أَجَلْ ، اتكأْتُ على جِراحي ، وكنت كطبيب اختصاص ، يعالج وحيداً له من مرض عُضَالٍ ، وقد طبعتُ كتبي كلها بِإِنْفاقِي الخاص ، إلا : ــ

١ ــ «قاموس العادات واللهجات والأَوابد الأردنية» الذي طبع مرتين ، وقد اهديت حقوقه كلها لأَبناء الشهداء من القوات الأردنية المسلحة ، فطبعَتَ الطبعة الأولى (دائرة الثقافة والفنون) وطبعة الطبعة الثانية (قيادة القوات المسلحة).

٢ ــ و«معلمة التراث الأردني» في خمسة أجزاء بـ (٢٩٠٠) صفحة من القطع

(تربة) : من أعراض نجد المشهورة قديما

رغب أحدُ الإخوة أنْ أُوَضِّحَ له موقع تُرَبة في أي إقليمٍ من أَقاليم الجزيرة عند متقدمي علماء الجغرافية العرب ، وأن أورد نصوص أقوال بعضهم .

ويحسن أن ندرك قبل ذالك أنَّ علماء الجغرافية المتقدمين حينما قسموا جزيرة العرب إلى أقاليمها المعروفة : الحجازِ ونَجْدٍ وٱلعَرُوض (اليمامة والبحْرَيْنِ) واليمن ــ لاحظوا مميزات جغرافية ، وسِمَاتٍ واضحةً لكل إقليم ، إلا أنَّ بعضهم كان يتأثر بالوضع الإداري للأقاليم في عهده ، عندما يُحَدِّدُ أَحَدَهَا ، ومن هنا نشأ اختلاف في تحديد بعض الأقاليم بين المتقدمين ، مما يفهم منه التضارب في الآراء ، وماهو سوى تأثر بالوضع الإداري في عهد ذالك العالمِ الذي نُقِلَ عنه التعريف ، والتداخلُ بين الأقاليم من الناحية الإدارية معروف في كل عصر ، وخاصة حين تنعدم المميزات الجغرافية الواضحة . وسوف أحصر إجابة الأخ

الكبير ، طبعتِ ٱلجُزْءَ الأول والجزء الثاني (دائرة الثقافة والفنون) وطبعتِ الجزءَ الثالث والجزء الرابع والجزء الخامس (وزارة السياحة) .

وقد ظلَّتْ علاقتي بالمجتمع البدوي تَتَجَدَّدُ إلى يومنا هذا .

عمَّان : روكس بن زائد العزيزي

الحواشي (من تحرير المجلة) :

١ ــ بنو حميدة : قال في كتاب «تاريخ شرق الأردن وقبائلها» ــ ص ٢٥٣ ــ: الأرجح أن بني حميدة هم الحميديون ، من هلا سويد ، من حذام انتهى . وجذام من القبائل القحطانية .

٢ ــ من تلك القصيدة :

(رُوْكِسْ) عَـرِيبَ الاسْمْ والرَّبّ يَـرْعَـاكْ صِيتِـكْ وصلْ لَـ(الصَّـيْ) وبْلَادْ (شَـامَا)

وآخرها :

لَـوآنْ بَـسِيْنَـا عْيَـالـنـا مَـانسِـيـنَـاكْ يَـامِـلْحَي ٱلـمَـظْلُومْ رِيْـفَ ٱلْيَـتَـامَى

٣ ــ توفي الأب استاس سنة ١٣٦٦ عن عمر يناهز ٨٤ عاماً .

الكريم في الناحية الجغرافية :

إنَّ المرء بالقاءِ نظرة عامة على جزيرة العرب يدرك الاختلافَ الطبيعي في وضع أقاليمها ، فهناك سَهْلٌ منخفض ، ممتدٌّ بامتداد البحر الأحمر ، يعرف قديماً وحديثاً باسمي ٱلْغَوْرِ ، وتهامة ، فهو غور لانخفاضه بالنسبة للإقليم الممتد بمحاذاته شرقاً ، الذي يعرف باسم (الحجاز) وهذا القسم يمتد محاذياً لذالك السهل المنخفض من أقصى جنوب الجزيرة (اليمن) إلى أقصى شمالها من جهة (الشام) ويعتبر حاجزاً بين ذالك الإقليم المنخفض الذي هو (الغور) وبين أرض مرتفعة تقع شرقه هي مايعرف باسم (نجد) .

وبإلقاء نظرة أُخرى على شرق الجزيرة يلاحظ المرء أن هناك اقليمين مختلفين عن تلك الأراضي المرتفعة الواسعة الواقعة غرباً المحاذية للحجاز ، وهي (نجْد) هذان الإقليمان تتغير طبيعة تكوينهما ويتغير مظهرهما ، وهما ماعُرف قديماً باسم (ٱلعرُوض) فموقعهما بالنسبة للجزيرة يمتد معترضاً من الشمال إلى الجنوب ، وهما معروفان منذ القدم باسم (اليمامة) و(البحرين).

ولا يسع المقام تفصيل وصف تلك الأقاليم ، ولكن لابُدَّ من إيراد بعض النصوص التي تدل بوضوح على وقوع منطقة تُرَبَة في إقليم نجد :

١ ــ أورد البكريُّ في «معجم مااستعجم» ــ ص ١٠ ــ وصاحب كتاب «المناسك» وهو متقدم على زمن البكري ــ ص ٥٣٧ ــ عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤ ــ : نَجْدُ فيما بين الحجاز إلى الشام إلى العُذَيْب[١]، والطائف من نجد ، والمدينة من نجد . كما أورد البكريُّ أيضاً ــ ص ١٣ ــ : نجد مابين جُرَش [٢] إلى سَوَادِ الكوفة ، وآخِرُ حدوده مما يلي المغرب الحجازُ الأسود وهو سراة شَنُوْءَةَ[٣].

٢ ــ وفي «معجم البلدان» عن الأصمعي : ماارتفع من بطن الرّمَةِ فهو نَجْدٌ إلى ثنايا ذاتِ عِرْقٍ[٤].

٣ ــ وفي «لسان العرب» و«تاج العروس» عن ابن الأعرابي : نَجْدُ مابين

العُذَيْب إلى ذات عِرْقٍ ، وإلى اليمامة ، وإلى اليمن ، وإلى جَبَلَيْ طَيِّء ومن المِرْبَدِ[٥] إلى وَجْرة[٦].

٤ ــ وأورد علماء اللغة ومؤلفو كتب الأمثال المثل المشهور : (أَنْجَدَ مَنْ رَأى حَضَناً) وفسروه : بأنه إذا ارتفع من الغَوْرِ وشاهد ذالك الجبل فقد بلغ نجداً .

٥ ــ بل هناك من النصوص ماهو أوضح وأصرح ، فقد ذكر البكري في «معجم مااستعجم» ــ ص ٣٠٩ ــ مانصه : تُرَبَةُ من مخاليف مكة النجدية وهي : الطائف وقرن المنازل[٧] وعكاظ ونجران وتُرَبَة وبِيشة وتَبَالة والهُجَيرة وكُتْنَة[٨] وجُرَش .

٦ ــ وقال عن أعراض نجد ــ ص ٩ ــ : أَعراضُ نجد بيشةُ وتَرْجُ[٩] وتَبالة والمراغَة ورَنْيَة . انتهى . والأَعراضُ جَمْعُ عِرْضٍ ، والعِرْضُ هو الوادي المأهول ذُو القرى والنخيل والمزارع .

٧ ــ وفي «صفة جزيرة العرب» ــ ص ٣٨٣ ــ : أَبِيدة[١٠] مابين ٱلحَرَّةِ وناهية (؟) وبها وادٍ عظيم من أعظم أعراض نجد يسمى تُرَبَة ، إذ سال سال مُدَّةً .

٨ ــ وكانت الحرة الواقعة جنوب تُرَبَة المعروفة الآن باسم (حرة البقوم) كانت تدعى حَرَّةَ نَجْدٍ ، وقد أورد الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ــ ص ٣٨٢ ــ عند ذكرها هذا البيت :

حَــرَّة نَــجْــدٍ لَاسُقِيْتِ ٱلْمَــطَرَا مِنَ ٱلكـرَاعَـيْنِ إِلَى وَادِي كَـرَا

٩ ــ وقال ــ ص ٣٨٠ ــ : بُعْطَانُ بلد لخثعم ، ينسب إليه بيشة ، وهو أحد أَعْراض نجد الكبار . انتهى . إن تلك النصوص لاتدع مجالاً للشك في أنَّ منطقة تربة معدودة من إقليم نجد ، فهي واقعة شرق الطائف بمسافة طويلة ، كما أنها شرق سراة شنوءة ، وهي بالنسبة إلى حضن الجبل الذي ورد فيه المثل المشهور تقع في الجنوب الشرقي منه ، فالجبل يقع على خط الطول : ٤١/٠٥° وتربة على خط الطول : ٤١/٣٩° فهي تقع شرقاً بالنسبة لموقع الجبل المذكور بـ(٣٤) دقيقة جغرافية ، كما أنها تقع على خط العرض : ٢١/١٣° وجبل حضن على :

٢٧/٠٢° ــ انظر كتاب «معجم الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة» للدكتور أسعد سليمان عبده (ص ١٠٦ و١٥٣).

وحدود نجد عند متقدمي الجغرافيين العرب بالنسبة إلى ذالك الجبل ــ جبل حَضَنٍ ــ تمتد غربه بمسافة بعيدة ، لأن الطائف يقع في الجنوب الغربي منه ، ولأن المرء المتجه صوب نَجْدٍ حين يجتاز الجبال المحيطة بالطائف إلى سَهْلِ رُكْبَةَ يشاهد ذالك الجبل عن بُعْدٍ ، ومن ثَمَّ يعتبر قَدْ أنجد ــ أي بلغ نجداً ــ .

وفي النصوص الأخرى مايوضح أن تُربة من أعراض نجد كَبِيشَةَ ورَنْيَةَ وتَرْجٍ .

وتدعو المناسبة لإيراد تعريف موجز لـ(تربة) يتصل بماضيها :

ضبط الاسم : تُرَبة ــ بضم الفاء وفتح الراء ، لاكما ينطق بعض العامة فيفتح التاء ، والاسم يطلق على وادٍ ذي قرى ونخل وزرع وفيه مدينة بهذا الاسم ، وهذا الوادي تنحدر فروعه من سراة غامد ، وأعلى الوادي يدعى (أُبيدة) وتحذف العامة همزته من قبيل التخفيف فتقول : (بيدة) وفروع الوادي تنحدر من أعالي السراة كما نقل صاحب «معجم البلدان» عن الْهَمَذَانِيِّ : تُرَبة وَرَنْية وبيشة هذه الثلاثة أودية ضخام أسافلها في نجد ، وأعاليها في السراة .

وقد قلت عن هذا الوادي في كتاب «في سراة غامد وزهران » ــ ص ٢١ ــ مانصه : هذا الوادي من أشهر أودية جزيرة العرب ، التي تخترق قسماً من سراة الحجاز ، منحدرة صوب نجد ، مارَّةً بمدينة تُرَبة ، فالخرمة ، ثم يجتمع بالأودية التي تحول بين استمرارها في الصحراء رمالُ نفودِ سُبَيْعٍ ، وقد يطغى سيل هذه الأودية فتخترق الرمال ، وتفيض مشرقة . ولهذا الوادي أسماء مختلفة ، كلٌّ يطلق على جزءٍ منه ، فوادي أبيدة لايشمل كل الوادي ، وإنما يطلق الآن على أعلاه ، أو بمعنى أصح أحد فروع وادي تربة ، وهذا الفرع ينحدر من بلاد بني سار ، شمال بلدة الباحة ــ قَاعِدة الإمارة ــ بقرب الدرجة ١٨/٤١° طولاً شرقياً و٢٠/٢٠° عرضاً شمالياً ، ويستمر مُشْمِلاً منحدراً من الجبال ، حتى يجتمع بوادي

عَرَدَات (عردة) الواقع غربه ، والمنحدر من جبال إبراهيم ، أعلى قِمَّةٍ في هذه السراة الذي يبلغ ارتفاعه ٢٤٠٠ متر ، ومما حوله من الجبال في بلاد بني مالك ، ويجتمع الواديان بقرب الدرجة ٢٩/٤١° طولاً و٥٥/٢٠°عرضاً ، أي أن الوادي الذي يطلق عليه اسم بِيدة ، يبلغ طوله من أعلى فروعه إلى اجتماعه بوادي عَرَدَة ١٥٠ كيلاً تقريباً ، فإذا اجتمع الواديان أُطْلِقَ عليهما وادي تُرَبَة ، كما أن اسم وادي تُرَبَة يطلق أيضاً على وادٍ عظيم يخترق سراة زهران وتقع على شواطئه أكثر قرى القبيلة ، ويقع بين وادِي أبيدة ووادي عَرَدَة ، ثم يجتمع بوادي عَرَدَة قبل اجتماع هذا الوادي بوادي أبيدة .

وأَبِيدة ــ بكسر الباء ــ لها شهرة كبيرة في كتب الأدب والتاريخ إلى عهد قريب ، ومن المعروف أن كثيراً من قبائل العرب يسهلون الهمزة ، وقد يحذفونها ، ومن هنا نشأ إسم (بِيدة) بحذف الهمزة من قبيل التسهيل ، وعُرِفَت بِيدةُ هذه بأنها من أهم البلاد التي كانَتْ تُمِدُّ غرب الجزيرة بأنواع من المنسوجات من العباءات ، والفرش ، يسمى كل واحد منها بِيْدِي ، نسبة إلى بيدة . إلى آخر ماورد في ذالك الكتاب عن وادي أبيدة .

وكان سكان وادي تُربة قديماً من فروع هوازن من مضر من عدنان وفيها ورد المثل : (عرف بَطْنِي بَطْنَ تربة) قاله عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، من بني عامر من هوازن ، فقد غاب عن قومه مدةً من الزمن ، فلما عاد إلى تُرَبَةَ وهي أرضه التي وُلِدَ فيها أَلْصَقَ بَطْنَهُ بِأَرْضِها فوجد في ذالك راحةً فقال ذالك المثل .

وفي كتاب «بلاد العرب» ــ ص ١٠٩ ــ : وللضِّبابِ بِتُرَبَةَ وهو وادٍ طوله ثلاث ليال به النخل والزرع والفواكه والأشجار ويشاركهم فيه هلال ، وعامر بن ربيعة ، والمسمَّى لهم الجِزْع جِزْعُ بني كودرة وهو مسيرة يومين على وجه واحد . انتهى . والضّباب وبنو هلال وبنو عامر من هوازن .

وبعد ظهور الإسلام أرسل الرسول ﷺ سَرِيَّة إلى تُرَبَة في شعبان سنة سبع من الهجرة بقيادة عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً إلى عَجُزِ هَوَازِنَ بِتُرَبَة ، فخرج ومعه دليل من بني هلال ، فكان يسير الليل ويَكْمُنُ النهار ، فأتى الخَبَرُ هوازِنَ

فهربوا ، وجاء عمر بن الخطاب مَحَالَّهُمْ فلم يَلْقَ منهم أحداً ، فانصرف راجعاً إلى المدينة ــ «مغازي الواقدي» ٢/٧٢٢ و«طبقات ابن سعد» ٢/١٧٧ .

أما في عصرنا الحاضر فسكان منطقة تربة البقوم ، وهم من الأزد من قحطان ، وفي المنطقة قرى كثيرة وقد قام أحدُ أبناء هذه البلاد بِوضع مؤلَّف عنها ، فصَّل فيه فروع القبيلة ، وعدَّدَ القرى ، وذكر المواضع الشهيرة ، وهو الأخ ردَّاد بن ناصر البقمي واسم كتابه «أمكنة باب الحجاز ونسب قبيلة البقوم» .

ولعل من أشهر حوادث عصرنا وقعة تُرَبَة التي حدثت سنة ١٣٣٧هـ فكانت مفتاح خَيْرٍ لهذه المملكة ، بحيث كانت من وسائل توحيد أجزائها ، وشمولها بحكم عادلٍ هيأ لها الأَمْنَ والاستقرار ، وقَوَّى أواصر الإخاء والمحبة في نفوس مواطنيها .

وعلى ذكر تلك الحادثة يحسن التنبيه إلى خطإٍ وقع فيه الأستاذ أمين الريحاني في كتابه «نجد وملحقاته» ففي ص ٢٤٩ منشورات الفاخرية في الرياض قال مانصه : تُربة والخرمة : لابُدَّ عند هذا الحدِّ من كلمة هاتين البلدتين ، وقد أثارتا الحربَ بين نجد والحجاز . الخرمة هي على مسافة خمسين ميلاً من حَضَنٍ إلى الشرق ، وتُرَبة هي على مسافة خمسة وسبعين ميلاً منه إلى الجنوب ، وجبل حَضَنٍ هذا هو في التقاليد الحدُّ الفاصل بين نجد والحجاز ، فقد جاء في الحديث : من رأى حَضَناً فقد أنجد .

من هذه الوجهة إذَنْ تكون البلدتان في نجد . انتهى إلى آخر ماذكر ، فقوله : (فقد جاء في الحديث) خطأ إذ ذالك القول مَثَلٌ وليس حديثاً نبوياً ، ولعل هذا ناشيء عن جهله بمدلول كلمة (الحديث) عند علماء المسلمين .

حمد الجاسر

[الحواشي] :

١ ــ العُذَيب : على مقربة من الكوفة في حدود العراق .
٢ ــ جُرَش : الموضع الأثري الواقع بقرب مدينة أبها

ما اتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع
للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)
ـ ٥٠ ـ

٢٣٧ ـ بابَ جَيْشٍ ، وحُبْسٍ وحِبْسٍ ، وحَيْسٍ ، وحَبَشٍ ، وخَيْسٍ[١]

أَمَّا الأَوَّلُ : ـ بَعْدَ الْجِيمِ الْمَفْتُوحَةِ يَآءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ ، وآخِرُهُ شِينٌ مُعْجَمَةٌ : أُوْلاَتُ الْجَيْشِ قُرْبَ الْمَدِيْنَةِ ، وَاد بَيْنَ ذِي الْحُلَيْفَةِ وَبَرْثَان[٢] .

وَهُو إِحْدَى مَراحِلِ رسُولِ الله ﷺ إِلَى بَدْرٍ وَإِحْدَى مَرَاحِلِهِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، وَهُنَاكَ حبَسَ رَسُولُ الله ﷺ فِي اِبْتِغَاءِ عِقْدِ عَائِشَةَ رَضي الله عَنْهَا ، ونَزَلَتْ آيَةُ التَّيَمُّمِ[٣] .

وأَمَّا الثَّانِي : أَوَّلُهُ حَآءٌ مُهْمَلَةٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا بَآءٌ مُوَحَّدَةٌ سَاكِنَةٌ ، وَآخِرُهُ سِينٌ مُهْمَلَةٌ : مَوْضِعٌ بَيْنَ حَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ وَبَيْنَ السُّوَارِقِيَّةِ . وَفِي حَدِيْثِ عَبْدِالله بْنِ حُبْشِي : تَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حُبْسِ سَيَل[٤] .

وَأَمَّا الثَّالِثُ : بِكَسْرِ الْحَآءِ ، والْبَاقِي نَحْوُ الَّذِيْ قَبْلَهُ : جَبَلٌ فِي دِيَارِ أَسَدٍ .

وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ : وَبِلاَدُ أَسَدٍ الْحِبْسُ وَالْقَنَانُ ، وَأَبَانُ الْأَبْيَضُ ، وأَبَانُ الْأَسْوَدُ إِلَى الرُّمَةِ ، والْحِمَيَانِ حِمَى ضَرِيَّةَ ، وَحِمَى الرَّبَذَةِ ، وَالْدوُّ ، والصَّمَّانُ ، وَالدَّهْنَاءُ فِيْ شِقِّ بَنِي تَمِيْمٍ[٦] .

---

٣ ـ أزد شَنُودة : فرع من فروع الأزد الذين بقاباهم رجال الحجْر وغامد وزهران وغيرهم .
٤ ـ ذات عِرْق : تعرف الآن باسم الصَّرِيبة في أعلى وادي نخلة اليمانية .
٥ ـ الْمِرْبَدُ : هو مربد البصرة السوق المعروف قديماً .
٦ ـ وَجْرَةُ : جانب من صحراء ركبة .
٧ ـ قرن المنازل : هو السيل الكبير
٨ ـ الهُجيرة وكتنة : موضعان في بلاد قحطان ورد تحديد موقعهما في محلة «العرب» في مواضع كثيرة
٩ ـ تَرْجُ : واد مشهور من روافد وادي تربة تحدث عنه فصيلة الدكتور جابر الطيب بن علي في محلة «العرب» .
١٠ ـ أبيدة : ينطق الآن (بيدة) وهو أعلى وادي تربة ، تجد وصفاً مفصلاً له في كتاب «في سراة غامد وزهران»
١١ ـ بُعْطَان : من روافد وادي بيشة .

وَأَمَّا الرَّابِعُ : بِفَتْحِ ٱلْحَآءِ تَلِيْهَا يَآءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ ساكِنَةٌ ، وَآخِرُهُ سِيْنٌ مُهْمَلَةٌ : شِعْبُ ٱلْحَيْسِ بِالشَّرْبَةِ فِي دِيَارِ فَزَارَةَ ، قِيْلَ : سُمِّيَ بِهِ لِأَن حَمَلَ بْنَ بَدْرٍ مَلأَ دِلاَءً مِنْ ٱلْحَيْسِ وَوَضَعَهَا فِي هٰذَا الشِّعْبِ ، وَلَهُ قِصَّةٌ(٧) .

وأَمَّا ٱلْخَامِسُ : بَعْدَ الْحَآءِ بَآءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ وآخِرُهُ شِيْنٌ مُعْجَمَةٌ : دَرْبُ الْحَبَشِ بِالْبَصْرَةِ ، فِي خُطَّةِ هُذَيْلٍ ، نُسِبَ إِلَى حَبَشٍ أَسْكَنَهُمْ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ بِالْبَصْرَةِ ، وَهُنَاكَ مَسْجِدُ أَبِي بَكْرٍ ٱلْهُذَلِيِّ(٨) .

وَقَصْرُ حَبَشٍ مَوْضِعٌ قُرْبَ تَكْرِيْتَ فِيْهِ مَزَارِعُ شُرْبُهَا مِنَ الإِسْحَاقِيِّ(٩) .

وأَمَّا السَّادِسُ : أَوَّلُهُ خَآءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ ، وَآخِرُهُ سِيْنٌ مُهْمَلَةٌ : مِنْ بُلْدَانِ صَعِيدِ مِصْرَ ، مِنْ فُتُوحِ خَارِجَةَ بْنِ حُذَافَةَ ، إِلَيْهَا يُنْسَبُ الْبَقَرُ الْخَيْسِيَّةُ(١٠) .

---

(١) في كِتَاب نَصْرٍ : (بَابُ ٱلْحَسَنِ ، وٱلْحَيْسِ ، وٱلْخَيْسِ ، وٱلْحَبَشِ ، وٱلْحَبْسِ ، وٱلْجَيْشِ ، وَحَيْشٍ ، وَحَشْرٍ ، وَجَشْرٍ) .

(١) ٱلاَتُ ٱلْجَيْشِ : عِنْدَ نَصْرٍ : ذَاتُ ٱلْجَيْشِ : مَوْضِعٌ قُرْبَ ٱلْمَدِيْنَةِ . انتهى . وَلَقَدْ عُنِيَ الْمُتَقَدِّمُونَ بِتَحْدِيْدِ هٰذَا الْمَوْضِعِ بِالنِّسْبَةِ لِذِي الْحُلَيْفَةِ مِيْقَاتِ الإِحْرَامِ ، لِوُقُوعِهِ فِي طَرِيقِ الرَّسُولِ ﷺ فِي غَزْوَتَيْ بَدْرٍ وبني الْمُصْطَلِقِ ، ولِنُزُوْلِ آيَةِ التَّيَمُّمِ فِيهِ ، حِيْنَ فَقَدَتْ عائِشَةُ ــ رضي الله عنها ــ عِقْدَهَا فَبَقِيَ رَسُولُ الله ﷺ ــ ومعه الْجَيْشُ عَلَى غَيْرِ ماءٍ لِلْبَحْثِ عَنِ الْعِقْدِ ، ولكونه من حدود حرم المدينة وقَدْ حَدَّدَ الْمُتَقَدِّمُونَ المسافَةَ بَيْنَ ذِي الْحُلَيْفَةِ ــ مَكَانِ الإِحْرَامِ الْمَعْرُوفِ ــ وبَيْنَ ذات الْجَيْشِ الَّتِي جُهِلَ اسْمُهَا الآنَ بِمَا بَيْنَ الْمِيْلَيْنِ إِلى نَحْوِ الْعَشَرةِ ــ كما ترى هٰذا في « معجم ما استعجم » و « وفَاءِ الوفَاء » ولَعَلَّ هٰذا التَّفَاوُتَ في التَّحْدِيْدِ ناشِئٌ بِالنَّظَرِ لجوانب الْمَوْضِعِ ، فما كان منها أَقْرَبَ إلى ذِي ٱلْحُلَيْفَةِ فالْمَسَافَةُ بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ قَصِيْرَةٌ ، وَمَا كَانَ بَعِيْدًا فمسافتُهُ أَبْعَدُ ، وقَدْ أوردَ السُّمْهُودِيُّ أَحادِيثَ وأَخْبَارًا كثيرةً في تَحْدِيْدِ حَرَمِ المدينة في « وَفَاءِ الوفاء » ١/٩٧ ــ ومنها عَنْ كَعْبِ بْنِ مالِك : أَرْسَلَنِي رسُولُ الله ﷺ فَأَعْلَمْتُ عَلَى الْحَرَمِ ، عَلَى شَرَفِ ذَات الْجَيْشِ ، وعَلَى شَرِيْبٍ ، وعَلَى أَشْرَافِ نَخِيض ، ونَقَلَ في شَرْحِ ذالك عن ابْنِ زُبَالَةَ ذَاتُ الْجَيْشِ لَقَبُ ثنيَّةِ الْحُفَيْرَةِ مِنْ طَرِيْقِ مكَّةَ والْمَدِينةِ . . كَمَا نَقَلَ عَنِ الهَجَرِيِّ : ذَاتُ الْجَيْشِ شُعْبَةٌ عَلَى يَمِينِ الْخَارِجِ إِلى مَكَّةَ بِحِذَاءِ الْحُفَيْرَةِ وصَدْرُ الْحُفَيْرَةِ يَدْفَعُ في ذَاتِ الْجَيْشِ ، وذاتُ الْجَيْشِ تَدْفَعُ في وَادِي أَبِي كَبِيْرٍ فوق مَسْجِدِ المحرم ، والْمُعَرَّس ، وطرفُ أَعْظَمِ الغربيِّ يَدْفَعُ في ذاتِ الْجَيْشِ . وأَضَافَ السُّمْهُودِيُّ : أَعْظَمُ ــ ويُقَالُ عَظْم ــ جَبَلٌ مَعْرُوف الْيَومَ عَلَى جادَّةِ مكةَ قالَ الْمَطَرِيُّ : وهُوَ فِي شَامِيِّ ذَاتِ الْجَيْشِ . وقال السُّمْهُودِيُّ ــ ص ٩٩ ــ تعليقا على قَوْلِ ابن زَبَالَةَ أَنَّ ذاتَ الْجَيْشِ لَقَبُ ثَنِيَّةِ الحُفَيرَةِ : فَلَعَلَّهَا ثَنِيَّةُ الْجَبَلِ الْمُسَمَّى الْيَوْمَ بِـ (مُفَرِّح) وَهُنَاكَ وادٍ قَبْلَ وَادِي تُرْبانَ يُسَمُّونَهُ سُهْمَانَ يَنْطبِقُ عَلَيْهِ الْوَصْفُ الْمَذْكُورُ ، وهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ مَنْ قَالَ : ذَاتُ الْجَيْشِ وادٍ بَيْنَ ذِي الْحُلَيْفَةِ وتُرْبَانَ ، فَأُطْلِقَ اسْمُهَا عَلَى الْوادِي الَّتِي هِيَ فِيهِ . انْتَهَى ونَقَلَ السُّمْهُودِيُّ أَيْضاً عَنِ الْمَطَرِيِّ : هِيَ وَسَطَ الْبَيْدَاءِ ، والْبَيْدَاءُ هِيَ الَّتِي إِذَا رَحَلَ الْحاجُّ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ اسْتَقْبَلُوهَا مُصْعِدِيْنَ إِلَى جِهَةِ الْغَرْبِ ، وهِيَ عَلَى جادَّةِ الطَّرِيْقِ .

انتهى . واضِيفُ : يَظْهَرُ أَنَّ ثَنِيَّةَ الْخَفِيرةِ الَّتِي يَرَى ابن زبالة أَنَّها ذاتَ الْجَيْش هِيَ الرِّيْعُ الذي في جَبَلِ مُفَرِّح (مُفَرِّحات) وسَيْلُ هٰذا الْجَبَل ما اتَّجَهَ مِنْهُ شَرقًا اجْتَمَعَ بِسَيْلِ وَادِي الْعَقِيق ، وهُوَ ذات الجَيْش ، وَمَا اتَّجَهَ غَرْبًا جَنُوبيًا انْحَدَرَ فِي وادِي تُرْبَان ، وأَعْلَى مَسِيل ذات الجَيْش يَبْعُدُ عَنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ نَحْوَ ثماني عَشْرَةَ كِيْلا (أَيْ ما يقربُ مِنْ عَشرَةِ أَمْيَال) وأَسْفَلُ الْوادِي مُتَّصِلٌ بِالعَقِيق على مَقْرَبَةٍ مِنْ مَحَلِّ الإِحْرَام ، وبِهٰذا يَتَّضِحُ التَّوْفِيقُ بَيْنَ ما نقل ياقُوتُ في « معجم البلدان » : ذَاتُ الْجَيْش جَعَلَها بَعْضُهُمْ مِنَ الْعَقِيقِ بِالْمَدِينَة ، وبَيْنَ الأَقْوَالِ الأُخْرَى الَّتِي يُفْهَمُ مِنْهَا قُرْبُهَا مِنْ تُرْبَان .

وذَاتُ الْجَيْش مِنَ المواضِعِ التي تَغَنَّى بعض الشعراءِ بِذِكْرِها ، عُرْوة بْنُ أُذَيْنَةَ وجعفر بْن الزُّبَيْر . ومُفَرِّحُ مِنَ الأَسْمَاءِ الْحَدِيْثَةَ ، حَيْثُ تُشَاهَدُ مِنْ مُرْتفعَاته أَنْوَارُ الْمَسْجِدِ النبويّ ، فَيُفْرَحُ الزُّوَّارُ .

(٢) بَرْثَانُ : كذا ضبطه الحازمي فيما تقدم من كتابه ، وكَذَا وَرَدَ في مَخطوطَتَيْ كتابه في هذا الموضع . وكذا ضَبَطَهُ ياقوتُ في « معجم البلدان » في حَرْفَ الْبَاءِ وبَعْدَ الرَّاءِ السَّاكِنَةِ ثاءً مُثَلَّثَةً وألفَ ونُونٌ ، وقال : وَادٍ بَيْنَ مَلَلٍ وأَلَاتِ الجَيْش ، كان عَلَيْهِ طَرِيْقُ النَّبِيِّ ﷺ إلى بَدْرٍ ، وبِهِ كَانَ أَحَدُ مَنَازِلِهِ . انتهى . وقد تَقَدَّمَ التَّنْبِيْهُ على خَطَإِ هٰذا الضَّبْطِ في الكلام عَلَى (بَاب بَرْثَانَ وبَرَّتان) في « العرب » س ١٤ ص ٨٩٧ ــ وقَدْ تَأَثَّرَ ياقوتُ بِضَبْطِ الْحَازِمِيِّ في هٰذَا الْبَاب ، ولٰكِنَّهُ ذكر الاسم صَحِيحًا في موضعهِ مِنْ حَرْفِ التَّاءِ (تُرْبَان) فَقَالَ : وتُرْبَانُ أَيْضا قَالَ أَبو زِيَادٍ الكِلَابِيُّ : هُوَ وادٍ بَيْنَ ذَاتِ الْجَيْش ومَلَلٍ وَالسَّيَالَةِ ، عَلَى الْمَحَجَّةِ نَفْسِهَا ، فِيْهِ مِيَاه كَثِيرَةٌ مَرِيَّةٌ ، نَزَلَهَا رسولُ الله ﷺ في غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وبِهَا كَانَ مَنْزِلُ عُرْوَةَ بْنِ أُذَيْنَةَ الشاعَر الْكِنَانِي (الكلابي خطأ) ثم أَوْرَدَ شِعْراً لِكُثَيِّرٍ وغيْرِه .

ولَمَّا أَوْرَدَ السُّمْهُودِيُّ في « وَفَاءِ الوفاءِ » ــ ١١٤٦ ــ كَلَامَ الْحَازِمِيِّ وَمَنْ تَابَعَهُ في (بَرْثَان) أَضَافَ : ولَعَلَّهُ تَصْحِيفُ تُرْبَانَ ــ بالتَّاءِ الْمُثَنَّاة ــ قالَهُ الْمَجْدُ ، وهُوَ كَمَا ظَنَّ لِمَا سَيَأْتِي ، يَعْنِي مَجْدَ الدِّيْنِ الْفَيْرُوزآبادِي في كِتَابِهِ « المغانم المُطَابَة في مَعَالِمِ طَابَةَ » ثُمَّ أَوْرَدَ السُّمْهُودِيُّ في رَسْمِ تُرْبَانَ بعض مَا ذَكَرَ ياقُوتُ عَنْ أبي زِيَادٍ ، وأَضافَ : وقَالَ ابْنُ هِشَامٍ في الْمَسِيْرِ إِلَى بَدْرٍ : قال ابنُ إسحاقَ : فَسَلَكَ عَلَى نَقْبِ المدْيِنَةِ ، ثُمَ على الْعَقِيقِ ثُمَّ عَلَى ذِي الْحُلَيْفَة ، ثم عَلَى أَوْلَاتِ الْجَيْش ــ قالَ ابنُ هِشَامٍ : ذَاتِ الْجَيْش ، ثُمَّ مَرَّ عَلَى تُرْبَانَ ، ثُمَّ عَلَى مَلَلٍ . هٰكَذا في أَصْلٍ مُعْتَمَدٍ . وتَقَدَّمَ في حُدُود الْحَرَمِ أَنَّ ذَاتَ الْجَيْشِ نَقْبُ ثَنِيَّةِ الْخُفَيْرَةِ ، قال الأَسَدِيُّ : بَيْنَ الْخُفَيرَةِ وبَيْنَ مَلَلٍ سِتَّةُ أَمْيَال انتهى ، فَتُرْبَانُ فِيْمَا بَيْنَ ذالِكَ وبَيْنَهُ وبَيْنَ ثَنِيَّةِ مُفَرِّحٍ مَوْضِعٌ يُقَالُ لَهُ سُهَمان .

وأُضِيفُ إِلَى مَاتَقَدَّمَ أَنَّ وادِي تُرْبَان لَايَزَالُ مَعْرُوفًا ، تَمْتَدُّ فُرُوْعُهُ مِنَ الْمُرْتَفَعَاتِ الْمَعْرُوفَةِ باسم (مُفَرِّحَاتٍ) في اتِّجَاهِ الْغَرب حتَّى يَجْتَمِعَ بِوادِي مَلَلٍ الْمَعْرُوف أَيْضا . ويَبْعُدُ تُرْبَانُ عَنْ المدِيْنَةِ في وَسَطِهِ بنحو ٢٥ كِيلًا .

(٣) خَبَرُ الْغَزْوَتَيْنِ مَعَ وَصْفِ الطَّرِيْقِ النَّبَوِيِّ فِيْهِمَا . وقِصَّةُ عِقْدِ عائشةَ ونُزُولُ آيَةِ التَّيَمُّمِ ، كُلُّ ذالِكَ مُفَصَّلٌ في كُتُبِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّة ، وفي كُتُبِ التَّفْسِيْرِ .

(٤) حُبْسُ سَيَل ــ أَوْرَدَهُ نَصْرٌ مَفْتُوحَ الْحَاءِ في مخطوطة كِتَابِهِ قائِلًا : وحَبْسُ سَيَل : إِحْدَى حَرَّتَيْ سُلَيْمٍ ، وَهُمَا حَرَّتَانِ بَيْنَهُمَا فَضَاءٌ ، كِلْتَاهُمَا أَقَلُّ مِنْ مِيْلَيْنِ ، وقِيْلَ : هُوَ بَيْنَ حَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ وبَيْنَ السُّوَارِقِيَّةِ ، فيهِ حَدِيْثُ عَبْدِالله بْنِ حُبْشِيٍّ : تَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حُبْسِ سَيل ــ انتهى ــ وفوق الْيَاءِ مِنْ مَخْطُوطَةِ نَصْرٍ مِنْ كَلِمَةِ (سَيْل) سُكُوْنٌ ، مَعَ أَنَّ ياقوتًا ضَبَطَهَا بِالْفَتْحِ وقال إِنَّ الإِسْمَ مُرْتَجَلٌ ، وأَوْرَدَ في « المعجم » قَوْلَيْ نَصْرٍ والْحَازِمِيِّ غَيْرَ مَنْسُوبَيْنِ ، مَعَ قَوْلَيْنِ لِلأَصْمَعي والزَّمَخْشَرِيِّ يَتَعَلَّقَانِ بِجَبَلِ الْحَبْسِ الَّذِي سَيَأْتِي الكَلَامُ عَلَيْهِ بَعْدَ هٰذَا . ويَظْهَرُ أَنَّ حُبْسَ سَيَلَ هو الَّذِي سِمَّاهُ الْهَجَرِيُّ حُبْسَ عَوَالِ ، إِذْ قَالَ : حَرَّةُ بَنِي سُلَيْمٍ تَبْتَدِئُ مِنْ

ذَاتِ عِرْقٍ وَرُهَاط ، ثُمَّ تَنْقَطِعُ بِحُبْسِ عُوَالٍ ، وَرَاءَ تَيْبَ ، إِلَىٰ قُرْبِ الطَّرَفِ » أَبُو عَلِي الهجري » ـ ٢٣١ ـ وقَوْلُ نَصْرٍ عَنْ حَرَّتَيْ بَنِي سُلَيْم : كِلْتَاهُمَا أَقَلُّ مِنْ مِيلَيْنِ لَيْسَ صَحِيحًا فَحَرَّةُ بَنِي سُلَيْم مُمْتَدَّةٌ مِن قُرْبِ ذاتِ عِرْقٍ (الضَّرِيبة) إِلَى مايقْرُبُ مِنَ الطَّرَفِ (الصُّوَيْدِرَة) شَرْقَ الْمَدِيْنَةِ ، ويتخَلَّلُهَا أَوْدِيَةٌ واسِعَةٌ . ولَعَلَّ مُرَادَ نَصْرٍ الْفَضَاءُ الْفَاصِلُ بَيْنَهَا وبَيْنَ ما يُعْرَفُ الآنَ باسْمِ حَرَّةِ هَرْمَة ، وأنَ هٰذِه كانَتْ تُعْتَبَرُ حَرَّةً ثانِيةً لِبَنِي سُلَيْم ، وكانَتْ تُعْرَفُ بِحَزْمِ بنِي عُوَالٍ ـ كَمَا فِي رِسَالَةِ « أسماء جِبَالِ تهامَةَ » الغَرَّام ـ ص ٤٢٤ ـ ونَصُّهُ : الطَّرَفُ لِمَنْ أَمَّ المدِيْنَةَ ، تَكْتَنِفُهُ ثلاثةُ جبال أَحَدُهَا ظَلِمُ ، وحَزْمُ بَنِي عُوَالٍ ، وهُمَا جَمِيعًا لَغَطَفَانَ ، وفِي عُوَالٍ آبَارٌ مِنْهَا بِئْرُ أُلَيَّة ، وبِئْرُ هَرْمَةَ ، وبِئْرُ عُمَيْرٍ وَبِئْرُ السِّدْرَة . انتهى وقَدْ رُسِمَ اسْمُ هَذَا الْحَزْمِ فِي المصوَّرِ الجغرافيِّ (حَرَّة كرماء) تحريف هَرْمة ، ويَظْهر أن هٰذِهِ النَّار هي التِي تَحَدَّثَ عنها مُؤَرِّخُو الْمَدِينَةِ ، وفَصَّلَ خَبرَهَا السمْهُودِيُّ فِي « وفاء الوفاء » ـ ص ١٣٩ إلى ١٥٠ ، ومُلَخَّصُ الْخَبَرِ أَنَّهُ فِي أَوَّلِ شهْرِ جُمادَى الآخرة سَنَةَ أَرْبَعٍ وخَمْسِينَ وَستِّ مِئَةٍ حدَثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيْدَةٌ مُتَتابِعَةٌ أَعْقَبَهَا فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنَ الشَّهْرِ ثَوْرَةُ بُرْكَانٍ صَارَ يَقْذِفُ بِالنَّارِ الشدِيْدَةِ والدُّخانِ الْمُرْتَفِعِ الْكَثِيْفِ فِي صَدْرِ وَادٍ يُسَمَّى الْأُحَيْلَيْن ، عَلَى طَرِيْقِ السُّوارِقِيَّةِ عَلَى مَرْحَلَةٍ مُتوسِّطَةٍ مِنَ الْمَدِيْنَةِ ، ولَمْ تَزَلِ النَّارُ تَسِيْلُ مِنْ ذالِكَ الْبُرْكانِ ، مُنْحَدِرَةً مَعَ وَادِي الشَّظَاةِ حتَّى تَجاوَزَتْ حَرَّةَ بنِي قُرَيْظَةَ ، وَحَاذَتْ جَبَلَ أُحُدٍ ، فَخَمَدَ ثَوَرَانُ الْبُرْكانِ ، وقَدْ تَرَكَتِ النَّارُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الأحجار ما يَبْلُغُ ارْتِفَاعُ رُمْحٍ طَوِيْلٍ عَلَى الْأَرْضِ الصَّلْبَةِ ، وانْقَطَعَ وَادِي الشَّظَاةِ بِسَبَبِ ذَالِكَ وصَارَ إِذَ سَالَ يَنْحَبِسُ سَيْلُهُ خَلْفَ ما تَرَاكَمَ فيه مِنْ أَحْجَارٍ ، وصَارَ هٰذا السَّدُّ يُعْرَفُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَدِيْنَةِ بِـ (الْحُبْس) ويبْعُدُ عَنِ المدِيْنَة نحو ٣٥ كيلا ، وقَدْ جُدِّدَ فَعُرِفَ بِسَدِّ العَاقُول ، ويَظْهَرُ أَنَّهُ سَبَقَ أَنْ أُنْشِئَ سَدٌّ فِي هٰذَا الْمَوضِعِ قَبْلَ ذَالِكَ إِذْ قَالَ السُّمْهُودِيُّ : وَأَهْلُ الْمَدِيْنَةِ يُسَمُّونَ السَّدَّ فِيْمَا أَحْدَثَتْهُ النَّارُ بِالْحُبْس ، وفِي كَلَامِ يَاقُوتٍ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ كَانَ يُسَمَّى بِالسَّدِّ قَبْلَ هٰذِه النَّارِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهَا ، وَمَعَ ذَالِكَ قَالَ : إِنَّ أَعْلَى وَادِي قَنَاةَ عِنْدَ السَّدِّ يُسَمَّى الشَّظَاة . انتهى . ولَمْ أَرَ هٰذا فِي مَوْضِعِه مِنْ « معجم البلدان » ولكنَّ عَرَّامًا فِي رِسَالَةِ « أَسْمَاء جِبَالِ تهامَةَ » ذكر السَّدَّ ، وأَنَّ مِنْهُ قَنَاةً إِلَىٰ قُبَاء ، وأَنَّ شَوْرَانَ يُشْرِفُ عَلَى السَّدِّ . ومَوْضِعُ حُدُوْثِ الْبُرْكَانِ يَقْرُبُ مِنَ المكان الوارِدِ فِي كَلَامِي الْهَجَرِيِّ ونصْرٍ ، لا الْقَولَ بأَنَّه بَيْنَ حَرَّةِ بَنِي سُلَيْم وبَيْنَ السُّوارِقِيَّة ، فَهُوَ دُونَ السُّوارِقِيَّة بِمَسافَةٍ طَوِيْلَةٍ .

وفِي « لسان العرب » فِي الحدِيْثِ أَنَّهُ سَأَلَ : أَيْنَ حِبْسُ سَيَلَ ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهُ نَارٌ تُضِيءُ مِنْهَا أَعْنَاقُ الإِبِلِ هُوَ مِنْ ذالِكَ ، وقِيلَ : هُوَ فُلُوقٌ فِي الْحَرَّةِ يَجْتَمِعُ فِيْهَا ماءٌ لَوْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ أُمَّةٌ لَوَسِعَهُمْ . وحِبْسُ سَيَلَ : اسْمُ مَوْضِعٍ بِحَرَّةِ بنِي سُلَيْم ، بَيْنَهَا وبَيْنَ السُّوارِقِيَّة مَسِيْرَةُ يَوْم إلى آخر ما ذكر فأَنْتَ تَرَاه حدَّد المسافَةَ (بينها) ـ ولَعَلَّهُ يَقْصُدُ الْبُقْعَةَ ـ وبَيْنَ السُّوارِقِيَّة بمسيرة يوم ، وقَوْلُهُ ـ فِي تَفْسِيرِ الْحَدِيْثِ : هُوَ مِنْ ذالِكَ ، رَاجِعٌ إِلَىٰ قَوْلِهِ فِي مَعْنَى الحِبْسِ : هُوَ كُلُّ مَا سُدَّ بِهِ مَجْرَى الْوَادِي لِيُحْبَسَ الْمَاءَ لِيشرَبَ الْقَوْمُ ويَسْقُوا أَمْوَالَهُمْ .

وفِي الطَّرَفِ الْغَرْبِيِّ الْجَنُوبِيِّ مِنْ حَزْمِ بَنِي عَوَالٍ (حَرَّة الْهَرْمَة) حَيْثُ تُجْتَمَعُ أَوْدِيَة الْجَنَاكِيَّة (نَخْل قَدِيمًا) والشُّقْرَةِ وغَيْرِهَا ، شمال قاعِ حَضْوَضِي تَبْرُزُ آثارٌ بُرْكَانِيَّةٌ (بقرب خطِّ العرض : ٢٠ / ٢٤٠° وخطِّ الطُّوْل : ٥ / ٤٠°) لَيْس مِنَ الْمُسْتَبْعَد أَنْ تكونَ آثارُ نَارِ حُبْسِ سَيَلَ .

وَقَدْ أَغْرَبَ صاحِبُ « تاج العروس » فِي مُسْتَدْرِكِهِ إِذْ قال : وَحَبْسُ سَيَلَ : إِحْدَىٰ قُرَى سُلَيْم وهُمَا حَرَّتَانِ ـ إلى آخر مافي كتاب نَصْرٍ .

وأضافَ : وقِيلَ هُوَ طَرِيقٌ فِي الْحَرَّةِ ، يَجْتَمِعُ فِيْ مَاءٌ لَوْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ أُمَّةٌ لَوَسِعَتْهُمْ . انتهى فقوله : هُو إِحْدَى قُرَى سُلَيْم لاشك أنه تحريف : (إِحْدى حَرَّتَي سُلَيْم ، كما فِي كِتَاب نَصْرٍ . والقولُ بأَنَّهُ طريقٌ فِي الْحَرَّة يَجْتَمِعُ فِيهِ الْمَاءُ قريب مِنَ الصَّواب إِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ ، كَما يفهَمُ مِنَ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ لِلْكَلِمَةِ (حُبْسُ

سَيَلَ) وهناك قاع عظيمٌ تجتمعُ فيه سُيُولُ أودية وشِعابٍ كثيرة يُعْرَفُ بِقَاعِ حَضُوضَى ينطبق عليه الوصفُ .

(٥) جُبْسُ : قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا بِفَتْحِ الْحَاءِ وسُكُونِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وسِينُهُ مُهْمَلَةٌ ــ وقِيلَ : بِضَمِّ الْحَاءِ ، وقِيل: بِالْكَسْرِ ــ : جَبَلٌ فِي دِيَارِ بَنِي أَسَدٍ . انتهى . وَذَكَرَ ياقُوتُ فِي «المعجم» فَرْقاً بَيْنَ الْجُبْسِ ــ بِالضَّمِّ ــ والْجِبْسِ بِالكَسْرِ أَوِ الفَتْحِ ــ فَقَالَ عَنِ الْأَوَّلِ : الْجُبْسُ ــ بِالضَّمِّ ثم السُّكُونِ والسِّينُ مُهْمَلَة جَمْعُ الْجَبْسِ ، يقعُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَقَفَهُ صاحِبُهُ وَقْفاً مُحَرَّماً . قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : الْجُبْسُ ــ بِالضَّمِّ ــ جَبَلٌ لِبَنِي قُرَّةَ ثم أَوْرَدَ قَوْلَيِ الحازميِّ ونَصْرٍ ــ والأَوَّلُ غير مُسَمًّى ــ فِي حُبْسِ سَيَلَ ــ وقَوْلاً لِلأَصْمَعِي : الْجُبْسُ جَبَلٌ مُشْرِفٌ على السَّلْمَاءِ (؟) لَوِ انْقَلَبَ لَوَقَعَ عَلَيْهِمْ ، وأَنْشَدَ بيتَيْنِ مِنَ الشِّعْرِ وقَالَ عَنِ الثَّانِي: الْجِبْسُ ــ بِالْكَسْرِ ويُرْوَى بِالْفَتْحِ ــ الجِبْسُ بِالْكَسْرِ مِثْلُ الْمَصْنَعَةِ وجَمْعُهُ أَحْبَاسٌ تُجْعَلُ لِلْمَاءِ ، والْجِبْسُ الْمَاءُ الْمُسْتَنْقَعُ . وقِيلَ: الجِبْسُ حِجَارَةٌ تُبْنَى عَلَى مَجْرَى الْمَاءِ لِتَحْبِسَهُ لِلسَّارِيَةِ (؟) ويُسَمَّى الْمَاءُ حِبْساً ، ثُمَّ أَوْرَدَ قَوْلَ الأَصْمَعِيِّ الَّذِي نَقَلَهُ الحازِمِيُّ عَنِ ابْنِ قُتَيْبَةَ . ويُلاَحَظ وقوعُ تطبيع في (السلماء) صَوَابُهَا : (السَّلْمَاءُ) ويظهر أن ياقوتا نَقَلَ كلامَ الأَصْمَعِي مِنْ كتابه « جزيرة العرب» أو «مياه العرب» وجُلُّ نُصُوصه وَرَدَتْ فِي كتاب «بلاد الْعَرَبِ» للغُدَةِ الأصفهانيِّ ، ففيه ــ ٣٦ ــ فِي الكلام على بلادِ بني أَسَد ــ: ولهُمُ السَّلْمَاءُ أيضاً لبني قُرَّةَ ، والنَّاجِيَةُ لِبَنِي قُرَّةَ ، فَأَمَّا السَّلْمَاءُ ففِي عَرْضِ القُنَّةِ ، وهي في عِطْفِ الحَبْسِ ــ أَيْ بِلزْقِهِ ــ لَو انْقَلَبَ لَوَقَعَ عَلَيْهِم ، وهي مِنْهُ عَلَى فَرْسَخَيْنِ ، والحَبْسُ جَبَلٌ لَهُمْ . انتهى وَالْبَيْتَانِ اللَّذَانِ أَوْرَدَ ياقوت وردَا في كتاب «بلاد العرب» ــ ٣٨ ــ وبِتَتَبُّعِ تَحْدِيْدَ الأَمْكِنَةِ الَّتِي بِقُرْبِ هذَا الْجَبَلِ يَتَّضِحُ أَنَّهُ فِي أَعْلَى بِلاَدِ الْقَصِيْمِ ، ولكِنْ لاَ يُعْرَفُ هُنَاكَ جَبَلٌ بِهَذَا الاسْمِ ، وأَغْلَبُ أَوْصَافِهِ تَنْطَبِقُ عَلَى مَايُعْرَفُ الآنَ بِاسْمِ (سَمَارِ بُقَيْعَاءَ) بِالإِضَافَةِ إِلَى هِجْرَةِ بُقَيْعَاءَ الْوَاقعة في وَسَطِهِ ، شَرْقَ بَلْدَةِ الفُوَارَةِ ، ولِزِيادَةِ الإِيْضَاحِ يَحْسُنُ الرُّجُوعُ إِلَى كِتَابِ «بِلاَدِ الْقَصِيم» أَحَدِ أَقْسَامِ «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ــ ١١٦٢ وَمَابَعْدَهَا ــ وكَأَنَّ كلمة الْحَبْسِ وَصْفٌ فِي الأَصْلِ ، إِذْ فِي «تاج العروس»: الْحَبْسُ الجَبَلُ الأَسْوَدُ .

(٦) أَمَّا مَانَقَلَ الْقُتَيْبِيُّ ــ الْعَالِمُ الْمَشْهُورُ عَبْدُ الله بنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَة (٢١٣/٢٧٦هـ) ذُو التَّصَانِيفِ الْمَعْرُوفَةِ كـ «المعارف» و«عُيُونِ الأَخْبَارِ» و«أَدَبِ الكاتِبِ» و«غريب الْحَدِيْثِ» وغَيْرِها ــ عَنِ الأَصْمَعِي فَيَسْتَدْعِي الْوُقُوفَ عِنْدَهُ ، إِذْ يُفْهَمُ مِنْهُ إِضَافَةُ أَمْكِنَةٍ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ، فَالْحَبْسُ والقَنَانُ وأَبَانَانِ مِنْ بلادِ بني أَسَد ، ولكِنَّ الحِمَيَانِ لَيْسَا مِنْ بِلاَدِ بَنِي تَمِيم ، فَحِمَى ضَرِيَّةَ تَشْتَرِكُ فِيهِ قبائِلُ مِنْهَا الضِّبَابُ وغني وبَنُو جَعْفَرِ وبَنُو أبي بكرٍ وبطون أخرى من كِلاَبِ بن عامر بن صَعْصَعَةَ ، وبَنُو عَبْسِ مِنْ غَطَفَانَ ، ولَيْسَ لبني أَسَدٍ سِوَى أَمواهٍ يَسِيرة فِي جانبه الشمالي الغربي ــ انظر «أبو علي الهجري» ــ ٢٥٧ ــ قال: وقَدْ دَخَلَ فِي حِمَى ضَرِيَّةٍ حُقُوقٌ لِسَبْعَةِ أبطنٍ من بني كلاب ، وهُمْ أكثرُ الناسِ أملاكاً فِي الْحِمَى ، ثم حقوقَ غني ــ ٢٥٨ ــ.
وأَمَّا حِمَى الرَّبَذَةِ فَمِنْ بِلاَدِ غَطَفَانَ ، وتُشَارِكُهُمْ فِيهِ سُلَيْمٌ ومُحارِب ــ عَلَى مَاأَوْضَحَ ذَالِكَ الْهَجَرِيُّ بِتَفْصِيْلٍ لاَ يُوجَدُ عِنْدَ غَيْرِه ــ فِيمَا نَقَلَهُ السُّمْهُودِيُّ عَنْهُ فِي «وَفَاءِ الوفَاءِ» إِلاَّ أَنَّهُ نَقَلَ عن مَخْطُوطَةٍ مُخْتَلَّةِ التَّرْتِيبِ فَنَشَأَ فِيمَا نَقَلَ تَدَاخُلٌ فِي أَوْصَافِ الحِمَيَيْنِ .
وَالْقَنَانُ ــ فِي كَلاَمِ الأَصْمَعِيِّ أَطَالَ الْمُتَقَدِّمُونَ فِي تَحْدِيْدِهِ مِمَّا لاَ يَتَّسِعُ لَهُ الْمَقَامُ ، ويَتَّضِحُ مِمَّا ذَكَرُوا أَنَّهُ مِنْ الْجِبَالِ الْوَاقِعَةِ فِي أَعْلَى الْقَصِيْمِ ، ولَيْسَ هُنَاكَ مِنَ الْجِبَالِ مَايُعْرَفُ بِهَذَا الاسْمِ ، وتَكَادُ الأَوْصَافُ الَّتِي ذَكَرَهَا مُتَقَدِّمُوا الْعُلَمَاءِ تَنْطَبِقُ عَلَى سِلْسِلَةٍ مِنَ الْجِبَالِ تُدْعَى الْمُوَشَّم ــ بضم الميم وفتح الواو وبالشِّين المعجمة المفتوحة المشدَّدة وآخرهُ مِيْمٌ ــ تقع شمالَ بَلْدَةِ الْفُوَارة ، وانظر لِتَطْبِيْقِ النُّصُوص الواردة عَنِ المتقدِّمِيْنَ عن القَنَانِ على (الْمُوَشَّمِ) في كتاب «بلاد الْقَصِيم» مِنَ «المعجم الجغرافي» ــ ٢٣٤٨ ــ وهو وَاقِعٌ فِي بِلاَدِ بني أسد قديماً .

وَالدُّوُّ ــ بَسَطتُ ٱلْكَلَامَ عَلَيه في (قسم المنطقة الشرقيَّة) مِنَ «المعجم الجغرافي» وهو يُعْرَفُ الآن باسم (الدِّبْدِبَة) صَحْرَاءُ واسِعةٌ تقع شَرْقَ الصَّمَّانِ ، وتَمْتَدُّ حَتَّى قُرْبَ سَاحِلِ ٱلخَلِيج . والصَّمَّانُ والدَّهْنَاءُ أشْهَرُ مِنْ أنْ يُعرَّفا ، وهُمَا مَعَ الدُّوِّ مِنْ بِلَادِ بَنِي تَمِيْمٍ فِي ٱلْقَدِيْمِ ، وقَدْ أَوْضَحَ ٱلْهَجَرِيُّ أنَّ بِلَادَ بني تَمِيْم لاتَبْلُغ حِمَى ضَرِيَّة ، فقال في الكلام على التَّسْرِيْر المَعْرُوف باسم وَادِي الرِّشاءِ ، ولَيْسَ التَّسْرِيْرُ ٱلْمَعْرُوفَ الآنَ بهذا الاسم قال ــ ٢٦٩ ــ : وبَيْنَ أَسْفَلِ التَّسْرِيْرِ وأَعْلَاهُ في دِيَارِ غَنِيٍّ مَسِيرةُ ثَلاثة أيَّام ، وقَدْ وَقَعَ مَوْقِعاً صَارَ ٱلحَدَّ بَيْنَ قَيْسٍ وبَنِي تَمِيْمٍ ، لأَنَّ أَوَّلَهُ لِغَنِيٍّ ثُمَّ شَرْقِيَّهُ لِتَمِيْمٍ . انتهى . ومعروف أنَّ هذا ٱلْوَادي يَقَعُ شَرقَ الحِمَى ، يَمْتَدُّ مِنَ النِّيْرِ ، ويُفيضُ في رَوْضَةِ الخَرْمَاءِ على نحو ١٢٥ كيلاً جَنُوب غَرْب مَدِينَةِ بُرَيْدَة .

(٧) ٱلْخَيْسُ : قَالَ نَصْرٌ : وأَمَّا بَعْدَ ٱلْحَاءِ يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ ــ: شِعْبُ ٱلْخَيْسِ بِالشَّرَبَّة ، مِنْ هَضْبِ ٱلْقَلِيْبِ ، في دِيَارِ فَزَارَةَ ، سُمِّيَ بِهِ لأَنَّ حَمَلَ بْنَ بَدْرٍ مَلأَ دِلاَءً مِنَ ٱلْخَيْسِ ، وَوَضَعَهَا في هذا الشِّعْبِ حَتَّى شَرِبَ مِنْهَا قَوْمٌ رَدُّوا دَاجِساً عَنِ ٱلْغَايَة . انتهى وٱلْخَبَرُ مُفَصَّلٌ في «النقائض» في حَرْبِ دَاجِسَ والغَبْرَاء ، وفي الكتب الَّتِي فَصَّلَتْ أَخْبَارِ أَيَّام ٱلْعَرَب . وَٱلْخَيْسُ : يُصْنَعُ مِنَ التَّمْرِ وٱلأَقِطِ . وأَوْرَدَ ياقُوتُ الاسْمَ في رَسْمِ (شِعْبَ ٱلْخَيْس) وزادَ عَلَى ماذَكَرَ نَصْرٌ : عَنِ ٱلْغَايَةِ لَمَّا سَبَقَ ٱلْغَبْرَاءَ ، يَوْمَ رَهْنِهِمْ عَلَى السِّبَاقِ ، وجَرَتِ ٱلْفِتْنَةُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ بَنِيْ عَبْسٍ أَعْوَاماً حَتَّى هَلَكَ أَوْلَادُ بَدْرٍ . انتهى ، وبَدَأَ ٱلْخَبَرَ بِجُمْلَةِ : (وقيل سُمِّيَ بذالك لأَنَّ حَمَلَ بْنَ بَدْرٍ) الخ وعنده: (بَيْنَ هَضَبِ ٱلْقَلِيبِ مِنْ أرضِ فَزَارَة) .
الشَّرَبَّةُ ــ بفتح الشِّين المُعْجَمَة والرَّاءِ وٱلْيَاءِ ٱلْمُوحَّدَةِ مَعَ تَشْدِيْدِهَا ــ تَحْدِيْدُ مَوْقِعِهَا في كُتُبِ ٱلْمُتَقَدِّمِيْنَ وَاضِحٌ ، فهِيَ في عَالِيَةِ نَجْدٍ ، بَيْنَ خَطِّيْ وَادِي الجَرِيْب (ٱلْجَرير الآن) وَوَادي الرُّمَّةِ حَتَّى يَلْتَقِيَا ــ كَمَا في «معجم البُلْدان» وغَيْرِهِ . ولَكِنَّ هَضْبَ ٱلْقَلِيب لَيْسَ مَعْرُوفاً بِهَذَا الاسْم ، وأَغْلَبُ أَوْصَافِهِ تَنْطَبِقُ عَلَى هَضْبٍ عَظِيْمٍ أُطْلِقَ عَلَيْهِ حَدِيثاً اسْمُ طِخْفَةَ الاسْمَ الَّذِي يُطْلَقُ مُنْذُ ٱلْقِدَمِ ولايَزَالُ عَلَى هَضْبَةٍ تَقَعُ شَرْقَ حِمَى ضَرِيَّةَ بِقُرْبِ جِلِّيْتَ ومِنَى (مُنَيَّة) وغَوْلٍ وسُوَاجٍ ، أَمَّا طُخْفَةُ ٱلْحَدِيْثَةُ فَتَقَعُ غَرْبَ وَادِي ٱلْجَرِيْرِ بِقُرْبِهِ ، على مَقْرَبَةٍ من جَبَلَيْ حِبِرٍّ وٱلْمُضَيَّح اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا تَمِيْمُ بْنُ مُقْبِلٍ مَعَ هَضْبِ ٱلْقَلِيْبِ إِذْ قَالَ :

سَـلِ الـدَّارِ مِنْ جَنْبَيْ حِـبِرٍّ فَـوَاهِبِ إِلَى مَـارَآى هَـضْبَ ٱلـقَلِيْبِ ٱلْمُضَيَّـحُ

وانْظُرْ لِتَطْبِيْقِ أَوْصَافِ هَضْبِ ٱلْقَلِيْبِ عَلَى طِخْفَةَ هذه كتابَ «عَالية نجد» أَحَدَ أَقْسَامِ «المعجم الجغرافي» ــ ٨٧٦ ــ أَمَّا شِعْبُ ٱلْخَيْسِ فَمِنَ الأَسْمَاءِ المَجْهُولَةِ الآن ، والشِّعَابُ في هَضْبِ ٱلْقَلِيب (طخفة) كَثِيْرةٌ .

(٨) دَرْبُ ٱلْحَبَشِ : تَعْرِيفُ ٱلْحَازِمِيِّ لَهُ لَـمْ يَخْرُجْ عَنْ تَعْرِيفِ نَصْرٍ ، إِلَّا بِقَوْلِهِ : وهُنَاكَ مَسْجِدُ أَبِي بَكْرٍ الخ . فَعِنْدَ نَصْرٍ : يَلِي هذا الدَّرْبَ مَسْجِدُ أَبِي بَكْرٍ ٱلْهُذَلِي . وعن نَصْرٍ نَقَلَ ياقوتُ بِدُونِ ذِكْرِ اسمه . وأَبُو بَكْرٍ ٱلْهُذَلِيُّ اسْمُهُ سُلَمِيُّ بْنُ عَبْدِالله بْنُ سُلَمِيٍّ ــ تَرْجَمَهُ ابن حَجَرٍ في «تَهذيب التهذيب» ج ١٢ ص ٤٥ ــ وَذَكَرَ أَنَّهُ تُوُفِّي سَنَة ١٦٩ ــ

(٩) قَصْرُ حَبَشٍ : تَعْرِيْفُهُ نَصُّ مَافِي كِتَابِ نَصْرٍ ، ومِثْلُهُ في «معجم البلدان» .

(١٠) ٱلْخَيْسُ : كَمَا عَرَّفَ نَصْرٌ سِوَى (إِلَيْهَا تُنْسَبُ البقر) الخ فَعِنْدَ نَصْرٍ : (بِهَا بَقَرٌ جِيَادٌ يُقَالُ لَهَا) الخ . وَزَادَ ياقوتُ في «المعجم» التعريف فَقَال ــ بَعْدَ ضَبْطِ الاسْمِ ــ : مِنْ كُوَرِ ٱلْخَوْفِ ٱلْغَرْبِيِّ بِمِصْرَ . وكَانَ أَهْلُهَا مِمَّنْ أَعَانَ عَلَى عَمْرِو بْنُ ٱلْعَاصِ فَسَبَاهُمْ ، ثُمَّ أَمَرَ عُمَرُ بِرَدِّهِمِ إِلَى بلادِهِم عَلَى الجِزْيَةِ أُسْوَةً بِالقِبْطِ . انتهى . ويَظْهَرُ أنَّ موقع هذا ٱلْمَوْضِعَ لايَزَالُ مَعْرُوفاً ، فَقَدْ ذَكَرَهُ الدكتور عَبْد ٱلعال عبد المنعم الشاميُّ في كتابِهِ «مدن مِصْرَ وقُرَاهَا عند ياقوت» ورَسَمَ مَوْقِعَهُ في الخريطة الثامنة ، كُورَةِ خَوْفِ رَمْسِيس) مع أَنَّ مَصْدَرَهُ «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» لمحمد رَمْزِي جَاءَ فيه بعد أَنْ ذَكَرَ أَنَّ الخيس مِنْ أَقْدَمِ كُورِ البُحَيْرة ــ : وبِالْبَحْثِ عَنْ مكَانِ هذه ٱلْبَلْدَة تَبَيَّنَ لِي أَنَّ اسْمَهَا قَدْ تَغَيَّرَ مِنْ قَدِيْمٍ ، ومَكَانُهَا ٱلْيَوْم القَرْيَةُ الَّتِي تُسَمَّى أُمَّ حَكِيْم ، إِحْدَى قُرَى مَرْكَزِ شبراخِيت ، بِمُدِيْرِيَّة البُحَيْرَة ــ ج ١ ص ٥٧ البلاد المندرسة ــ أَمَّا مَازَادَهُ نَصْرٌ في هذا الباب فهو :

١ ــ ٱلْحَسَنُ : ــ بِفَتْحِ ٱلْحَاءِ والسِّين وَنُونٍ : رَمْلٌ في دِيَارِ ضَبَّةَ ، وجَبَلٌ في دِيَارِ بَنِي عَامِرٍ . انتهى . وقَدْ تَحَدَّثْتُ عَنِ الَّذِي في دِيَارِ بَنِي ضَبَّةَ في (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» بما خُلاصَتُهُ : أَنَّهُ مِنْ أَنْقِيَةِ الدَّهْنَاء ، فِيما بَيْنَ أَعْلَى وَادِيْ فَلْجٍ (ٱلْبَاطِن) وشَمالَ إقليم سُدَير ، وليس مَعْرُوفاً الآن . أَمَّا ٱلْحَسَنُ ٱلْجَبَلُ الَّذي في بِلَادِ بَنِي عَامِر ، فَلَمْ أَرَ لَهُ ذِكْراً غَيْرَ مَاوَرَدَ في كِتَابِ نَصْرٍ ، وماجَاءَ في كتاب «صفة جزيرة العرب» ــ ٢٩٩ ــ عن معادِنِ ٱلْيَمَامَةِ وبلَادِ رَبِيعَة الَّتِي تَوَطَّنتها ٱلْيَومَ عُقَيلُ بْنُ كَعْبٍ : مَعْدِنُ ٱلْحَسَنِ ، وٱلْحَسَنُ قَرْنٌ أَسْوَدُ مَلِيْحٌ ، وهُوَ مَعْدِنُ ذَهَبٍ غَزِيْرٌ . انتهى ومِثْلُ هذا في كتاب «الجوهرتَيْن» وبَنُو عُقَيْلٍ فَرْعٌ مِنْ بني عامِرٍ وبِلَادُهُم تَمْتَدُّ مِنَ الجَنُوب الغَرْبِيِّ مِنْ عَالِيَةِ نَجْدٍ حتَّى الطرف الجنوبيِّ لِعَارِض اليَمَامة (جبل طُوَيْق) وهناكَ في طَرَف نُفُودِ سُبَيْع (رَمْلَةِ بني عَبْدالله بْنَ كلابٍ قديماً) جَبَلٌ يُدْعَى الحسَن في الشمالِ الغَرْبِي مِنْ مَنْهَلِ وَرْشَةَ ، وبَنُو كلابٍ مِنْ بني عامر ــ وانظر الكلامَ عَلَى (مَعْدِنِ الحسنِ) مِنْ «الجوهرتين» ــ ٣٤٨ ــ

٢ ــ خَيْش : قَالَ نَصْرٌ: وأَمَّا بِفَتْحِ ٱلْخَاءِ المعجمة وباقيه مثله [يعني الجَيْش] وقيل: سِيْنُهُ مُهْمَلَةٌ ــ: جَبَلٌ بِنَخْلَةَ قُرْبَ مَكَّةَ ، ويُذْكَرُ مَعَ يَسُومَ ، وقِيْلَ: ذاكَ بالصَّادِ . انتهى وفي «معجم البلدان»: خَيْشُ هُوَ ٱلْجَبَلُ المُسَمَّى حَيْضاً ، وقد ذُكِرَ ، سَمَّاهُ عُمَرُ بنُ أبي رَبِيْعَةَ في قَوْلِهِ :

تَـرَكُـوا خَـيْـشـاً عَـلَى أَيْمَـانِهِمْ ويَـسُـومـاً عَـنْ يَـسَـارِ ٱلْمُـصْـعِـدِ

وَهُوَ مِنْ جِبَالِ السَّرَاة ــ ثم أَوْرَدَ قَوْلَ نَصْرٍ ــ
وقَالَ في حَيْض : ــ حَيْضُ بالضَّادِ المعجمة ــ: شِعْبٌ بتِهَامَةَ سحّ (؟) مِنَ السَّرَاةِ ، وقِيْلَ ، حَيْضُ ويَسُومُ جَبَلَانِ بِنَجْد (؟) وَقَدْ سَمَّاهُ عُمَرُ بن أَبِي رَبِيْعَةَ خَيْشاً ، لأَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الـمُخَاطَبَةِ للنِّسَاءِ ــ ثم أَوْرَدَ بَيْتَهُ الـمُتَقَدِّمَ ــ وكلمة سح : صوابها (يَجِيء) أو مافي معناها أما كلمة (بِنَجْدٍ) فخطأٌ صوابُها (بِنَخْلَةَ) لأَنَّ يَسُوم لايزال مَعْرُوفاً ، ويُسَمَّى مع جَبَلِ يُجَاوره (السُّومَيْن) بالتَّثْنِيَة ، تَحْرِيف (ٱلْيَسُومَيْن) مُثَنَّى يَسُومَ مِنْ بَابِ التغْلِيب ، وهما في أَعْلَى نَخْلَةَ ٱلْيَمَانِيَّةِ يُشْرِفَانِ عَلَى قَرْنِ المنازِلِ بلدة (السَّيْل) مَحَلِّ الإِحْرام ، وقد نقل الهمدانيُّ في «صفة جزيرة العرب» والبكريُّ في «معجم ماستعجم» في وَصْفِ جَبَلِ السراة المُمْتَدِّ مِنَ اليمن حتَّى يبلغ الشام أَنَّ منه جَبَلي حَيْض ويَسُوم ــ وخيص عند البكري في نخلة ، ويُسَمَّيَانِ يَسُومَيْنِ قال الراجز :

يَـانَاقُ سِيْـرِيْ قَدْ بَـدَا يَسُـومَـانْ فَـاطْـوِيْـهِـمَا تَبْـدُ قِـنَـانُ غَـزْوَانْ

وفي كتاب «بِلَاد العرب» وكتاب «الجبال والأمكنة» للزمخشري : حَيْضُ : شِعْبٌ يَجِيءُ من السَّراة لِهُذَيْل ، ولا اختلاف بين القولين ، فَٱلْجَبَلُ قَدْ يَنْحَدِرُ مِنْهُ شِعْبٌ يُسَمَّى باسْمِهِ . وأَغْرَبَ صاحب «القاموس» حيث قال : حَيْضَ جَبَلٌ بالطائف . وٱلْيَسُومَانِ معروفَانِ الآن ، ولاشكَّ أَنَّ الأَيْمَنَ منهما هو خيش كما يفهم من شعر عمر .

٣ ــ حَشْر : قال نَصْر : وأَمَّا بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُهْمَلةِ ، وسُكُونِ الشِّيْنِ يَلِيْهَا راءٌ : جُبَيْلٌ مِنْ دِيَارِ سُلَيْم ، عِنْدَ الظَّرِبَيْنِ اللَّذَيْنِ يُقَالُ لَهُمَا الإِشْفَيانِ . لم يَزِدْ ياقوتُ عَلى كَلام نَصْرٍ ، وقَالَ عَنِ الإِشْفَيَيْنِ : ظَرِبَانِ يَكْتَنِفَانِ مَاءَ الظَّبْيِ لِبَنِي سُلَيْم . وهُوَ نَصُّ ما قال نَصْرٌ في كِتَابِهِ إِلَّا أَنَّ فيه . . ماءٌ يقال له الظَّبْيُ . . الخ ــ ولكِنَّهُ لَمْ يَذْكِرُ الظَّبْيَ في مَوْضعه مِنَ الكِتَاب ، ولَمْ يَرِدْ في « معجم البُلدان » في مَوْضِعِهِ بِاعْتِبارِه مِنْ مِيَاهِ سُلَيْم ، ولكنَّ البكريَّ ذَكَرَهُ نَقْلاً عن يعقوب [ولعله ابن السِّكِّيت] وذَكَرَ في رَسْمِ نَسْرٍ مِنْ مُعْجَمِهِ أَنَّ النَّسْرَ مَوْضِعٌ في ديار بني سُلَيْم ، وعِنْدَهُمْ ماءٌ يُقَالُ لَهُ الظَّبْيُ ، وفي « تاج العروس » : ظَبْيٌ : ماءٌ لِغَطَفَانَ ،

حول « المعجم الكبير »

[يقوم (مجمع اللغة العربية) في القاهرة بتأليف معجم للغة العربية دعاه (المعجم الكبير) وأراد منه أن يكون محتوياً على جميع مفردات اللغة ، مما في المعاجم القديمة ، ودواوين الشعراء المتقدمين ، ومتضمِّناً جميع الكلمات التي عُرِّبَتْ منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر ، ومنها الأسماء التي وضعتها المجامع العربية للآلات الحديثة والأشياء المستجدة في عالم الاختراع ، وقد صدر من هذا المعجم مجلدان ضخمان أحدهما للمواد المبدوءة بحرف الألف ويقع في ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير والثاني يقع في ٧٦٨ صفحة لحرف الباء وحده .

وقد أَعَدَّ المجمع موادَّ حرف التاء ومابعدها من الحروف إلى مادة (ح د ب) من حرف الحاء ، إذْ في المجمع لجنة خاصة تتولى ترتيب المواد وتحريرها ، وبعد عَرْضِها على مجلس المجمع تُبْعَثُ إلى الأعضاء المقيمين خارج القاهرة ، ليبدوا ملاحظاتهم حولها ، ليتسنى عرضها أثناء انعقاد الدورة السنوية التي تضم جميع أعضاء المجمع ، ليقرر مؤتمرهم مايراه حيالها .

وكان أن بعث الأمين العام للمجمع هذا العام لصاحب هذه المجلة ــ وهو عضو عامل في المجمع ــ بعث له ماهُيِّءَ من مواد تبتديءُ بكلمة (ح د ب) وتنتهي بكلمة (ح ذ ن) من حرف الحاء مما سيعرض على (المؤتمر السنوي) في دورته الرابعة والخمسين التي ستعقد في شهر رجب (فبراير سنة ١٩٨٨م) ، فكان من أثر مطالعة تلك المواد هذه الملاحظات] :

يلاحظ أولاً أن مادة (حذق) بأسرها ساقطةٌ من هذه النماذج ، وموقعها بين ص ٣٨١ ، و٣٨٢ إذْ بعد ص ٣٨١ مادة (حَذْفَر) وبعدها في ص ٣٨٢ تأتي مادة (حذل) ، فينبغي استدراك كتابة المادة وإضافتها إلى هذه النماذج .

أما الملاحظات على المواد المكتوبة فهي : ــ

١ ــ ص ٢٧١ : (الأحدب : جبل لفزارة في بلادهم ، وقيل : وهو أحد الأثبرة بمكة ــ أي جبالها الأربعة ، لأن كل واحد منها ثبير ، قال جَميل (٨٢هـ =

← لِبَنِي جِحَاشِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ــ مِنْ ذُبْيَانَ ــ بِالْقُرْبِ مِنْ مَعْدِنِ بَنِي سُلَيْمٍ ، انتهى ، ومنازِلُ بَنِي ذُبْيَانَ مُجَاوِرُ بِلادَ سُلَيْمٍ ، ولهذا فَلَيْسَ مِنَ الْمُسْتَبْعَدِ أَنْ يكونَ ظَبْيُ الْمَعْدُودُ مِنْ مِيَاهِ بَنِي ذُبْيَانَ ، هِوَ الْمَذْكُورُ فِي بِلَادِ سُلَيْمٍ ، لِقُرْبِهِ مِنْ مَعْدِنِهِمْ ، ومَعْلُومٌ أَنَّ أَكْثَرَ الْمِيَاهِ الْقَدِيمَةِ قَدْ دَرَسَتْ بِاسْتِيْنَاءِ ما أُحْيِيَ بالسُّكْنَى الدَّائِمَةِ .

٤ ــ جَشَرُ : وقَالَ نَصْرٌ : وأَمَّا بِفَتْحِ الْجِيْمِ والشِّيْنِ ــ : جَبَلٌ فِي دِيَارِ بَنِي عَامِرٍ ، لِبَنِي عُقَيْلٍ ، مِنَ الدِّيَارِ الْمُجَاوِرَةِ لِبَنِي الْحَارِثِ بن كَعْبٍ . انتهى . وضَبَطَهُ يَاقُوتُ ــ بالتَحْرِيْكِ ــ وأَوْرَدَ قَوْلَ نَصْرٍ ، بِدُوْنِ نِسْبَةٍ ، ولَمْ يَزِدْ ، وكَذَا صاحِبُ « التَّاج » وَهُوَ يَتَرَسَّمُ خُطَا يَاقُوتٍ ، وبِلَادُ بَنِي عُقَيْلٍ تَمْتَدُّ إِلَى أَسَافِلِ الْأَوْدِيَةِ الْمُنْحَدِرَةِ مِنْ سَرَاةِ جَنْبٍ (سَرَاة عَبِيْدَةَ الآنَ) الْمُوالِيَةِ لِبِلَادِ نَجْرَانَ جَنُوبًا حَيْثُ دِيَارِ بَنِي الْحَارِثِ التِي اسْتَوْطَنَتْهَا الآنَ قَبِيلَةُ يَامٍ ومَنْ خالَطَهَا .

٧٠١م) :

ألم تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْقَوَاءَ فَيَنْطِقُ وهل تُخْبِرَنْكَ اليومَ بَيْدَاءُ سَمْلَقُ ؟
فَمُخْتَلِفُ الأَرْوَاحِ بَيْنَ سُوَيْقَةٍ وأَحْدَبَ، كَادَتْ بَعْدَ عَهْدِكَ تَخْلُقُ)

يلاحظ على هذا : ــ

١ ــ الأَثْبِرَةُ ليست كلها في مكة ، بل منها ماهو في مِنَى وهو أشهرها (ثبير الأَثْبرة) فيه قيل : (أَشْرِقْ ثَبير ، كيما نُغِير).

٢ ــ شعر جميل لا ينطبق على الأحدب الذي بقرب مكة من الأثبرة ، وهو على الأحدب الذي في بلاد فزارة أكثر انطباقاً إذ بلاد عذرة قوم الشاعر تقع جوار بلاد فزارة ، وكثيراً ماذكر مواضع من بلادهم في شعره .

٣ ــ ثبيرٌ الأحدبُ على مايفهم من كلام صاحب «الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف» ص ٣٤٦ أنه يلي ثبير الأثبرة الواقع في مِنَى ، على يسار الذاهب إلى عرفة ، وأنه كان يعرف في عهده باسم (الأُحَيْدِب) ولايزال هذا الاسم يطلق على جانب الجبل العظيم المطل على مزدلفة من الشمال الشرقي فيما بينها وبين منى .

٤ ــ وكلمة (فمختلف) في شعر جميل صوابها : (بمختلف) كما في ديوانه ١٤٥ تحقيق د. حسين نصار .

٢ ــ ص ٢٧٣ : (الحِداب : موضع بِحَزْنِ بني يربوع ، له يوم معروف لبكر على سَلِيط . قال جرير (١١٠هـ = ٧٢٨م) :

لقد جُرِّدت يومَ الحِدابِ نساؤُكم فساءَتْ مجاليها ، وقَلَّتْ مهورُهَا

ــ ديوانه ٢/٨٩٤ ، ت ــ .

و : جبال بالسراة ينزلها بن شَبَابة (قوم من فهم بن مالك) . (ل عن أبي حنيفة ، ت ، ق).

١ ــ البيت في ديوان جرير ــ ٢٩٦ طبعة الصاوي ــ وفي «النقائض» ــ

ص ١٤ ــ :

لقد جردت يوم الحداب نساؤُهُمْ .

٢ ــ عبارة أبي حنيفة عن حداب بني شبابة : وهي جبال من السراة ينزلها بنو شبابة من فهم بن مالك من الأزد وليسوا من فهم عدوان .

وهذه الحداب وراء شيحاط ، وشيحاط من الطائف ، وهذه الحداب أكثر أرض العرب عسلا . على ماجاء في «معجم مااستعجم» .

٣ ــ فهم هاؤلاء من دوس القبيلة الزهرانية الأزدية التي لاتزال تحل بلادها القديمة وراء شيحاط الذي تنحدر سيوله في وادِي لِيَّة شرق الطائف ، وهناك قبيلة أخرى تدعى فهما هي أشهر ، ولكن ليست من أهل الحِداب ، بل كانت تحلُّ بقرب الطائف بجوار إخوتها من عدوان ، من قيس عيلان من مضر ، ولهذا يحسن التفريق بين فَهْمٍ الأزدية وفهم المُضَرية ، وفهم الأزدية لايزال بقاياها مقيمين في بلادهم بلاد زهران في فرعة دوس وماحولها من سراة زهران .

ولا أرى كلمة (الحداب)، هنا يقصد بها علما لموضع ، وَإِنَّمَا يُراد الأرض المرتفعة في غلظ ، وكذا حداب حزن بني يربوع .

٣ ــ ص ٢٧٨ : (الحديباء ماء لجذيمة) (ت) .

أصل هذا الكلام مما جاء في كتاب «بلاد العرب» ــ ص ٥٦ ــ في الكلام على بلاد بني أسد ، في ذكر مياه الثلبوت وهو وادٍ من روافد وادي الرُّمَةِ يعرف الآن باسم الشعبة ، فقد عد من مياهه الحديباء لبني جَذِيمة ، قال الشاعر :

إنَّ الحُدَيْبَاء شَحْمٌ إنْ سَبَقْتَ بِهِ مَنْ لَمْ يُسَامِنْ عليها فَهْوَ مَسْمُونُ

وبنو جذيمة هاؤلاء من نصر بن مالك بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، ولئلا يتلبس هاؤلاء ببني جذيمة الكنانيين الذين ورد ذكرهم في خبر فتح مكة زمن الرسالة أو غيرهم ممن يسمى بهذا الاسم، يحسن أن يُعَرَّفُوا ، والحُديباء هذه على مقربة من غَدِير الصلب المعروف الآن باسم ثَغَب الضِّرْس ،

وتقع جنوب قرية غَضْوَر، وغرب قرية المُسْتَجِدَّة ، غير بعيدة بقرب خط الطول : ١٥ آ/٤١° وخط العرض: ٤٠ آ/٢٦° ، وينبغي أن يلاحظ أن كثيراً من المياه القديمة فَقَدَتْ أَهَمِّيَّتَهَا ، إمَّا بسبب نضوبها أو بسبب عدم الحاجة إليها حيث اسْتُعِيض عنها بالآبار (الأرتوازية) العميقة الغور .

٤ ــ ص ٢٧٨ : (الحديبية ــ وقد تشدد الياء ــ : موضع ورد ذكرها في الحديث كثيراً ، وهي قرية قريبة من مكة على طريق جدة دون مرحلة من مكة ، بينها وبين المدينة المنورة تسع مراحل ، سميت ببئر فيها . ويقال : بعضها في الحل وبعضها في الحرم (ق، ت، مص) .

وهي أبعد أطراف الحرم عن البيت (مص) على تسعة أميال من المسجد (مص).

وقيل: إنها واد بينه وبين مكة عشرة أميال أو خمسة عشر ميلاً على طريق جدة ، ولذا قيل : إنها على مرحلة من مكة أو أقل من مرحلة . (الميل = ١٩٢٠م ، المرحلة = ٣٠ كم] .

وقال مالك : إنها من الحرم (ت)، وقيل: سميت بشجرة حدباء كانت هناك ، وهي التي كانت تحتها بيعة الرضوان) .

١ ــ لعل منشأ الاختلاف في تحديد المسافة بين الحديبية وبين مكة أن الاسم يطلق على سهل واسع ، فما ولي الحرمَ من جوانبه كان معدوداً من الحرم ، ومابَعُدَ عنه فهو خارج الحرم ، ويُفْهَمُ هذا من خبر نزول الرسول ﷺ في الحديبية الذي أورده ابن هشام في «السيرة النبوية» ــ ج ٢ ص ٣١٩ طبعة الحلبي ــ في ذكر مسيره ﷺ : حتى إذا سلك ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ مَهْبِط الحديبية من أسفل مكة بركتْ ناقَتُه . . . ثم قال للناس : «انزلوا» . . . وكان مُضْطَرِباً في الحلِّ ويصلي في الحرم ــ إلى آخر الخبر ــ فمضرب خيامه كانت في الحل من الحديبية ولقرب حدود الحرم من منزله كان يصلي فيه .

٢ ــ يرى كثير من المتأخرين أن الحديبية هي المكان الذي تقع فيه قرية

الشميسي ، وأول من رأيته ذكر ذالك مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي في كتابه «شفاء الغرام» ١/٥٨ ، ولكن بصيغة : ويقال إن الحديبية هي البئر التي تعرف ببئر شميس . انتهى . وحدود الحرم من هذه الناحية تقع على مقربة من هذه البئر التي أصبحت الآن قرية ، قبلها بما يقارب كيلين ، وكانت تبعد عن مكة تسعة عشر كيلاً ، ولكن عمران مكة يتسع فقد تكون المسافة الآن أقل ، وكانت تقارب ٢٣ كيلاً من المسجد الحرام .

٥ ــ ص ٢٨٧ : (الأحداث وفي «اللسان» قال الشاعر :

تروى من الأحداث حتى تلاحقت طرائقه واهتز بالشرشر المكر

ــ الطرائق : آخر مايتبقى من الكلأ . تلاحقت: أدرك بعضها بعضاً . الشرشر: نبت . المكر: سقي الأرض) .

الملاحظ هنا هو القول بأَنَّ (المكر سقي الأرض) ولم أُدْرِكْ معنى هذا ، والذي أرى أن ٱلْمَكْر هنا جمع مَكْرة ، وهو نوع من النبات معروف قديماً وحديثاً ، يمتد على الأرض كامتداد نبات الشِّرْشِر ، وأرى المعنى أن الشرشر والمكر استطال نباتهما حتى اختلطا واهتزا بعد أن رويا من كثرة الغيث وهما لايُسْتَقيانِ بل ينبتان على المطر .

٦ ــ ص ٢٩٢ : (الحَدَثَةُ : وادٍ قرب مكة ، أعلاه لهذيل وأسفله لكنانة . (ت)

يحسن أن يضاف : في جنوبها على مقربة من وَادِيَيْ إِدام ويلملم كما يفهم مما ورد في كتاب «بلاد العرب» ص ٢٢ ــ عند ذكر الاسم ، وهو مصدر ياقوت .

٧ ــ ص ٣٠٠ : (المُحْدَثُ : موقعا ماءٍ : أحدهما لبني الديل بتهامة ، والآخر على ستة أميال (١١,٥٢كم) من النقرة) (ت، تك، ق).

كلمة (المحدث) يقصد بها في الأصل المنهل الذي حُفِرَ حديثاً ، ومن هنا فالاسم يطلق على مياه كثيرة منها :

١ ــ ماء لبني الديل من كنانة ، على مقربة من مِجَنَّةَ في تهامة على مايفهم من

٢ ــ والمحدث: ماء يقع على ستة أميال بعد النقرة للمتوجه إلى المدينة وهو الذي ورد فيه رجز أحمد بن عمرو، في تنزله زُبَيْدَة حيث يقول ــ كتاب «المناسك» ص ٥٦١ ــ :

ثم رَحَلْنَا فَأَتَيْنَا الْمُحْدَثَا نَفْرِي صُخُوراً وطَرِيقاً أَوْعَثَا
حَتَّى وَرَدْنَا مَنْزِلاً مُسْتَحْدَثَا أَبْقَى لِأُمِّ جَعْفَرٍ حُسْنَ النَّثَا

٣ ــ محدث الأَتْمِ : وهذا ورد في شعر الخنساء ــ ديوانها طبعة (الأب ش خو في بيروت سنة ١٨٩٥ وفي «المناسك» ٣٣٧ ــ إذ قالت :

يَحْمِي لَهَا ذَاتَ أَجْنَابٍ فَعُنْفُوَةً فَمُحْدَثَ الْأَتْمِ فَالصَّرْدَاءَ أَحْيَانَا

وهذا المحدث وصفه صاحب كتاب «المناسك» ــ ٣٣٦ ــ فقال: منازل ولد طلحة بن عبدالله بن أبي بكر بِالأَتْمِ ، للمصعد إلى مكة ، بعد مَعْدِن بني سليم ، عن يمين المَسْلَح ، وهي ثلاث قُرَيَّاتٍ في ثلاثة أودية يقال لأولها : الْمُحْدَثُ وهو قَطِيعةٌ من النبي ﷺ لعبد الرحمن بن أبي بكر . انتهى . وهذا الْمُحْدَثُ يقعُ بِقُرْب وادِي النُّجَيْلِ ، غربَ قريةِ الْمَسْلَحِ ، بقرب خط الطول : ٣٠/٤٠° وخط العرض : ٢٥/٢٢° .

والأخير هو أشهر المواضع وأجدرها بالذكر ، لكونه قطيعةً من النبي ﷺ ، وأُحْدِثَتْ فيه قرية في ذالك العهد .

ومما تنبغي ملاحظته ماورد في النص من تقدير ستة الأميال بـ(١١,٥٢كم) أي اعتبار الميل أنقص من الكيلين (١٩٢٠ متر) .

ولقد قِسْتُ أميالاً كثيرة لاتزال آثارُها بارزةً في طريق الحج البصري القديم ، فيما بين الرَّبَذَةِ والنَّقْرَةِ فوجدتُ الميلَ يتراوح بين ٢٣٠٠ متر إلى ٢١٥٠ ــ بسير السيارة ــ أي إنَّ الْمِيلَ يزيد على الكيلين .

٨ ــ ص ٣٠٠ : (المحدثة : موضع فيه ماء ، ونخل ، وجُبَيْلٌ يقال له :

عمرو المحدثة) (ت ، تك).

المحدثة هذه تقع في بلاد بني جعفر بن كلاب وبلادهم في عالية نجد ، والجملة مقطعة من نص طويل في ذكر بلادهم ورد في كتاب «بلاد العرب» ــ ٩٧ ــ وكلمة (عمرو المحدثة) صوابها (عمود المحدثة) والعمود من الجبال ماكان دقيقاً مرتفعاً ،

٩ ــ ص ٣١٢ : (وحُدَاد بن ظالم بن ذهل بن عجل) الخ ، ثم الإحالة إلى أسماء المغتالين في «نوادر المخطوطات» ١٢٧/٢ .

والذي في «نوادر المخطوطات»: حُذَار ــ بعد الحاء ذال معجمة ثم ألف ثم راء ــ ويظهر أنه تصحيف ، حيث ورد في مصادر أخرى أشار إليها الأستاذ عبدالسلام هارون في تحقيقه لكتاب «جمهرة النسب» لابن حزم ص ٢٩٧ ــ ورد (حداد) .

وعلى ذكر حداد كان ينبغي إيراد أسماء أفخاذ القبائل المسماة بهذا الاسم كما وردت في كتاب «مؤتلف القبائل ومختلفها» لابن حَبيب ص ٣٢٨ منشورات «دار اليمامة» . بهذا النص : حِدَادُ بن بداوة بن ذهل من محارب . ورسم الاسم في الكتاب المذكور وعلى الحاء فتحة وتحتها كسرة ، ولكنها في مخطوطات «جمهرة النسب» لابن الكلبي ومختصراتها مكسورة (حِداد).

وفيه أيضاً وفي كنانة بن خُزَيمة : حُدَاد بن مالك بن كنانة ، وفي طيء حُدَاد بن نصر بن سعد بن نبهان ، وفي الأزد حُدَادُ بن مَعْنِ بن مالك بن فَهْم ، وفي عبدالقيس حُدَادُ بن ظالم بن ذهل ــ وهو الذي تقدم ذكره ــ والحاء في الأسماء الأربعة فوقها ضمة في كتاب ابن حبيب .

١٠ ــ ص ٣١٢ : (ابن الحدادية: وهي أُمُّهُ من مُحارب بن خَصَفة : بطن من خزاعة): لقب الشاعر قيس بن منقذ) الخ .

في هذا خلط بين قبيلتين ، فمحارب بن خصفة ليسوا من خزاعة ، بل من قيس عيلان ، وخزاعة مختلف في أصلها . وصواب الجملة : أن الحدادية أم

الشاعر قد تكون من حداد محارب ــ بكسر الحاء أو فتحها على ماتقدم ــ مع أن ابن دريد في «الاشتقاق» ــ ٤٧٠ ــ لما ذكر الشاعر قال : بنو حداد بطن من كنانة . أما الشاعر نفسه فهو من خزاعة ثم من بني سلول بن كعب بن عمرو بن عامر بن لحي ، وقال أبوعبيد في أنساب خزاعة : منهم من بني ضاطر قيس بن عمرو بن الحدادية الشاعر ، والحدادية أمه ، وهي امرأة من كنانة .

١١ ــ ص ٣١٦ : (حدد : جبل مطل على تيماء ، وقيل : أرض لكلب (مي) قال النابغة نحو (١٨ ق هـ = ٦٠٤م):

ساق الرفيدات من جَوْشٍ ومن حَدَدٍ وماشَ من رهط ربعيٍّ وحجار

ــ الرفيدات : بنو رفيدة من بني كلب. جوش: أرض لبني القين. ماش: خلط. ربعي وحجار : رجلان من بني عذرة ــ . ورواية الديوان :

. . . . . ومن عظم . (مي ، ديوانه ٥٦ ط بيروت)

حَدَدُ هذا جبل مطل على تيماء يهتدي به المسافر كما جاء في كتاب نصر الورقة الـ ٦٣ مخطوطة المتحف البريطاني وصحفت في «تاج العروس» كلمة (يهتدي به المسافر) بكلمة (يبتدئ به المسافر) ولامعنى لها ، وكان في القديم على مقربة من أرض قبيلة كلب ، ومن هنا نشأ القول بأنه أرض الكلب ، وهو كما قال الهجريُّ : جبل تيماء . إذْ هو أقرب الجبال إليها ، وقد ورد في «سفر التكوين» ــ ٢٥ / ١٥ ــ اسم حدد مقروناً بتيماء باعتبارهما من أبناء اسماعيل ، وكُشِفَ في قمته حديثاً عن معبد للوثن (صلم) فيه كتابات ثمودية ، ولايعرف الآن هذا الجبل باسم حدد ، وإنما باسم (غُنَيْم) ويقع في الجنوب الشرقي من مدينة تيماء على مسافة تقرب من عشرة أكيال ويشاهد منها رَأْيَ العين بقرب خط الطول: ٣٨/٤٠° وخط العرض: ٢٧/٣١° .

١٢ ــ ص ٣١٧ : (حد : موضع بتهامة ورد في قول الشاعر :

فلو أنها كانت لقاحي كثيرة لقد نهلت من ماء حد وعلت)

(ل، ق، ت)

البيت ورد في قصيدة للأخضر بن هبيرة بن ضرار الضبي ، وكان قد ورد على ماء لبني عبس اسمه (جُـدٌّ) بالجيم فمنعوه الماء فقال :

إذا نـاقة شـدت برحـل ونمرق لمـدحـة عبسي فـآبت وكـلت

في خمسة أبيات ومنها البيت على مافي «معجم البلدان» فلعل ذكره بالحاء عند البكري في «معجم مااستعجم» من قَبِيلَ التصحيف .

١٣ ــ ص ٣١٩ : (حدان بن مريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة: بطن من تميم). (جمهرة الأنساب لابن حزم ٢١٩).

ــ حدان بن شُمْس : بطن من بطون الأزد . (جمهرة الأنساب لابن حزم ٤٧٢).

فَرَّقَ ابنُ حَبيب في كتاب «مؤتلف القبائل ومختلفها» بين حَدَّان بالفتح وحُدَّان بالضم ، فذكر حَدَّان بفتح الحاء ابن قُرَيع (لا مريع وكما ورد في «المعجم») بن عوف بن تميم ، وحُدَّان بضم الحاء بـن شُمْسٍ بضم الشين (لا بفتحها كما ورد في «المعجم») فينبغي أن يلاحظ هذا التفريق . ونص ابن دريد في كتاب «الاشتقاق» ــ ٥١٠ ــ: حُدَّان : فُعْلَان من الحد .

١٤ ــ ص ٣٢٥ : (وقال الحطيئة (٤٥هـ = ٦٦٥م) :

جـاءت من بلاد الـطور تحدره حصاء ولم تترك دون العصا شذبا

ــ بلاد الطور : يريد بها بعض جبال الشام . الحصاء : السنة التي لا نبت فيها).

البيت في ديوان الحطيئة ــ ص ١٧ طبعة ١٤٠٧ ــ :

حطت به من بلاد الطَّوْدِ عارية حصَّاء لم تَتَّرِكْ دونَ العصا شَذَبَا

وفي تفسيره أورد محقق الديوان رواية السكري : بلاد الطور ، وقال في تفسيره : من بلاد الشام ، ولم يكن بالشام ولكنه منازل غطفان من نَجْدٍ مما يلي اليمن . انتهى . كذا وردت كلمة (اليمن) ومنازل غطفان من نجد مما يلي

الشام ، فهي في الشمال الغربي من نجد ، وهي بالنسبة للحجاز في شماله ، وإذن فكلمة (الشام) هنا ليست على إطلاقها وإنما المقصود أنها في جهة الشمال من بلاد العرب ، ولاتزال كلمة الشام تستعمل عند بعض البادية في الحجاز واليمن ، ويقصد بها الشمال مطلقاً ، لا البلاد المعروفة ، وكذا (اليمن) وفي الحجاز يقولون : هُذَيْل الشام ، وهُذيل اليمن ، ويقصدون هذيلاً الذين بلادهم شمال مكة ، وهذيلاً الذين بلادهم جنوبها .

ويلاحظ عدم استقامة وزن عجز البيت (حصاء ولم) إلا بحذف الواو كما في الديوان .

١٥ ــ ص ٣٢٩ : (الحادرة : قطبة بن أوس بن محسن بن جرول ، ويلقب بالحادرة أو الحويدرة : شاعر مقل ، شارك في حروب قومه ، أعجب حسان) الخ (الأعلام ٥ / ٢٠ عن الموسوعة العربية الميسرة) .

جملة (شارك في حروب قومه) كان ينبغي تسمية هاؤلاء القوم ، والشاعر من بني مازن من ذبيان ثم من غطفان وليس فزارياً كما جاء في كتاب «الأعلام» .

١٦ ــ ص ٣٣٣ : (قال علي بن أبي طالب (٤٠هـ = ٦٦١م) يوم خيبر :

أنا الذي سَمَّتْنِي أُمِّـي الحيدرة)

المعروف في رجز علي بن أبي طالب :

أنا الذي سَمَّتْنِي أُمِّـي حَيْـدَرَهْ

بدون تعريف كما في «صحيح مسلم» ٥ / ١٩٤ و«طبقات ابن سعد» ٢ / ١١٢ و«المغازي» للذهبي ٣٤١ .

١٧ ــ ص ٣٣٧ : (قال معد يكرب (جاهلي) :

بِمُعْتَـرَكِ شَطِّ الحُبَيَّـا تـرَى بـهِ مِنَ ٱلْقَوْمِ مَحْدُوساً وآخَرَ حادِسا

ــ شط : ناحية . الحُبَيَّا : موضع) (ل)

١ ــ قائل البيت هو الشاعر عمرو بن معدي كرب المعروف كما في «معجم مااستعجم» رسم (الحبيا) وفي «معجم البلدان» رسم (عَمْق) وقبل البيت :

لِمَنْ طَلَلٌ بِالْعَمْقِ أَصْبَحَ دَارِسَا تَبَـدَّلَ آرَامـاً وَعِيْنـاً كَـوَانِسَـا

ويظهر أنَّ عَمْراً ردَّ بها على العباس بن مرداس السلمي بعد وقعة يوم تَثْلِيث التي أشار إليها صاحب «خزانة الأدب» ٨ / ٣٢٢ وأورد قصيدة لعباس ، وهي من الْمُنْصِفَات عن تلك الوقعة ، وقد أورد قصيدةَ عمرٍو جَامِعُ ديوانه الأستاذ مطاع الطرابيشي ص ١١٠ من الديوان وفيها البيت . ونسب ابن دريد في «الاشتقاق» ــ ٣٧٨ ــ البيت للعباس بن مرداس . وكذا ذكر نشوان في «شمس العلوم» ٢ / ٣١٢.

٢ ــ الْحُبَيَّا : مما ينبغي استدراكه بإضافته إلى محله من «المعجم» وهو في شعر عَمْرٍو هَذَا اسم شُعْبَةٍ كبيرة من شُعَبِ وادي تَثْلِيثَ ترفد الوادي من الغرب ، وعند التقائها بـه يقع جبل حُبَيٍّ غير بَعِيد عن بلدة تَثْلِيْثَ .

٣ ـ أما (الْعَمْقُ) الوارد في أول القصيدة فلايزال معروفا، وهو أرض واسعةٌ تقع على مقربة من سلسلة جبال الْقَهْرِ، في غربيها مما يلي وادِيِ تَثْلِيْثَ ، وليس بعيداً عن الْحُبَيَّا .

١٨ ــ ص ٣٣٩ : حدس : اسم للبغل ، تسمية له باسم مايُزْجَرُ به ، قال الراجز :

إذَا حَمَلْتُ بِزَّتِي عَلَى حُـدَسْ
علَـى الَّتِي بين الْحِمَارِ والْفَرَسْ
فما أبالي من عنز أو من جلس
(«البغـال» لـلجـاحظ، مق)

النص في رسالة «البغال» ــ ٢ / ٢٧٣ من «رسائل الجاحظ» تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون :

إذَا حَمَلْتُ بزَّتِـي عَلَى عُدَسْ
فَمَا أُبَالِي مَنْ غَزَا أَوْ مَنْ جَلَسَ

وقد شرح الجاحظ كلمة (عدس) شرحاً مستفيضاً يفهم منه أن كلمة (حدس) تصحيف في الرجز وفي شمس العلوم لنشوان ٢ / ٣٠٧ ــ : حدس لغة في عدس زجر للبغال .

١٩ ــ ص ٣٣٩ : (وبنو حَدَسٍ : حي من اليمن (ل) .

وقيل: بطن عظيم من العرب من لخم (ق ت) الخ .

المقصود بكلمة (اليمن) القبائل اليمنية القحطانية ، ولايستلزم هذا أَنْ يكون استقرارهم استمر في تلك البلاد ، فقبيلة لَخْمٍ انتقلت قبل الإسلام بعهود بعيدة فانتشرت في الشام ومصر وهي قحطانية الأصل .

وبنو حَدَسٍ هاؤلاء بَطْن عظيم من لَخْمٍ كما في «الاشتقاق» لابن دريد ص ٣٧٨ : بنو حَدَسِ بن أُرَيْش بن إراش بن جذيلة بن لخم ، ودار لخم بالشام بين مصر وبين الشام حول العريش ، على ماذكر ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص٤٢٣ ، ٤٢٤ .

٢٠ ــ ص ٣٤٥ : (وحديقة الرحمن: بستان كان لمسيلمة الكذَّاب بفناء اليمامة ، فلما قتل عندها سميت حديقة الموت) (ق ، ت) .

يفهم من خبر قتل مسيلمة أن تلك الحديقة تقع على مقربة من عَقْرَبَاء التي حدثتْ فيها الوقعة أي بقرب قرية الجُبَيْلَةِ الواقعة شمال مدينة الرياض بنحو أربعين كيلاً ، وكُنَّا ــ إلى عهد قريب ــ نشاهد غرب بلدة الجبيلة آثار قبورٍ على ضفَّةِ الوادي يقال : إنها كانت قبور الشهداء الذين قتلوا في وقعة عقرباء ، والتي قتل فيها مسيلمةُ ، وكانت قبة مشيدة هناك يزعمون أنها كانت على قبر زيد بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ حتى هدمها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ــ رحمه الله ــ حين قام بدعوته الاصلاحية سنة ١١٥٧هـ .

٢١ ــ ٥٣٠ : (حَدَال: اسم أرض بالشام لقبيلة كلب (مع) قال الراعي نحو (٩٠هـ = ٧٠٩م) :

في إثْرِ من قُرِنَتْ مني قـرينته يوم ٱلْحَدَالِ بِتَسْبِيْبٍ مِنَ ٱلْقَدَرِ

ـ في إثر : خرج في اثره تبعه . قُرِنت : وصلت وشدت ، والقرينة : النفس . ورواية الديوان :

في إِثْرِ مَنْ قُطِعَتْ مِنِّي قَرِينَتُهُ يَوْمَ ٱلْحَدَالِي بأَسْبَابٍ مِنَ القَدَرِ

ويروى : يوم الحداك . الحدالي : موضع . (ل ، مع) .

ضبط البكريُّ في «معجم مااستعجم» ـ ٤٢٩ ـ الحدالي بكسر اللام بعدها ياء وكذا ينطق الاسم ، والموضع لايزال معروفاً هو أرضٌ ذات تِلَالٍ وآكامٍ تقع في الشمال الشرقي من بلدة طُرَيْفٍ ، الواقعة في شمال المملكة على بعد مايقارب مئتا كيل من البلدة المذكورة وكان هذا الموضع قديماً من بلاد كلب ، متصل بسماوتهم .

٢٢ ـ ص ٥٣١ : (بنو حدال : حي نسبوا إلى محلة كانوا ينزلونها . (ل، ق، ت، عن ابن سيده).

وبنو حدالة : حي من العرب . (عن ابن دريد) تك، مع) .

بنو حدال على ماذكر ابنُ حبيب في «مؤتلف القبائل ومختلفها» ـ ٣٦٦ ـ هم : حدال بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وهم باليمن في غير قومهم .

أما بَنُو حَدَالة الذين ذكرهم ابن دُرَيْدٍ فلم أرَ لهم ذكراً في «الاشتقاق» ، وفي كتاب «الجمهرة» له عنهم مانصه :

٢٣ ـ ص ٣٧٩ : (حُذَاقة أبو بطن من قضاعة منهم : محمد وإسحاق ابنا يوسف الحذاقيان الصنعانيان روى عنهما عبيد بن محمد الكشوري ، وروى محمد عن عبدالرزاق بن همام الصنعاني . قال الحافظ : وذكر الدارقطني أن الذي من قضاعة نسب إلى جشم والحارث ابني بكر يقال لهم بنو الحذاقية ـ بالقاف ـ (انظر/ حذق) ، وقال الحافظ أيضاً : ومنهم من قال بالفاء (ق ، ت) حذافة بن نصر بن غانم العدوى ، ينتسب إلى عدي بن كعب رهط عمر بن الخطاب صحابي) .

يلاحظ على الكلام المتقدم :

١ ــ الخلط بين مادتي حذق ــ بالقاف ــ وحذف ــ بالفاء ــ مع أن مادة (حذق) بِرُمَّتِهَا سقطت من هذا الأنموذج كما سبقت الإشارة إلى هذا في المقدمة ، وما هنا منها يحتاج إلى زيادة إيضاح وتحرير .

٢ ــ حُذافة بن نصر ــ بعد الذال المعجمة والألف فاء ــ وقد نص ابن حبيب في «مؤتلف القبائل ومختلفها» ــ ص ٣٦١ ــ على أن حذافة بالفاء في قريش هو حُذَافَة بن جُمح بن عمرو من هصيص ، وفي رَبيعة حذافة بن سعد بن قيس بن ثعلبة .

ومثل هذا في كتاب «الإيناس» ــ ١٢٧ ــ فيحسن ذكر فَرْعِيَ القبيلتين إِذْ ذِكْرُهُما من شروط المعجم مع ذكر الصحابي .

٢٤ ــ ص ٣٨٠ : بيت خالد بن جعفر بن كلاب على مافي كتب الخيل لابن الكلبي وابن الأعرابي والأسود الغندجاني «وخزانة الأدب» ــ ١٠ / ٤٤١ :

أَرِيغُونِي إِرَاغَتَكُمْ فَإِنِّي وَحَذْفَةَ كَالشَّجَا تَحْتَ الْوَرِيدِ

وفي «الأغاني» ــ ١١ / ٨٢ ــ :

أديروني إدراتكم فإني

من قصيدة يفهم من سياقها أن كلمة (أريغوني) أو (أديروني) أنسب من : (فمن يك سائلا) .

٢٥ ــ ص ٣٩١ : (في الرجز: لتجدن بالصحارى حذمة) .

صوابه : لَتَجِدَنِّي بالصحارى حذمة . كما في مخطوطة كتاب «الجيم» ووقع في المطبوعة خطأً كما هنا .

٢٦ ــ ٣٩٢ : (حذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة) (ل، ق، ت، ص) هكذا جاء في «الصحاح» وجاء بخط أبي زكريا مانصه : الحاء تصحيف والصواب: جذيمة بالجيم (ت) .

الصواب فيه انه بالحاء كما جاء في مخطوطات كتاب «جمهرة النسب» لابن الكلبي ومختصراته .

٢٧ ــ ص ٣٩٤ : (الحُذُنَّةُ: موضعٌ قربَ اليمامة مما يلي وادِي حائلٍ ، قاله نصر .

الكلام في كتاب نصر في حرف الجيم : (باب جُدَيَّة وحَذِيَّة وحُذُنَّة) الخ ، وليس فيه زيادة عما تقدم ولكن هذا الكلام لايوضح موقع حُذُنَّة وهي مما ينبغي الاعتناء بتحديده ، فقد وردتْ في شعر مُحْرِزِ بن مُكَعْبر الضبيِّ من المفضَّلِيَة الـ ٦٠ حيث قال في يوم ٱلْكُلَاب الثاني :

ظَلَّتْ ضِبَاعُ مُجَيْرَاتٍ يَلُذْنَ بِهِمْ ... وَأَلْحَمُوهُنَّ مِنْهُمْ أَيَّ إِلْحَامِ
حَتَّى حُذُنَّةَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا ضَبُعاً ... إِلَّا لَهَا جَزَرٌ مِنْ شِلْوِ مِقْدَامِ

وقد حدد الهجري موقع حُذُنَّة من وَادِي الكُلَاب فقال ص ٢١٦ ــ : والكُلَابُ وادٍ . . . وبجانب الكُلَابِ ثَهْلَانُ جبل عظيم عرضه يوم ، وحُذُنَّةُ عن الكلاب بميلين تدفع في الكلاب . انتهى ، وهذا الكلام صحيح فَحُذُنَّةُ التي لاتزال معروفةً تبعد نحو ميلين شرق وادِي الكُلَابِ المنحدر من جبل ثَهْلَانَ ، وهي هَضْبَةٌ ليست كبيرة ، تُرَى من بلدة الشَّعْرَاءِ الواقعة في سَفْحِ ثَهْلَانَ رَأْيَ العينِ شرقاً عنها ، وغَرْباً عن هضبات مُجَيْرَاتٍ الواردة في قول الشاعر مُحْرِز بن المكعبر ، وهضبات مُجَيْرَاتٍ تبعد عن بلدة الشعراء بنحو ٢٠ كيلاً وتبعد حُذُنَّةُ عن بلدة الدوادمي بنحو ٢٥ كيلاً بقرب خط الطول : ٤٤/٢٥° وخط العرض : ٢٤/٢٦° .

وحائل ــ الواردة في كلام نصر ــ على مايُفهم من تحديدها في كلام المتقدمين ــ : أرضٌ واسعة تقع غرب إقليم الوشم المعدود من اليمامة ، نُفُودَيْ قُنَيْفِذَةَ والسِّرِّ ، غرب ٱلْمَرُّوْتِ ، متصلة بِٱلْعَرْضِ عِرْضِ شَمَامٍ (عِرْضِ القويعية) وتقع حُذُنَّةُ في الشمال الغربي منها .

٢٨ ــ ص ٣٩٥ : (الحوذانة: بقلة من بقول الرياض ، قال الأزهري : رأيتها في رياض الصَّمَّانِ وقيعانها ، ولها نَوْرٌ أصفر رائحته طيبة) (ل، ت، ته ٤ / ٤١٦) (ج) الحوذان . ←

مع القراء في اسئلتهم وتعليقاتهم

آل نُمَيّ في الخطامة

كتب الأخ حماد بن حمد آل نُمَيٍّ (النمي) إلى مجلة « العرب » يشير إلى أنه ورد في كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » (ص ٧٦٣ و ٩١٠) ذكر آل نمي الذين في عودة سدير وفي القصب فكتب الأخ : ولاشك في صحة ذالك ، ولكن هناك آل نُمَيٍّ يقطنون الخِطَامة في سُدَيْر بالإضافة إلى من في العودة والقصب ، وكلهم ينتمون إلى جد واحد ، والذين في الخِطَامة سكنوها اعتباراً من مَجيء حماد بن نُمي (وهو الجد الثالث للكاتب حماد بن حمد بن حماد بن محمد بن حماد النمي) من بلدة القصب إلى الخطامة سنة ١٢٥٧ تقريباً على ما ورد في الأوراق المثبتة لأملاكهم في الخطامة من عقار ونخيل ، وذالك أن حماداً جاء إلى الخِطامة وبها آل مُغَامِس أهلها الأصليون ، فرحبوا به كما رحبوا بالْمُشَرَّفِ وآل (أبو غانم) والمَنِيع من قبل .

هذا مالاحظه الأخ حماد ، وطلب ملاحظته عند إعادة طبع الكتاب .

وشكراً له ولكل من أمدني بشيء من المعلومات حول هذا الكتاب .

آل مَرْشَد في حوطة بني تميم

ورد في كتاب « جمهرة انساب الأسر المتحضرة في نجد » تفريع لهذه الأسرة الكريمة آل مَرْشَد الذين في بلاد حَوطة بني تميم ، اعتماداً على ماورد في كتابي « تاريخ آل ماضي » و « معجم اليمامة » .

← يحسن أن يضاف إلى وصف الحوذان : ولايزال هذا النبت معروفاً في نجد باسمه (حوذان) وواحده حوذانة ، وهو مما يكثر نبته في رياض نجد وقت الربيع ، ويُجْنَى ويُؤكل كالْحُوَّاءِ ، وهو قريب الشبه به إلَّا أنه أَحْلَى وأَطْيَبَ رائحةً .

حمد الجاسر

إلاَّ أن الأخ الفاضل سعد بن عبدالله بن مهنا أمير القويع أبدى ملاحظاتٍ على ماورد في الكتاب خلاصتها : من المعلوم على ضَوْءِ وثائق ومعرفة قديمة متوارثة لدى بني تميم ، في حوطة بني تميم وعامتهم أن آل مَرْشَد يُعْنَى بهم آل موسى وآل عثمان وآل مبارك وآل رُقَيب وآل رُشَيد فقط دون أهل الحلوة ، وأهل القويع الذين يجتمعون في جد واحد وهو مَرْشد الذي خلف خمسة أولاد هم :

١ ــ عُمر جد أهل القويع وليس (عون) كما ورد في الكتاب .

٢ ــ وشامان جد آل خُرَيّف ، وآل معدِّي وآل مَشَاري .

٣ ــ وعلي جد آل مُسَلَّم .

٤ ــ وعبدالله جد آل عبدالله .

٥ ــ وعثمان جد آل مفرج .

فَمَرْشَدُ بنُ ربيعة بن عثمان هو جد أهل الحلوة وأهل القُوَيع فقط ، بينما جد آل مَرْشِد الذين يُعْنَى بهم آل موسى وآل عثمان وآل مبارك وآل رُقيب وآل رُشيد ــ هو مرشد بن محمد بن سعود بن عثمان . علما بِأنَّ لمرشد أَخٌ هو حسين بن محمد بن سعود بن عثمان ، جدُّ آل حسين المعروفين في حوطة بني تميم .

وأضاف الأمير سعد بن عبدالله بن مهنا يقول : كما أوضح لكم حقيقةَ نسب أهل القُويع الذي اخطأتم فيه لضعف السند الذي اكتفيتم به ، فعمر بن مَرْشَدٍ هو جدُّ أهل القُويع خلَّفَ سَيْفًا ، وسيفُ ابناؤُهُ عون ومبارك وسعيد وراشد .

فعون خَلَّفَ مُهَنَّا وسَيْفًا ومحمدًا وإبراهيم وناصرا وفرحان وحسنا ودهام وصقرا وسلمان ، هاؤلاء هم أبناء عون .

أما مبارك فهو جد آل مبارك .

وسعيد بن سيف جد آل (أبو حاضر) .

وراشد بن سيف هو جد آل قريع .

وأضاف الأمير سعد يقول : وساءني جِدًّا عندما ذكرتم آل مُهَنَّا (ص ٨٨٣) لم تذكروا آل مهنا أهل القويع الذين هم في تميم ، وهم أمراء القويع منذ القدم حتى الآن .

وأضاف في ورقة مفردة فروع عُمَر جدِّ أهل القُويع ، ومن تلك الفروع آل مهنا بن عون بن سيف بن عمر .

كما أشار الأخ سعد بن عبدالله بن مهنا إلى أنَّ من الأُسَر التي لم تذكر في الكتاب من أهل القويع : آل جَميل من تميم من آل عَبْدل ، وآل غُمَيْجَان الذين يقال إنهم في عائذ .

وأَلْحَقَ بِكِتَابِه مُشَجَّرًا لأنساب تلك الأسرِ في الحوطة والحلوة والقويع كان من المستحسن نشره لو كانت كتابته واضحة ، فشكر الله له وأكثر أمثاله .

العوازم : بعض افخاذها

اتصل بمجلة «العرب» الأَخَوانِ سَليم بن سالم بن سليم أبا الركاب العازمي وعيد بن سعيد بن مرشود العازمي من قرية الْـمُعَرَّشِ ، وأوضحا أن بعض الكتب المؤلفة عن قبائل العرب تذكر فيها أفخاذ قبيلة العوازم ناقصة ، ومن تلك الأفخاذ التي ذَكَرَ الأخوان : ــ

١ ــ العباهيل ــ واحدهم عُبْهولي ــ ويقيمون في ضواحي بلدة أمِّ لُـجٍّ على ساحل البحر الأحمر ، ومن مناهلهم كُتَانُ وادٍ في ضواحي أُمِّ لُـجٍّ .

٢ ــ الْـبَوَالِين ــ بتخفيف الواو ــ واحدهم بولاني ــ في ضواحي الوجه ، ومن مواردهم مَثْر ــ بالميم المفتوحة بعدها ثاء مثلثة ساكنة ثم راء ــ وهو واد فيه مياه .

٣ ــ العُويضات ــ واحدهم عويضي ــ منتشرون في ضواحي خيبر والعلا والمدينة المنورة ــ في وادي النُّقْمِي بقرب المدينة والصُّوْرَةِ بين العلا وخيبر .

٤ ــ الركَابِيَّة ــ واحدهم رِكَابي ــ وهم في قرية الْـمُعَرَّشِ الواقعة في الطريق بين المدينة وخيبر تبعد عن خيبر نحو ١٧ كيلاً قبل قرية الثَّـمَدِ .

مخالفة قواعد الاملاء

كتب أَحَدُ الإخوة إلى « العرب » بما ملخصه :

١ ـ كتابة كلمة (ذلك) : من خلال متابعتي لقراءة مجلة (العرب) لاحظت أن كلمة (ذلك) بزيادة ألف (ذالك) خلافا لما تكتب في الكتب والصحف الأخرى .

ويبدو أن لأستاذنا (حمد الجاسر) وجهة نظر في طريقة كتابتها . والذي أعرفه أن كلمة (ذلك) تكتب بدون ألف .

في صفحة ٢٧١ من كتاب « معجم الطلاب في الإعراب والإملاء » ما يأتي :

حذف الألف : يحذف حرف الألف :

١ ــ من الكلمات التالية : الرحمن ، الله ، الاله ، السموات ، أولئك ، لكنّ ، لكنْ ، طه .

٢ ــ من (ها) التنبيه إذا جاء بعدها اسم إشارة لا يبدأ بالتاء أو إذا جاء بعدها ضمير مبدوء بهمزة نحو : هذا ، هذه ، هذان ، هذين ، هؤلاء ، هأنذا ، هأنتم ، هكذا .

٣ ــ من (ذا) الإشارية إذا وقع بعدها لام البعد نحو : ذلك ، كذلك ، ذلكم .

وفي صفحة ١٢٣ : ذلك : مركبة من (ذا) الإشارية التي حذفت ألفها لدخول لام البعد عليها ، ولام البعد (وهو حرف مبني على الكسر لا محل له من الاعراب) وكاف الخطاب (وهو حرف مبني على الفتح لا محل له من الاعراب) .

ولا أدري عن وجهة نظر استاذنا حمد في كتابة (ذلك) باضافة الألف مع أن القاعدة في الاملاء كتابتها بحذف الألف .

٢ ــ **حسن الاخراج** : وأمر آخر أودُّ الاستفسار عنه وهو : لماذا لا تستفيد المجلة من فن الاخراج في الصحافة وتزود المقالات التي تنشرها بالصور والخرائط

مثل مجلة (الدارة) وغيرها تشويقاً للقارىء وزيادة في الإيضاح .

آمل أن أجد الاجابة على الملاحظة والاستفسار والله الموفق .

الرياض/الربوة : عبدالله أحمد عبدالرحمن

« **العرب** » : حقًّا إنَّ لصاحب هذه المجلة رأيًا حول كثير من الكلمات التي تخالف صورتها طريقة نطقها مثل كلمة (ذالك) و (مئة) وغيرها من كثير من الكلمات باستثناء كلمات أصبحت لها صورة معبرة عن صحة النطق بها .

ويتلخص ذالك الرأي بأن قواعد الاملاء وُضِعَتْ وسيلةً لصحة النطق وليست غايةً في ذاتها ، وإذَنْ فالصورة التي تمكننا من نطق الكلمة نطقا صحيحا ينبغي أن تُرْسُمَ بها الكلمة مثل : (مئة) لا أن تكتب بصورة تخالف نطقها هكذا (مائة) إذْ مِنْ هنا نشأ الخطأ في نطقها ، فنسمع كثيرا من الناس من يقول : (مَايَة) و (مَاءَة) ولهذا قرر (مجمع اللغة العربية) كتابة الهمزة في هذه الكلمة على ياء (مئة) مع حذف الألف .

أما عن استفادة المجلة من حيث حسن الاخراج وتزويد المقالات بالصور والرسوم فكما قيل : (العين بصيرة ، واليد قصيرة) . وفوق ذالك وقبله وبعده المجلة متخصصة في ناحية من نواحي العلم ، هذه الناحية لا تستدعي التفنن في حسن الإخراج ، أما الصور والرسوم فهي تحرص على نشرها ماوجدت إلى ذالك سبيلا .

وبعد فهل يسمح القارئ الكريم بان توجه المجلة إليه سؤالا : لماذا حذف كلمة (ابن) بين اسمه واسم أبيه واسم جده ؟ أهو من قبيل التقليد ، أيها الأخ الكريم إنَّ هاؤلاء الذين قلدناهم في حذف كلمة (ابن) من الغربيين لهم مايبرر ذالك ، فقد ينسب الواحد إلى أسرة وليس ابنا لها ولكن إضافته إليها من قبيل التَّبنِّي أو المصاهرة أو القرابة البعيدة ، ومن هنا نشأ حذف كلمة (ابن) عندهم ، أما نحن فقد قلدناهم في ذالك على غير هدى .

وشكرا للكاتب الكريم على حرصه لأن تَبْدُو مجلته بخير صورة .

*** العقد المفصل بالعجائب والغرائب :**

لمنطقة جازان المعروفة باسم (المخلاف السليماني) تاريخٌ تصدَّى علماءُ تلك المنطقة بتدوينه حتى أصبح متسلسل الحلقات إلى عهد مؤرخ ذالك القطر في عصرنا الأستاذ الباحث المحقق الشيخ محمد بن أحمد العقيلي .

وكان من سلسلة تاريخ تلك المنطقة كتاب « العقد المفصل بالعجائب والغرائب، في دولة الشريف أحمد بن غالب » تأليف الشيخ عبدالرحمن بن علي البهكلي ، وهو يتناول تسجيل حوادث فترة قصيرة من الزمن من أول القرن الثاني عشر الهجري ، تفيد المعنيين بتاريخ هذا الجزء الحبيب من وطننا .

وقد قام الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي بتحقيق هذا الكتاب ، فهيأ للباحثين أَحَدَ المراجع التي لا يُسْتَغْنَى عنها ، وقد طُبع بطباعة يعوزها الترتيب ، وحسنُ الإخراج ، ولعل هذا راجع لكون المحقق الفاضل لم يُشْرِفْ على تجارب الطبع ، وهذا لا يقلل من قيمة الكتاب الذي برز أَثَرُ محققه الفاضل بما أضاف إليه من معلومات ، وبما وضع له من فهارس مفصلة .

*** نور العيون وجامع الفنون :**

هذا أثر جليل من آثار سلفنا الصالح ـ ومأأكثر آثارهم النافعة!! ـ في المجال العلمي ، وهو كتاب ألفه أَحَدُ الأطِبَّاء العرب من بلدة حماه في القرن السابع الهجري ، ويدعى صلاح الدين بن يوسف الكَحَّال الحموي ، ورتبه على عشر مقالات تتعلق بالعين ، وذكر الأمراض التي تعتريها وقوانين حفظ الصحة ، وذكر أَشْهَرِ أَمْراض العين المعروفة ، وطرق علاجها ، وختمه بذكر الأدوية المفردة المستعملة في العين .

وقد قام بتحقيق الكتاب الدكتور محمد ظافر الوفائي رئيس قسم الشبكية

والليزر في (مستشفى الملك خالد للعيون) وراجعه وضبطه ، وزاد في تعليقاته الأستاذ الدكتور محمد رواس قلعجي بجامعة الملك سعود بالرياض .

ويظهر أنَّ سعة مباحث الكتاب حالت دون وضع فهارس شاملة والاكتفاء بإلْحَاقِ أسماءِ الأدويَة المفردة المذكورة في الكتاب باللغة العربية مع أسمائها اللاتينية، ثم بتراجم موجزة للأعلام الذين وردت أسماؤهم في الكتاب ولعل المحقق الفاضل لم يَرَ مايَدْعُو إلى وضع فهارس أخرى بعد ذكر أسماء الأدوية وتراجم الأعلام ، مرتبة على حروف المعجم . ولكن كان من المناسب ذكر أسماء الأمراض والآلات المستعملة في العلاج ليستفيد من ذالك المعنيون بتعريب الطب العربي .

وقد جاء الكتاب في ٦٧٨ صفحة مع مقدمة باللغة الانجليزية في ٧ صفحات ، وقدم الكتاب الدكتور زيد بن عبدالمحسن آل حسين المدير العام لـ(مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية) وتولى هذا المركز طبع الكتاب طباعة جيدة حروفاً وجودة ورق ، وحسن إخراج ، وصدر سنة ١٤٠٧ (١٩٨٧م) بدون ذكر اسم المطبعة .

*** معجم الألفاظ المفسَّرَة في كتاب الأغاني :**

كتاب «الأغاني» معروفة منزلته بين كتب الأدب ، ومؤلفه علي بن الحسين الاصفهاني (٢٨٤/٣٥٦) من متقدمي العلماء الواسعي الاطلاع في علوم اللغة ، وفي ثنايا كتابه «الأغاني» يتصدَّى لتفسير كثير من الكلمات اللغوية ، وقد يكون من بينها مايحتاج اللغويون في عصرنا إلى الاستشهاد به ، ولعلَّ هذا من الأسباب التي دفعت الدكتور حسن محسن رئيس قسم اللغة العربية في كلية التربية بجامعة الكويت ــ وَحَسَناً فَعَلَ ــ إلى استخراج تلك الألفاظ التي فسرها الاصفهاني في كتابه ، وإبرازها في مؤلف قامت (وزارة الاعلام) في الكويت بنشره ، فكان الحلقة التاسعة في السلسلة التي تصدرها بعنوان (دراسات في التراث العربي) ، وصدر الكتاب مطبوعاً بمطبعة حكومة الكويت في ٣٢٣ صفحة يحوي كشافاً للألفاظ المفسرة مرتباً على حروف الهجاء ، وقد طبع الكتاب سنة ١٤٠٧ (١٩٨٧م) بطباعة حسنة .

*** طبقات النسابين :**

اتجاه الباحثين في بلادنا للكتابة بما هو ألصق بحياتنا من تراث وتاريخ وجغرافية من الأمور المحمودة ، وفي عصرنا اتجهت العناية لدراسة التراث قديمه وحديثه ومايتصل به من علوم وآراء ، ومن ذالك علم النسب ، فقد كثرت المؤلفات فيه في زمننا بالنسبة إلى العصور الماضية القريبة ، ومن آخر ماأُلف في هذا العلم كتاب «طبقات النسابين» لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ بكر أبي زيد، ومما جاء في مقدمة هذا الكتاب : ولم أَرَ هذا العُبَاب من أهل السنة من أَفْرَدَ النسَّابِينَ في كتاب، أو جمعهم في طباق مع وفرة مؤلفاتهم . . . ومع شرفِ هذا العلم لشرف موضوعه ، وأنَّ جهله يَضُرُّ وعلمه ينفع ، لما عُلِمَ من مَدَارك الشرع في جملة من الأحكام تجدها بسطاً في كتابي «بذل السبَب في جمع أبحاث النسب» .

وقد رتب الأستاذ الشيخ بكر كتابه على طبقات : ــ

١ ــ قسم الصحابة رضي الله عنهم من سنة ١ إلى سنة ١٠٠ وذكر التابعين من النسابين من سنة ٦٠ إلى ١٠٠ .

٢ ــ الطبقة الثانية من سنة ١٠١ إلى سنة ٢٠٠ .

وهكذا إلى الطبقة الخامسة عشرة من سنة ١٤٠١ إلى ١٤٠٦ .

ثم أضاف إلى الكتاب ملاحق أربعة ذات صلة بالموضوع .

وجاء الكتاب في ٢٩٠ صفحة مطبوعاً بمطابع الفرزدق عام ١٤٠٧ (١٩٧٨م) ولعل الأستاذ الجليل يتسنى له من الوقت مايعيد النظر فيه ليحرر بعض هفوات لعلها وقعت تطبيعاً (أي خطأ مطبعي) مع إضافة مايراه جديراً بالإضافة .

ولاشكَّ أنَّ الشيخ بَكْراً بهذا الكتاب قَدْ سَدَّ ثغرة طالماتَطَلَّعَ المهتمُّون بدراسة علم النسب إلى من يقوم بِسَدِّهَا .